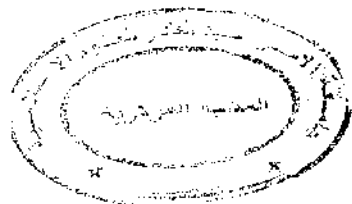


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة - الجزائر



العالم الشهيد الجزائري الشيخ العربي التبسي

بمناسبة إحتفالية الذكرى الخمسين للاستقلال وشرح
الدفعة الخامسة والعشرين
شعبان 1433 هـ - جويلية 2012م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة - الجزائر

معلومات الاتصال بالجامعة :

عنوان الجامعة :
حي قدور بومدوس ص ب 137 قسنطينة الجزائر

العاتف :

213.031.92.26.95
213.031.92.21.94
213.031.92.21.34
213.031.92.21.99

العنوان - الإلكتروني :

E-Mail : rahouiabd@yahoo.fr

موقع الجامعة هي شبكة الانترنت :

www.univ-emir.dz



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة - الجزائر

العالم الشهيد الجزائري الشيخ العربي التبسي.

كتاب جماعي محكم بمناسبة احتفالية الذكرى الخمسين للاستقلال

وتخرج الدفعة الخامسة والعشرين شعبان 1433 هـ - جويلية 2012م

المشرف العام :

• مدير الجامعة أ.د/ عبد الله بوحلخال

رئيس هيئة القراءة والتحكيم:

• أ.د / عبد القادر بخوش

هيئة القراءة والتحكيم:

• أ.د / سامعي إسماعيل

• أ.د / فرحات عبد الوهاب

• أ.د / فرقاني محمد

• د / محمد زلاقي

• د / محمد بوديان

• د / عبد المجيد قدور

• د / كمال جحيش

الإشراف التقني:

• الهندسة / بوسعيد فريدة



1. The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions and activities. It emphasizes that proper record-keeping is essential for transparency and accountability, particularly in the context of public administration and financial management. The text notes that without reliable records, it is difficult to track expenditures, assess performance, and ensure that resources are used efficiently and effectively.

2. The second part of the document addresses the challenges associated with data collection and analysis. It highlights that gathering accurate and timely data can be a complex task, often requiring significant resources and expertise. The text discusses various methods for data collection, including surveys, interviews, and the use of technology, and notes that each method has its own strengths and limitations. Additionally, it points out that data analysis is a critical step in the process, as it allows for the identification of trends, patterns, and areas for improvement.

3. The third part of the document focuses on the importance of communication and collaboration. It stresses that effective communication is key to ensuring that all stakeholders are informed and engaged in the process. The text discusses the need for clear and concise communication, as well as the importance of listening to the concerns and feedback of others. It also emphasizes the value of collaboration, as working together can lead to more innovative solutions and better outcomes.

4. The fourth part of the document discusses the role of leadership in driving change and improvement. It notes that leaders play a crucial role in setting the vision, providing direction, and inspiring others to follow. The text discusses various leadership styles and their impact on organizational performance, and emphasizes the importance of ethical leadership. It also notes that leaders should be open to feedback and willing to adapt their approach as needed.

5. The fifth part of the document discusses the importance of continuous improvement and innovation. It notes that organizations should not be satisfied with the status quo and should always be looking for ways to improve and innovate. The text discusses various methods for continuous improvement, including the use of process maps, flowcharts, and other tools. It also emphasizes the importance of fostering a culture of innovation, where employees are encouraged to think creatively and come up with new ideas.

6. The sixth part of the document discusses the importance of risk management. It notes that all organizations face risks, and it is essential to identify and manage these risks effectively. The text discusses various methods for risk management, including the use of risk registers, risk matrices, and other tools. It also emphasizes the importance of having a clear risk management strategy and ensuring that all employees are aware of the risks and how to manage them.

7. The seventh part of the document discusses the importance of sustainability. It notes that organizations should not only focus on financial performance but also on social and environmental performance. The text discusses various methods for measuring sustainability, including the use of sustainability reports, carbon footprints, and other tools. It also emphasizes the importance of having a clear sustainability strategy and ensuring that all employees are aware of the organization's commitment to sustainability.

8. The eighth part of the document discusses the importance of digital transformation. It notes that digital technology is transforming the way organizations operate, and it is essential to embrace this change. The text discusses various methods for digital transformation, including the use of cloud computing, artificial intelligence, and other technologies. It also emphasizes the importance of having a clear digital transformation strategy and ensuring that all employees are equipped with the skills and knowledge needed to succeed in a digital world.

9. The ninth part of the document discusses the importance of customer experience. It notes that customers are the lifeblood of any organization, and it is essential to provide them with a positive and memorable experience. The text discusses various methods for improving customer experience, including the use of surveys, focus groups, and other tools. It also emphasizes the importance of having a clear customer experience strategy and ensuring that all employees are committed to providing excellent service.

10. The tenth part of the document discusses the importance of employee engagement. It notes that engaged employees are more productive, more committed, and more likely to stay with the organization. The text discusses various methods for improving employee engagement, including the use of surveys, focus groups, and other tools. It also emphasizes the importance of having a clear employee engagement strategy and ensuring that all employees feel valued and supported.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ فَيَسِّرُ لَمَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَيَسِّرُ لَمَن
يَسْتَضِيرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا

سورة الاحزاب، 23

صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

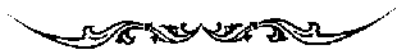
1910

1911

1912

1913

كلمة السيد مدير الجامعة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،

وبعد:

في كلِّ مرة نستعد فيها لتوديع أبنائنا الطلبة المتخرجين؛ تتحاذيني مشاعر متعددة، تصب كلها في مصبٍّ واحد هو: الفرح بالتحاق دفعة جديدة من جامعتنا بركب الدفعات السابقة، من أجل النهوض بمؤسسات دولتنا وبمجتمعاتنا. وكُنَّا أمل بأن يكون أبنائنا وبناتنا من الطلبة والطالبات على وعي تام بما ينتظرهم من المسؤوليات الجسام اتَّجاه وطنهم الذي حرره الشهداء ويعمره أبنائهم وأحفادهم، بكل رفاه وإخلاص.

وهنيئاً لنا بتخرج الدفعة الخامسة والعشرين من النظام القديم؛ والدفعة الثالثة من النظام الجديد : ليسانس ماستر دكتوراه (ل.م.د).

وإنَّا وإن كُنَّا حريصين على أن نكرم أبنائنا المتفوقين بالهدايا العينية، إلا أرتأينا في المجلس العلمي للجامعة ابتداء من سنة 2001م أن تحمل كلُّ دفعة متخرجة اسم عَلمٍ من أعلام بلادنا الحبيبة؛ ممَّن أفنوا عمرهم في خدمتها، والتُّضحية في سبيلها، وفي سبيل هُضنتها.

فتتالت التسميات: إبتداءً بالشيخ أحمد حماني (2002م)؛ الشيخ الفضيل الورتلاي (2003م)؛ الرئيس الراحل: هواري يومدين (2004م)؛ الأستاذ: مالك بن نبي (2006م)؛ الأستاذ: مولود قاسم نابت بلقاسم (2007م)؛ الأستاذ: يحي بوعزيز (2008م)؛ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (2009م)؛ الشيخ: أحمد بن يوسف أطفيش قطب الأئمة (2010م)؛ الشيخ: عبد الرحمن الجيلالي (2011م)؛ ثم الشهيد الشيخ العربي التبسي هذه السنة 2012م... بمناسبة إنطلاق الإحتفالات بالذكرى الخمسين لإستعادة السيادة الوطنية.

ولم يكن مجهودنا مجرد إطلاق التسمية فقط؛ بل حرصنا على أن تدرك
المدفوعات المتخرجة سر التسمية، من خلال تزويدهم بدراسات متنوعة عن الشخصية
التي سيحملون اسمها لدى تخرجهم؛ وتسلم لهم في كتاب؛ هو كتاب التخرج، الذي
يشارك في إعداده خيرة الباحثين والأساتذة الأكفاء؛ وليكون لهم ذلك حافزاً لاقتفاء
الأثر، وشحذ الهمة، واكتساب روح الانتماء إلى هذه الأرض الطيبة التي ارتوت بدماء
الشهداء الأبرار.

ولقد وقع اختيارنا في هذه السنة على شخصية، لا يختلف في الثناء عليها
إثنان؛ لقد اخترنا: الشهيد الشيخ: العربي التبسي؛ الذي رفع لواء الجهاد ضد ظلمات
الجهل مع إخوانه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ ورفق لواء الجهاد ضد ظلمات
الاستبداد والاستعمار الفرنسي؛ إلى أن اختار له ربه ميتة شريفة ختم له بها جهاده
الطويل؛ وبأيدي أمة غادرة سنة 1957م. رحمه الله رحمة واسعة وأخفه برفاهه شهداء
الجزائر عبر المكان والزمان.

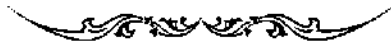
الأستاذ الدكتور / عبد الله بوخلخال

مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



تقديم نائب مدير الجامعة

أ.د/ عبد القادر بخوش



يسرني أن أهدي بناي وأبنائي الطلبة، في يوم تخرجهم هذا الكتاب الذي جعلناه كتاب تخرج دفعتهم؛ والذي يحمل اسم الشيخ الجليل: "العربي النبسي". آملاً وملتمساً منهم أن يقفوا من خلال الأبحاث والدراسات التي قام بإتجازها ثلّة من أكفء الباحثين - من جامعة الأمير عبد القادر ومن غيرها من جامعات الوطن- على معالم تلك الشّخصية الفذة، والأخذ ولو بسهمٍ من صفاته التي جعلت منه شخصية خالدة في سجل بطولات أهل هذه البلاد الطيبة؛ ليصيروا بدورهم حلقة متينة من حلقات البناء والتشييد لصرح المؤسسات المختلفة التي يعول عليها في تقدم الوطن، وازدهاره، ورفاهية أهله.

اعتلى الشيخ منزلة عالية من العلم الشرعي حتى أضحي يشار إليه بالبنان ويرجع إليه في القضايا الدينية والمسائل الفقهية جعلته يقف باقتدار في مصاف أكابر علماء الجمعية فتدرج في الفتيا والتدريس حتى أسندت إليه إدارة معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة والإشراف عليه.

إن الأقوال والمآثر التي تبرز الشيخ العربي النبسي وتظهر علو مقامه وسمو فضله قد صدرت عن كبار علماء الجمعية ، كان عالماً فاضلاً من أجلة العنماء ، له في نفوس أجمعية مهابة ومحبة خلف لنا تاريخاً حافلاً بالعطاء وسجلاً ناصعاً نستلهم منه في حب الوطن، ولعل احتفالنا بذكرى مرور خمسين سنة على الاستقلال كل ذلك من شأنه ان يجسد تلك الرحلة الطويلة من العطاء ويخط تاريخنا حافلاً من التائق ودوا مشهودا في خدمة الدين والوطن.

من حقنا أن نفخر بهذا التاريخ ، ومن واجبنا أن نوثق التاريخ الناصع والمشرق
من شهداء وبطولات وتضحيات للحفاظ على الآثار والمعالم لتبقى خالدة ومائلة
للأجيال المتعاقبة.

ونحن إذ نعتي بناتنا وأبناءنا الطالبات والطلبة بتخرجهم، نذكرهم بأن المشوار
العلمي لا ينتهي بالليسانس، بل ما تزال أمامهم فرصا للدراسات العليا، والانخراط في
الحياة البحثية. كما أن البحث العلمي لا يتحصر داخل جدران الجامعة، وفي مدرجاتها؛
إن الحياة العلمية مستمرة مع الباحث، إلى أن يفارق الحياة؛ وقد زودتنا المخترعات
الحديثة بالكثير من وسائل التواصل وتحسين المستوى؛ وتبادل الأفكار والطروحات،
والاهتمامات، وإقامة جسور الحوارات بين الحضارات والثقافات؛ فينبغي لهم أن يقيدوا
منها بما يعود عليهم بالنفع: لهم ولدينهم ولأمتهم ولوطنهم.

وفقكم الله للسداد والرشاد.

أ.د/ عبد القادر بخوش

نائب مدير الجامعة للتكوين العالي في الطورين الأول

والثاني والتكوين المتواصل والشهادات والتكوين العالي





حياته و شخصيته





التبسي الزيتوني الأزهري [1308-1377هـ / 1891-1957م]

أ.م. أحمد عيسوي
جامعة باند

ملخص الدراسة

تكشف هذه الدراسة العلمية الأكاديمية عن جوانب خفية من شخصية العلامة الشهيد الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي، وقد حوت مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، وهي كالتالي:

*** المقدمة:** بيته وظروف عصره وحياته.

1- المبحث الأول: الشيخ العربي التبسي العالم الأصولي.

2- المبحث الثاني: الشيخ العربي التبسي العالم الفقيه.

3- المبحث الثالث: الشيخ العربي التبسي العالم المتكلم.

4- المبحث الرابع: الشيخ العربي التبسي الحافظة المحدث.

*** خاتمة الدراسة.**

بيئته وظروفه عصره

* تمكيد :

يمكن وصف الفترة التي ولد ونشأ وعاش ودعا فيها إلى الله.. الشيخ العربي بن بلقاسم التبيسي الجزائري الزيتوني الأزهري، بأنها أظلم فترة مرت بالجزائر العربية المسلمة طيلة وجودها في تاريخ الحضارة الإنسانية، وبعد أن أيقنت فرنسا أن الجزائر قد آلت إليها وإلى الأبد، وأنه لن تقوم لها قائمة بعد القرن العشرين في سماء العروبة والإسلام. فقد مضى على آخر ثورة شعبية مسلحة في الجزائر حوالي ربع قرن.¹

وكان قد انتهى عهد الثورات المسلحة، والانتفاضات الكبرى - عدا انتفاضة الشيخ بوعمامة وأولاد سيدي الشيخ - وابتدأ عهد جديد، جيله يخالف جيل الثورات والانتفاضات العنيد، الذي تميز بشراسة رجاله ومقاومتهم البطولية.

وابتدأ عهد جديد، تمثل في ظهور جيل جديد من العلماء والمثقفين والسياسيين يرى في مهادنة الاستعمار أسلوبا تكتيكيا حديثا، وغمطا للحفاظ على الرميح الأخير من حصون العربية والإسلام المتبقية في الجزائر. هذا الجيل يتميز عن الأجيال اللاحقة له بكونه يحمل نفس تصورات وقيم ومبادئ وأصالة.. الجيل الجهادي السالف، ولكنه يختلف عنهم في كثير من المقومات، ومن هذا الجيل - الذي ولد أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الرابع عشر الهجري - كان الإمام الشيخ سيدي [العربي بن بلقاسم التبيسي] الزيتوني الأزهري.

¹ كانت آخر وأعنف ثورة شعبية دينية في الجزائر ثورة الشيخ محمد المقراني، وعهد الحداثة سنة 1871-1872م، ثم ثورة أولاد سيدي الشيخ المعروفة بثورة بوعمامة سنة 1884-1886م. لمزيد من التوسع انظر: عبد الكريم أبو الصنصاف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931-1956م، مطبعة متحف الجهاد، الجزائر، الطبعة الأولى، 1992م، ص 12.. جمال فنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني لمجاهد، الجزائر، دون طبعة، 1994م، ص 127، وص 134.. أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، 1986م، ص 67 و ص 68. وبني بوعزيز. الانعقاد اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، 1987م، ص 17 و ص 18، بتصرف. وأبو نقاسم معبد الله الحركة الوطنية الجزائرية 1900 - 1930م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1970م، ج 3، ص 71.

ولعل إلقاءنا بعض الأضواء على ظروف وأوضاع الجزائر السياسية والاجتماعية والثقافية... ينير لنا الواقع الذي تحكّم وجه نشأة وحياة وتكوين الشيخ سيدي [العربي بن بلقاسم التبيسي].

فقد ولد الشيخ في مرحلة الانتفاضات المسلحة (1872-1916م)، وبعد أن مرت الجزائر بمرحلة المقاومة المسلحة (1830-1872م)، كما عاش ودعا إلى الله وخدم دينه. في مرحلة النضال السياسي السلمي الممتدة بين سنوات (1919-1945م)¹.

¹ المرید من الامتلاع انظر: محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830 - 1954م، منشورات المتحف الوطني لجمهورية الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ، ص 21 و 22، بتصرف.

1 - مرحلة للمقاومة المسلحة (1830-1871م)

وهي المرحلة الأولى التي تصدى فيها الشعب الجزائري للاحتلال منذ تواجده بأراضيه بشاطئ سيدي فرج عام 1830م، وتميزت هذه المرحلة الحاسمة ب بروز قادة حملوا لواء المقاومة المسلحة، بدأ بكفاح الأمير عبد القادر عام 1832 - 1847م، وأحمد باي 1830-1851م، واستمرت إلى سنة 1872م تاريخ القضاء على ثورة الرحمانية في الوسط الجزائري.

2 - مرحلة الانتفاضات المسلحة (1872 - 1916م)

وقد امتدت هذه المرحلة الحاسمة من سنة القضاء على ثورة الرحمانية 1872م إلى سنة 1916م، وشملت جميع أنحاء البلاد الجزائرية، وقاد الثورة فيها العديد من رؤساء القبائل وشيوخ الزوايا، ولم يكتب لها النجاح نظرا لانقراضها لتنظيم للحكم وللتمتع العامة ولتحديد الأهداف، بدأ من ثورة واحة المسري عام 1876م، والأوراس عام 1879م، وبعمرسانة 1882م، وثورة الأوراس عام 1916م.

3 - مرحلة النضال السياسي السلمي (1919 - 1954م)

وقد افتتحها(الأمير خالد) بجفوة معارك الانتعاشات البلدية وعقدته للاجتماعات، وتقديمه لنواحي والعرائض والمطالب، التي انتهت بنفيه من البلاد، وتلاه ظهور الأحزاب السياسية وجمعيات الدينية، والثقافية والرياضية والكشفية، وعلى رأس هذه الأحزاب والهيئات الشهيرة: [حزب نجم شمال أفريقيا، الذي تحول فيما بعد إلى حزب الشعب الجزائري، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ثم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والحزب الشيوعي، وحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

وفي هذه الفترة ظهرت الصحافة الجزائرية الحرة واشترك مختلف الجزائريين في انتخابات مجالس المحلية، وتأسست فيها النوادي وندارس الحرة، وعقدت مؤتمرات شعبية، وشهدت الجزائر الكثير من التطورات السياسية والثقافية والاجتماعية، وتشدت فرنسا في تطبيق قوانين الردع الزجري، ومحاولات فرض التحسيس ومساعي التمشير المسيحي: والاحتفالات، مرور قرن على احتلال الجزائر وقسنطينة، وقمع رجال وقادة الحركة الوطنية الجزائرية بالنفي والسجن والتشريد. وفيها تبلور نوعي سياسي وطني جزائري، وبخاصة قضايا غوية والتقييم الوصية ومستقبل الجزائر الشيعي والسياسي والاجتماعي والثقافي.

كما ولد وعاش وترى ودعا إلى الإسلام في منطقة حاضرة للحكم العسكري الفرنسي العربي الخاص، الذي يطبق فيه قانون القهر الزحري [الأندلسيين]، وفي منطقة اشتهرت بمناجعتها وخيراتها من الفحم والحديد والنوسفات، وقد تسربت إليها المعسكرات والتجمعات الاستعمارية والعمالية المنحنية مبكرة، ومعها نقلت كل المفاسد والذرائل من عادات وأخلاق وممارسات الأوربيين للمنطقة، وصارت الدعوة الإسلامية فيها تواجه وتجاهه بتحديات عديدة وكبيرة جدا من قبل جنود الاحتلال، ومن قبل لفييف العمال والمعمرين الأوربيين اللاهئين وراء العيب النهم للثروات والشهوات.

وعليه فإن المحلل لمراحل الكفاح التي مر بها الشعب الجزائري ضد الهيمنة الفرنسية عامة، والتي ولد وعاش فيها أمثال الشيخ سيدي العربي التبرسي خاصة يلاحظ ما يلي:

« مقاومة الشعب الجزائري الشرسة للوجود الاستعماري الفرنسي.

« طول مدة المقاومة المسلحة (1830-1917م - 1954-1962م)

وتفضيل الشعب

الجزائري لأسلوب المقاومة والمغالبة على المطالبة بالطرق السياسية، وقصر

مدة النضال السياسي (1919-1954م).

« إلغاء وإنهاء الجزائريين الوجود الفرنسي في الجزائر بنفس الوسيلة

والأسلوب الذي ألقى به الوجود الحضاري الجزائري العثماني العربي

الإسلامي.

« استمرار السياسة القمعية الاستعمارية تجاه الشعب الجزائري عبر سني

الاحتلال، حتى في فترات ما يسمى بسياسة الإدماج.

4 - مرحلة الثورة التحريرية (1954-1962م) وتمتاز هذه المرحلة بوضوح أهدافها، والنفاد الجماهير حولها، وعصرها كافة أنحاء القطر الجزائري، وصمودها في سبيل تحقيق الأهداف المنسطرة لها منذ إنشائها ونشأتها في: [الاستقلال، الحرية، السيادة، وحدة القرب الجزائري..]، ولهذا تعبر ثورة الفاتح نوفمبر 1954م تنويحا للمقاومة الشعبية بوحية الجزائرية العظيمة.

« تنوع أسلوب الشعب الجزائري في تحقيق الوجود الحضاري، ومرورده بالخطوات التغيرية التالية: (المقاومة 1830-1917م. المطالبة 1919-1954م. المغالبة 1954-1962م).

« نجاعة أسلوب المغالبة المسلحة المنظمة في عملية التغيير مع القوى الاستعمارية الباغية دون غيره من الأساليب الودية والحبية السياسية والفكرية والثقافية وغيرها..

« صعوبة الحفاظ على القيم الحضارية وعلى خصوصيات الهوية العربية والإسلامية، واستمرارها قوية ومتواصلة في الأجيال.

« حجم التحديات التي يواجهها علماء الدين الإسلامي.

وفي مرحلتين حاسمتين (1891-1957م) من هاته المراحل قضت إرادة الله تعالى أن يولد ويعيش ويدعو إلى الله تعالى وإلى دينه شيخنا سيدي [العربي بن بلقاسم التبسي].

* اوضاع الجرائر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية:

والتتبع لأوضاع الجزائر وصورورها الحضارية في ظل الهيمنة الاستعمارية يتبين أن أمرها قد آل بعيد فترة المقاومات إلى الحالة المزرية المنثلة في الحقائق التالية:

« تشديد الخناق الاستعماري على المواطنين الجزائريين وبخاصة سكان الأرياف، وذلك بتحريرهم من أراضيهم الخصبة، وإتقال كواهلهم بالضرائب والغرامات، وتجهيزهم اقتصاديا بوسائل مختلفة حتى يضعفوا عن تنظيم أية مقاومة مسلحة أخرى.

« ضرب تقاليد نظام العروضية المتميز بالوحدة وانتضامن القبلي بواسطة تراب العرش الجماعية الذي كان يشكل أحد عوامل الوحدة القبلية وبالتالي فقد ألغوا وسيلة الوحدة القبلية، وذلك بإغاثهم للملكية وأصالة أرض العرش وإباحة تجزئتها بالبيع والرهن والمصادرة لصالح المعمرين

والدولة، محققين بذلك عدة أهداف استعمارية، تزيد في استئلال وإهانة الشعب الجزائري.

« تجويع الشعب الجزائري وإفناؤه بالقمع والإرهاب والتقتيل والجماعات، قعد مجاعة 1868م أصبح عدد الجزائريين حوالي مليونين فقط بعد أن كان ثلاثة ملايين قبلها.

« تقوية نفوذ وسلطة وعدد المعمرين الأوربيين، فقبل المجاعة الكبرى كان عدد المعمرين حوالي 220 ألفا، ليرتفع بعدها إلى 279 ألفا، بالرغم من تراجع نسبة الهجرة نحو الجزائر.

« القضاء على آخر ماتبقى من حصون الإسلام والعربية، وذلك بضرب التعليم الإسلامي المسجدي وتوابعه، وفرض سياسة التعليم الفرنسية الاستعمارية التي تسعى لإيجاد فرد جزائري يتماشى مع مخططاتها الاستعمارية المستقبلية، وهذا ما حصل بالفعل عندما سخر الجزائريون لغزو سوريا ولبنان والمشاركة في الحربين العالميتين.

« ضرب الشريعة الإسلامية - كإطار مرجعي - وتدمير المسلمين تشريعا وقانونيا وإداريا وقضائيا.. وذلك بإلغاء الشريعة الإسلامية كمرجعية للحكم، واستبدالها بالقانون الوضعي الفرنسي.

« فرض سياسة التجنيد الإجباري العسكري على المواطنين الجزائريين بوصفهم مواطنين فرنسيين، وذلك بغرض إفناء في الحروب من جهة، والحفاظ على العنصر الفرنسي قويا وصحيحا وكثيرا، وضرب المسلمين الجزائريين ببعضهم وبغيرهم وتعميم الأحقاد فيما بينهم.

« إعادة تربية وصياغة وتكوين الجزائريين الملتحقين بالجيش الفرنسي فكريا وروحيا وسلوكيا ونفسيا وأخلاقيا بما يتناسب والسياسة الفرنسية الاستعمارية التسخيرية المتوخاة منه.

« تتويج هذه السيطرة الاستعمارية الباغية بإصدار قوانين(الأنديجينا) الردعية، التي أنشئت أساسا لقمع وإرهاب الشعب الجزائري وذلك بمقتضى

مراسيم 19/أوت/1874م و11/سبتمبر/1874م، الذي جرى توسيعه
وتمديده ليشمل (الأحواز المختلطة) أيضا عام 1881م.

ويقوانين الأنديجينا القمعية يكون الاستكبار الفرنسي في الجزائر قد أرسى له
ولروحه الاستكبارية آخر دعائم التمكين والسيطرة على الشعب الجزائري المقهور، وفي
ظل هذه الأوضاع القهرية الزجرية القاتلة ولد وعاش ودعا شيخنا سيدي العربي بن
بلقاسم التبسي.¹

¹ انظر: محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية، ص 22 وما بعدها، بتصرف. وانظر كذلك كلا من: محمد
ثبلي، ابن باديس وعروب الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 1983م، ص 39 و 40،
ص 2. بلغ عدد الجزائريين المشاركين في الحرب العالمية الأولى حوالي 350 ألفا من الجنود والعمال، وبلغ عدد القتلى منهم
56 ألفا. وعاد الجرحى 82 ألفا حسب ما نشرته مجلة الفرنسية المحافظة (لافريك فرنسيس) نقلا عن: أبو القاسم سعد
الله، الحركة الوطنية، ج 2، ص 209.. 210. وأحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب،
الجزائر، الطبعة الأولى، 1986م، ص 67 و 68. وأبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ج 1، ص 56.

الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي مولده. نشأته. تعلمه.

* المطلب الأول: المولد. الأصل والنسب.

هو العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات الجندري التبسي، وأمه هي السيدة أمينة بنت عبيد بن فرحات الجندري التبسي.¹ المولود بدوار اسطوح من أحواز بلدية العقلة دائرة الشريعة - الواقعة في الجنوب الغربي من ولاية ومدينة تبسة - سنة 1891م - 1308هـ.²

وكان يعرف في سجلات الإدارة الفرنسية البلدية والأمنية بلقب جندري وفرحات، واشتهر بلقب العربي التبسي، وكان العربي وحيد والديه فلم ينحياه إلا بعد عقد من زواجهما.³

ولما بلغ العربي قرابة الست سنوات توفي والده بلقاسم وهو في عقده الخامس، ليصبح العربي يتيما منذ فجر طفولته، وسرعان ما تزوج عمه عمار من أرملة أخيه بلقاسم على عادة وأعراف قبيلة التمامشة وسائر القبائل الجزائرية، فكان له -

¹ أمه وأبوه أبناء عمومة مباشرين أما أمه فهي مولودة بعرض الجذور بدوار اسطوح سنة 1868م، وأبوه كذلك من مواليد 1857م. تقلا عن الشيخ المنصفي جندري شقيق الشيخ الأصغر سلسلة حوارات سنوات جوان 1993م وجويية 1994م، وقد أعطى الأستاذ المرحوم محمد علي ديوز في تاريخه شفاء واجمع أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1، ص 41 و 42.

² حسب شهادة الميلاد المستخرجة من بلدية تبسة، والتي تحمل رقم 239 / 1927م موثقة بمحكمة تبسة بعد حكم إثبات ميلاده لأنه من التبسين، والحكم صادر بتاريخ 1927/10/20م بعد عودة الشيخ العربي التبسي من مصر بأبام قلال، وتحمل شهادة ميلاده تاريخ يوم 01/ جويية/ 1891م، وهو اليوم الذي حددته قوانين الإدارة الاستعمارية لميلاد جمع التبسين من الأهالي الذين تخلف ذورهم عن تسجيلهم في حينهم.

وتبسة بالفتح ثم الكسر وتشديد السين المهمة؛ بلد مشهور من أرض إفريقية، بينه وبين قفصة ست مراحل في قفر سيبية، وهو بلد قديم به آثار الملوك، وقد حرب الآن أكثرها، ولم يبق لها إلا مواضع يسكنها الصعاليك الحب البوط. لأن خيرها قليل، وبينها وبين مطيف ست مراحل في بادية تسكنها العرب، يعمل لها بسط حليلة شمكة النسيج، يقيم نساظ منها مدة. انظر: باقوت الحمدي، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دون طبعة، 1399هـ 1979م، ج 2، ص 13. ومؤلف مجهول، كتاب غيون الاستنصار، تحقيق: اصحابي نعري، مطبع المات المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون طبعة، دون تاريخ، ص 329.

³ حسب تقرير الإدارة الاستعمارية عنه، والمخرصة في أرشيف قسنطينة.

باعتراف أخيه - نعم الأب العظوف الرحيم، معوضاً ابن أخيه حرمان عاطفة الأبوة الذي فقده بفقده لأبيه.

ورزق العربي بعد زواج أمه بعمه عمار خمسة إخوة هم (الخفصي، البشير، بلقاسم، الهادي، عبد المجيد).¹

وكانت أمه السيدة آمنة سيدة فاضلة مؤمنة، بدوية شديدة المراسن حاضت ابنها العربي بمزيد من العناية دون سائر إخوته خشية تأثره واضطراب نفسيته، فأخذت بيده ورفعت من معنوياته في الأسرة، وبخاصة بين إخوته.²

وكان عمه عمار فلاحاً حيناً وراعياً متقلداً بين الصحراء والتل حيناً آخر؛ يرحل إلى الصحراء شتاءً بالماشية ويعود إلى التل صيفاً ليحصد متوج أرضه البعلية؛ ويسكن الخيام في الترحال، وإذا عاد إلى دواره أسطح سكن كوخه³، وكان العربي يصحب عمه في حله وترحاله، وظل على هاته الحالة طيلة طفولته الأولى يحفظ القرآن الكريم على يد عمه عمار الذي كان يحفظ القرآن الكريم كله، وكذلك على يد جده مبارك شيخ القبيلة.⁴

وكان عمه عمار وزوج أمه أيضاً شديد التدين محبا للعلم ولأهله من معلمين وطلبة، وقد أجرى - رحمه الله - لطلبته الجرايات والزكوات، ومع عمه اشتغل بالزراعة حيناً والرعي حيناً آخر، وحفظ القرآن معهما. والعربي من عشيرة الجدور من قبيلة النمامشة التي يقال أنها هي أصل قبيلة النمامشة، واسمها الحقيقي الجدور أي الأصون، وهذه العشيرة معروفة بتاريخها البطولي المجيد والجهادي المقاوم للوجود الاستعماري الفرنسي.

كما أنها معروفة لدى سائر عشائر النمامشة بكثرة حفظ رجالها للقرآن الكريم وحرصهم الشديد على تحفيظه لعامة أبناء العشيرة ولغيرهم أيضاً، فبلقاسم والده وعمار عمه وزوج أمه بعد أن توفي أبوه بقيا من حفظة كتاب الله بأكمله في العشيرة،

¹ حوار مع الشيخ الخفصي جدرى شقيق الشيخ في منزله بقسمته شهر جويلية 1997م.

² حوار نفس مع الشيخ خفصي

³ انظر: محمد، سبي ديور، أنعام الإصلاح، ج 1، ص 42.. 47، بصرف.

⁴ انظر: محمد، سبي ديور، أنعام الإصلاح، ج 1، ص 46.. 47، بصرف.

كما أن والده كان من دارسي مبادئ العلوم العربية والدينية. وأعمامه: (الحفناوي، و الصادق، و مسعود، و أحمد، و محمد، عثمان) - رحمهم الله - كانوا يحفظون كتاب الله وكانت خيمتهم تسمى بخيمة القرآن حيث يتولى أعمامه - بالإضافة إلى مهامهم الزراعية والرعية والأمنية والتجارية - تحفيظ أبناء العشرة كلها القرآن الكريم؛ وكذلك كان أبوهم مبارك جد الشيخ العربي، الذي كان حافظا للقرآن الكريم وعالما بالعلوم العربية والدينية في قومه.¹

وما يلاحظ على أصل ونسب وولادة وطفولة وظروف الشيخ العربي التبسي ما يلي:

- 1- ولادته في مرحلة اشتداد القبضة الاستعمارية على الجزائر، ووطأة قوانين الأندلسيين.
- 2- تأثير تلك القوانين على واقعه الاجتماعي والاقتصادي والتربوي والتعليمي والديني.
- 3- جهلنا للكثير من الحقائق عن طفولته الأولى، وشبابه المبكر والمتأخر أيضا، وذلك يعود في نظرنا بعد بحثنا وتفحصنا للمسألة لاعتبارات عديدة، أهمها:
 - « تكتمه الشديد عن ذكر وتناول طفولته المبكرة، والحديث عن ذكرياته الشبابية للخاصة من أصدقائه، أو للعامة من جلسائه ومرافقيه وتلامذته.
 - « ظروف تربيته القاسية والصارمة التي جعلت منه رجلا موضوعيا يستنكف عن اجترار ذكرياته.
 - « فارق السن الذي كان بينه وبين إخوته الذين يصغرونه بعشرين عاما، والذين لم يعرفوه إلا كبيرا ناضجا.
 - « طبيعة الفرد الجزائري الكئوم، ولاسيما الذين عاشوا في فترة الاستعمار القاسية، إذ كانوا يربون على التكتم الصارم.



¹ حوار مع الشيخ الخفصي جبري والشيخ العبد مطروح، وقد أكد ذلك المرحوم محمد عبي ديزوز في كتابه زناد الإصلاح، ج 1، ص 37... 40.

« وفاة أغلب أصدقائه ومعاصريه ومقربيه في تبسة وقسنطينة، وعدم تعرضهم لشيء من طفولته في كتاباتهم، ألهمهم إلا المعلوم أو المشهور منها دعويا ودينيا وتربويا..

« عدم تمكن تلامذته وطلابه من معرفة الجوانب الخفية من شخصيته الطفولية، ولا سيما تلك التي لها علاقة بطفولته وشبابه المبكر، نظرا لجديته وصرامته وتكتمه معهم.

« عدم تعرضه في دروسه ومحاضراته إلى ذكر أمثلة عن طفولته وشبابه وشبابه كما يفعل البعض من العلماء والمدرسين استنادا بالمثل المضروب من الطفولة أو من فترة الصبا.

« عدم تفرغه للكتابة والتأريخ لسيرته الذاتية الشخصية كما يفعل الكثير من الأعلام.

4- عيشه يتيمًا محروما من عاطفة الأبوة، التي جعلته ينضج ويتحمل المسؤولية منذ شبابه المبكر.

ومع هذا التقدير في المعلومات عن طفولته وشبابه، فإن كهولته ورجولته هي التي عكست فترة تربيته وتكويناته الطفولية، ومهما يكن من أمر فإن عظمتها كمنت في أمرين: أحدهما فطري، والآخر اكتسابي.

فأما الفطري فإنه تجلّى في تلك القدرات التي حياها الله بها، من بسطة الجسم، وقدرة الاحتمال، وحدة المزاج، المعروفة عن رجال قبيلة النمامشة عامة ورجال عشيرة الجدور خاصة.

وأما الاكتسابي منها فهي تربيته وتكوينه الصارم الذي تلقاه في بيئته القاسية تكوينًا وتربيةً ومناخًا وطبيعةً وموارد، وقد اجتمع فيه العاملان ليكونا منه لاحقا الداعية الصلب المراس.

* المطلب الثاني: نشأته وتعلمه.

عندما ولد العربي النيسي كان قد مضى على آخر ثورة شعبية مسلحة في الجزائر حوالي ربع قرن¹، وكان قد انتهى عهد الثورات المسلحة والانتفاضات الكبرى - عدا انتفاضة الشيخ بوعمامة وأولاد سيدي الشيخ - وابتدأ عهد جديد، جيله يخالف جيل الثورات والانتفاضات العنيد المتميز بشراسة رجاله ومقاومتهم البطولية، وابتدأ عهد جديد، يرى في مهادة الاستعمار أسلوبا جديدا، ونمطا للحفاظ على الرمز الأخير من حصون العربية والإسلام المتبقية في الجزائر، وهو الجيل الذي تخلى عن الكفاح المسلح كوسيلة للتحرر نظرا لاشتداد سطوة القمع والقهر الاستعماري، ولكنه - مع سلميته ووطنيته - ظل وفيا لماضي الآباء والأجداد الذين هم في نظره رجال القيم والحق والجهاد، وأن النموذج الحقيقي - الدنيوي والأخروي - يتمثل في انتهاج منهجهم الجهادي، وهذا الجيل يتميز عن الأجيال اللاحقة له، بكونه يحمل نفس تصورات الجيل الجهادي السالف، ومنه كان الشيخ العربي النيسي رحمه الله.

نشأ العربي النيسي في عشيرته الجذور التي كانت تعتر نجمة والده وجده وأعمامه القرآنية، وفي تلك الخيمة القرآنية المباركة حفظ العربي النيسي سور القرآن الكريم الأولى على يد والده أولا، ثم على يد عمه عمار ثانيا وهو دون سن العاشرة. وقد رأى عمه فيه أمارات النجابة ومخابيل الذكاء فتركه عهده عند الشيخ الطيب بن الخفناوي الرشاشي الزواوي² في زاوية (أولاد رشاش بالزواوي) ليحفظ في زاويته وعلى يديه القرآن الكريم فمكث عنده سنتين كاملتين، ليعود بعدها إلى بلده وقد حفظه كاملا وسنه تقارب الثالثة عشرة، وذلك أواخر سنة 1904م.³

¹ هي ثورة الطريقة الرحمانية عام 1871م.

² الشيخ الطيب بن الخفناوي الرشاشي الزواوي، من قرية الزوي الواقعة بين بندق الشريعة وحشلة، وهي قرية من أعمال دوار امطوح، وهو شيخ الزاوية الرحمانية بها، وولد حوالي سنة 1850م، وتوفي حوالي سنة 1941م، وكان له الفضل في التربية والتعليم بتلك المنطقة، أحبه الشيخ العربي وكان يذكره في دروس القرآن. والحاج طريف بوعلوي، عدلي الشيخ العربي النيسي في نقاشه، من موالده سنة 1909م. حوار في منزله شهر أكتوبر 1994م.

³ حوار مع الشيخ الحفصي. نسخة بهران 1997م.

ومن خلال تتبعنا واستقصائنا لحياة الشيخ العربي التعليمية، يمكننا تقسيم مراحل طلبه للعلم إلى مايلي:¹

1- المرحلة التعليمية الأولى (1895 - 1904م):

وتقسم هذه المرحلة بدورها إلى فترتين رئيسيتين هما:

« القسم الأول(1895 - 1902م): وتبدأ هذه المرحلة وهو يتلقى القرآن في كتاب عشوته في حيمة جده وعمه القرآنية، إذ تلقى السور القرآنية الأولى عندهما، ولتنتهي وعمر العربي عشر سنوات تقريبا سنة 1901م.

« القسم الثاني(1902 - 1904م): وتبدأ هذه المرحلة منذ أن عهد به عمه إلى الشيخ الطيب بن الخفناوي الزواوي في زاوية أولاد رشاش بالزوي ليملك عنده في زاويته سنتين وبضعة شهور وليحفظ على يديه القرآن الكريم.

2 - المرحلة التعليمية الثانية (1904 - 1909م):

وبعد عودته إلى دوار أسطح قرر الشيخ الطيب الرشاشي أخذ تلميذه معه إلى زاوية الحنقة المعروفة بزواية " حنقة سيدي ناجي، أو بحنقة الليانة " بالقرب من مدينة بسكرة²، ومكث فيها مدة ست سنوات أتقن خلالها حفظ القرآن بالقراءة المغربية:

¹ حوار مع الشيخ الخفصي بنيسة شهر ديسمبر 1997م. وحوار مع الشيخ محمد الشوكي، وعيسى سلطان، والعب مطروح سنوات 1990م و 1992م. وعبد علي دبور، زعماء الإصلاح في الجزائر، ج 2، ص 66.

² تضم زاوية حنقة سيدي ناجي عندها من المساجد والمدارس والمصليات والزوايا، أشهرها الزاوية الناصرية المنسوبة إلى محمد بن ناصر المعروف بابن ناصر الدرعي المتوفى سنة 1085هـ، وتشتهر الزاوية الناصرية بجامعة الكبير ومدرستها، التي أشعت على الناحية بالعلم والعرفه طيلة قرنين أو يزيد، وكانت موئل علماء الزاب والصحراء والأوراس وقسنطينة وزوارة ونوايس وطاربلوس. ومدرستها تحتوي على خمسة عشر غرفة تشبع كل غرفة حوالي عشرة طلاب، ومدرستها باحة واحدة، وحولها غرف لسكني الطلاب. وكان الطالب يقرأ فيها القرآن ويبيت فيها أيضا. وعندما يصبح طلبيا حضر حلقات تدروس في الجماع المحاور المندعو جامع سيدي مدرث أو الكبير، وتضم المدرسة مراقب عديدة اجتماعية وقصدية.

وتعلم أيضا مبادئ العلوم العربية والدينية، وليضل في الزاوية طالبا للعلم إلى نهاية سنة 1909م، وفي زاوية الخنقة قرأ على يد الشيخين الفاضلين: سيدي حامد مدرس الفقه والعربية، وسيدي سالم مدرس القراءات.¹

3 - المرحلة التعليمية الثالثة (1909 - 1912م):

وتوصية من أساتذته في زاوية الليانة انتقل ليزاول دراسته في زاوية سيدي مصطفى بن عزوز النفطى الجريدي لرحماني سنة 1910م بالجريد التونسي جنوبا.² وبها حفظ متون العقيدة وعلم الكلام والمنطق والفقه وعلم الأصول واللغة العربية والأدب شعره ونثره وبلاغته.. فأقن متولها من المكودي، والأجرومي، وابن عاشر، ومن سيدي خليل.

ودرس على يد كبار علماء الزاوية أمثال الشيخ إبراهيم بن الحداد والشيخ محمد بن أحمد النفزاوي والشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ التابعي بن الوادي، وغيرهم.³

وبزاوية نفطة قضى الشيخ العربي ثلاث سنوات وبضعة شهور ليعود بعدها إلى دوار اسطح في صيف سنة 1912م متنزعا توصية من شيوخه في

وكان من طلابها الشيخ المرحوم أحمد السرحاني والعربي النبسي. انظر: أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والنحن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، 1983م، ص 260 و 261، بتصرف.

¹ انظر: زهير الزاهري، محاضرة مخطوطة، وحوار شخصي في بائة بمناسبة ملتقى الرابطة الجزائرية للفكر والثقافة الرابع في شهر أبريل 1996م. وقد بقي من زملائه الذين درسوا معه في الزاوية الشيخ بلقاسم بن السنوسي حيا لسنة 1985م.

² لم أجد ترجمة لمذنب الشيخين، ويوجد بعض الشيوخ الطاعين في تيسة من يعرفون عنهما معلومات عامة، عد بعض المعلومات التي زودني بها عنهما الشيخ (زهير الزاهري) من كونهما من أصحاب العلم الشرعي التقليدي، وقد تعم هو على يديهما في زاوية الليانة العلوم الشرعية والعربية، ولا يعرف سنة ولادتهما ووفاتهما.

³ حوار مع الشيخ زهير الزاهري في ملتقى الشباب والتاريخ الخامس بباتنة شهر أبريل 1996م والسادس شهر ماي 1997م.

⁴ نسبة إلى الشيخ مصطفى بن محمد (1288هـ - 1866م) شيخ الطريقة الرحمانية بتونس، والتي حاجها فاسد من بسكرة نشرها شقعة بالجريد التونسي. انظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 3، ص 379.. 381.

⁵ لم أتعرف على ترجمة لأي شيخ من الشيوخ المذكورين، اللهم إلا الشيخ التابعي بن الوادي الذي انضمت بصهرنا الشيخ باسلي ظريف زوج ابنته الذي لم يعطين معلومات ضافية ومدققة عنه إلا كونه عاقلا وذاهدا ورعا وتقيا، ومحامدا، وغيرها من الخصال الفاضلة. وحوار مع الحاج ظريف بوعللي تمتجهه بنسبة شهر نوفمبر 1997م.

الزاوية تركية للالتحاق بالجامعة الزيتونة بتونس، نظرا لما رأوا فيه من مخايل
الفطنة والنباهة والذكاء والاستقامة وحب العلم والإرادة في طلبه.¹
وهو ما حصل له بالفعل ليجد نفسه طالبا في جامع الزيتونة المعمور.

4 - المرحلة التعليمية الرابعة (1913 - 1919م):

التحق العربي بجامع الزيتونة المعمور بتوصية من شيوخه النفطيين الجريدين
الرحمانيين أواخر سنة 1913م - 1332هـ²، وانضم إلى طلبته فنال شهادة الأهلية
سنة 1915م - 1334هـ بعد سنتين من الدراسة والتحصيل، ثم نال شهادة
التحصيل سنة 1917م 1336هـ، واستمر في دراسته لينال بعدها شهادة التطويغ
التي تركها سنة 1919م - 1338هـ بسبب هجرته إلى مصر، وليناها عام
1345هـ - 1927م بعد عودته من مصر ودراسته بجامعة الأزهر، وليحمل
العالميتين: (عالمية الأزهر الخاصة بالغباء 1925م - 1343هـ وعالمية الأزهر
الكبرى سنة 1927م - 1345هـ).³

وهكذا ينال الشيخ العربي من جامع الزيتونة المعمور شهاداته العلمية
الثلاث: (الأهلية 1915م والتحصيل 1917م والتطويغ 1927م).⁴

¹ حوار مع الشيخ الحنفي تبسة شهر جوان سنة 1997م.

² من خلال دفتر شهادته بالجامع الأعظم المورخة سنة 1331هـ 1914م عدد 2844.

³ حوار مع الشيخ الحنفي تبسة شهر جوان 1997م. وقد أكد نفس المعلومات التي قدمها للشيخ محمد علي ديبوز
في كتابه: اعلام الإصلاح، ج 1، ص 61.. 64.

⁴ وقد درس العربي التبيسي في جامع الزيتونة على يد أكابر شيوخه أمثال: الشيخ سالم بوحاجب وعثمان بن الخوجة
ومحمد بن يوسف وبلحسن النجار والصادق النيفر والبشير النيفر ومحمد بن القاضي ومحمد بن شعبان والطيب اميالة
ومعاوية التميمي ومحمد الطاهر بن عاشور وعمر بن حمدان المخرسي التونسي المدني ومحمد الطاهر الشابي ومحمد وعبد
العزیز جعيط وعثمان بن المكي التوزري ومحمد النحلي الفيرواني وحمودة بن تاج، وآخرين وهم الذين أحازوه في دفتره
العنسي ووقفوا له بالإحازة. * لمعرفة ترجمتهم راجع محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 1، 2، 3، 4. وقد درس
الكتب التالية وناظر فيها وهي: 1 - شرح الجمع، 2 - شرح منظومة العوام، 3 - شرح الرحبية، 4 - شرح المحررة،
5 - التسليم المروني في علم النطق، 6 - شرح الخلاصة، 7 - شرح الحليل، 8 - شرح لمج البردة، 9 - شرح الشافية،
10 - شرح بلوغ المرام، 11 - شرح البردة، 12 - شرح القطر، 13 - شرح المكودي على الألفية، 14 - الموطأ،
15 - شرح الكفاية، 16 - تفسير البيضاوي، 17 - شرح سيدي خليل، 18 - الخماسة، 19 - المقاصد، 20 -

وكان الشيخ العربي قد انتخب من قبل زملائه الجزائريين في الدراسة في جامع الزيتونة ليشغل لهم منصب الكاتب العام لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين خلال سنوات: (1914-1919م)¹،

ومن زملائه الذين درس معهم الشيخ مبارك الميلي. ومحمد السعيد الزاهري السنوسي.²

وكانت تونس تشهد وقتها انبعاث حركة فكرية وثقافية وأدبية وإعلامية وسياسية.. أدارها رجال النهضة التونسية الحديثة أمثال: الزعيم السياسي عبد العزيز الثعالبي، وسالم بوحاجب، علي بوشوشة، ومحمد البشير صفر، وعبد الجليل الزاوش، وباش حاتبه.³

وقد استفاد منها العربي في تكوينه الفكري والثقافي واللغوي والأدبي والإعلامي والسياسي أيما استفادة، وصار من المناصرين الأوائل للزعيم عبد العزيز الثعالبي⁴، ومن رواد المحافل السياسية والعلمية والأدبية والفكرية ولاسيما ندوات الخلدوتية⁵، والصادقية¹.

شرح جمع الجوامع. 21 - المقولات الخمس. 22 - شرح سيدي خالد. 23 - مسند الامام مسلم. 24 - فتح الباري على صحيح البخاري. 25 - قطف الثمر الداني.

ودرس علوم المنطق والتوحيد والقرايع والفقه والأصول والسيرة والحديث واللغة والأدب والإنشاء والحساب والتاريخ والجغرافيا.. بالإضافة إلى علوم عصره.

¹ أحمد باشا، حوار شخصي في بيته ببلدة الكريف شرق تبة شهر مارس 1997م، عن والده الشيخ الطيب بن مبروك باشا المغربي الزيتوني الرحامي، الأستاذ بالزيتونة 1917م - 1919م، والقاضي العدل الميرز بالحاضرة التونسية 1919 - 1923م.

² انظر: أحمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، ج 2، ص 14؛ ص 132. وزهير الزاهري، محاضرة مغلوطة.

³ انظر: البشير بن الحاج عثمان الشريف، أضيواء على تاريخ تونس الحديث 1881 - 1924م، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، الطبعة الأولى، دون تاريخ، ص 5.. وشارل أندريه جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تعريب: محمد مزالي، البشيرين سلامة، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس، دون طبعة، دون تاريخ، ص 48.

⁴ انظر: يوسف مناصرية، ملخصات وثائق الوزارة التونسية الأولى عن نشاط الطلبة الجزائريين بتونس سنوات 1914-1919م.

⁵ انظر: ... في إحدى المناسبات نشأة حزب الزيتونة سنة 1314هـ 1896م، كان... تدرس العلوم المعاصرة، نذهب إليها نغيب طلاب الزيتونة لإتمام ما لم يدرسه فيه، وقد أسس أساتذتنا جمعية أممها جمعية الخلدوتية لعبت دورا فكريا

5 - المرحلة التعليمية الخامسة (1920 - 1927م):

انتقل العربي من تونس إلى مصر أواخر 1919م، وهو على أبواب اجتياز امتحان شهادة التطويح العالية بالجامعة الزيتونية، والتي بما سيختم بها دراسته الجامعية على متن باخرة تجارية فرنسية قديمة متجهة إلى مصر، متخفياً في إحدى مقصوراتها، ونزل متخفياً في ميناء الإسكندرية، وليس معه من النقود شيء، وليتحق بالجامع الأزهر برواق الطلبة المغاربة الذين كانوا يعيشون من بر وأموال أوقاف المسلمين الجزائريين ومن الخيرين بمصر. وقد لاقى من شيخ الرواق والمستول عنه ومن سائر إخوانه الجزائريين والمغاربة بالرواق الترحاب الكبير، مما ساعده على الإقبال بانتظام في سلك الدراسة، التي فاق فيها أقرانه المغاربة والمشاركة من الطلبة المسلمين.²

وقد دفعه للسفر إلى مصر حملة من العوامل، أهمها:

« المضايقات التي تعرض لها زعيم النهضة التونسية الحديثة الشيخ عبد العزيز التليالي الذي كان يجد مناصريه في سكان المغرب العربي قاطبة وخاصة الجزائريين منهم، كما كان يشكل مصدر إلهام للعربي التبيسي الشاب اليافع.

« الأوضاع السياسية والأمنية. القمعية التي عاشتها تونس والجزائر فترة الحرب العالمية الأولى وما بعدها، ولاسيما إجراءات الإدارة الاستعمارية الإدماجية تجاه الشعوب المغاربية.

وتتفنيا هاما، انظر: محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدارالتونسية للنشر، الطبعة الثالثة، 1983م، ص 70. والطاهر الحداد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح بجامع الزيتونة، الدارالتونسية للنشر، الطبعة الأولى، 1981م، ص 24.

¹ الصادقية أنشئت المدرسة الصادقية سنة 1874م 1291هـ لتخصص في تدريس العلوم والمعارف العصرية، بالإضافة إلى اللغات الأجنبية، وقد لعبت نفس الدور الذي لعبته الخلدونية في تخريج عدد من المثقفين التونسيين ذوي الانحد الغربي. انظر: محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقریب، دون دار، دون مدينة، الطبعة الثانية: 1408هـ 1988م، ص 114.

² كان الشيخ محمد لغزان إن كنت التي أتهد في ملحق شكر الإسلامی، الثالث، وتعتبرون خمسة شبر أوت 1989. قد أشار إلى أهمية وتفوق شيخ عربي التبيسي في جامع الأزهر مما جعله مصرع مثل نكل الشرح.

« وفاة والدته - رحمها الله - سنة 1919م التي كانت تربطه بدوار اسطح
وبالجزائر، وبعد وفاتها لم يعد يربطه بالجزائر إلا رابطة الدين والإصلاح.

« حبه ورغبته في طلب المزيد من العلم في الأزهر الشريف.

« توفر فرصة مواتية للسفر إلى مصر، وسماعه الكثير عن تفوق وتقدم مصر
وعلمائها وعن حركتها النهضة الرائدة.¹

وفي مصر شاهد العربي كل مظاهر التحضر العربي الناهض، كما شاهد
آثار الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده، واتصل بالشيخ السيد رشيد رضا
صاحب المنار الذي ظل يرسل إليه المنار بعد عودته إلى الجزائر إلى حين توقفها.²

وفي الأزهر درس كل العلوم الشرعية والعربية على يد أكابر الشيوخ³، كما
درس على يد الشيخ يوسف الدجوي والشيخ وعبد الوهاب النجار ومصطفى المراغي
ومحمد شاكر وعبد الرحمن قراعة وحسنين مخلوف وحسين والي وسيد المرصفي،
وغيرهم..⁴

وعلى يد هؤلاء الشيوخ وغيرهم من علماء مصر والأزهر والعالم الإسلامي
درس الشيخ العربي التبسي أدق وأعلى كتب اللغة العربية ومتونها والبلاغة وشروحها
والفقه وأمهاته وعلم التفسير ومدارسه والحديث وجرحه وتعديله ورجاله وسنده
ومتونه والمنطق وعلم الكلام والتوحيد والتاريخ..⁵

¹ حوار مع الشيخ الحفصي نسة جوان 1997م. وحوار مع الشيخ العيد مطروح شهر مارس 1993م.

² أعداد مجلة المنار ومجلة الأزهر والرسالة التي كان يصدرها أحمد حسن الزيات. وأعداد من مجلة الصادقة والزيتونة
التونسية.. وغيرها للمهدة لشيخ العربي التبسي مازالت في أرشيف المكتبة.

³ مساجلات الشيخ العربي مع أبنائه وبناته وأصدقائه وتلامذته وحميئه.. المذكورين في المواقف السائلة.

⁴ لمعرفة المزيد من سيرة وترجمة هؤلاء الشيوخ المذكورين وغيرهم من شيوخ الأزهر راجع: محمد كامل الفقي، الأزهر
وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، مكتبة تحفة مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ، 1965م. وعمار هلال، الطلبة
الجزائريون في الأزهر عام 1916م، مجلة الثقافة الجزائرية، عدد 79، ربيع 2 وجمادى 1، 1404هـ، جافني وفيفري
1984م، ص 119..

⁵ درس العربي: المؤامرات والاعتصام لنشاطي ومفتاح العلوم للسكاني ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني
والكشف للمعشمري ومقدمة ابن الصلاح وشرح الزرقاني عن الموضأ وحاشية الصاوي على الخلاص وشذرة الاحويدي
على صحيح ترمذي وفتح الباري للعسقلاني والجامع لأحكام القرآن للقرطبي وغيرها من أمهات العلوم دينية والعربية.

وفي مصر تابع أخبار بلاده وواقع الإصلاح والمصلحين فيها وراسل الشيخ عبد الحميد بن باديس يهنئه بنجاحه من حادث الاعتداء عليه¹، الذي تعرض له من قبل الدعي العليوي السفاك².

وفي مصر اتصل بالكتاب والأدباء والشعراء والعلماء والفقهاء والمصلحين والسياسيين فقد ثبت عنه³ أنه كان يحضر جلسات الأرباع للأديب طه حسين ومسامرات العقاد والمازني وأحمد حسن الزيات، كما سمع لشوقي وحافظ إبراهيم وعلي الجارم، وغيرهم من الشعراء والنقاد. بالإضافة إلى متابعتها الجادة لأخبار وتحركات السياسيين، ولاسيما الزعيم المصري الشهير سعد زغلول باشا⁴.

وفي مصر كتب مجموعة من المقالات نشرها في الصحف المصرية عن الأوضاع في الجزائر⁵، ويتخرج من مصر عام 1925م بحمل شهادته العالمية الخاصة بالغرابة ولا يكتفي بها، بل يستزيد للحصول على العالمية الكبرى سنة 1927م متبحرا في العلوم العربية والدينية والواقعية، ومزودا بتجارب دعاة الأزهر والمصلحين بمصر، وليلتحق بإخوانه المصلحين بعدها في الجزائر التي يدخلها من تونس أواخر شهر سبتمبر 1927م.⁶

وقد اصطحب هذه الكتب لما عاد إلى الجزائر معه وهي موجودة في مكتبته وعلى الكثير منها تعاليقه بخط يده، عدا المسروقة والمخجوزة والمصادرة في مراكز أرشيف الإدارة الاستعمارية.

¹ راجع جريدة الشهاب، السنة الثانية، عدد 82، قسنطينة، الخميس 03/02/1927م، الموافق لـ 30 رجب/ 1345هـ ص 14، ورسالته مؤرخة يوم 12/رجب/1345هـ الموافق لـ 16/01/1927م.

² تعرض الشيخ ابن باديس لاعتداء صارخ عليه من قتل أحد مريدي الطريقة العليوية بمدينة قسنطينة، راجع جريدة الشهاب، قسنطينة، عدد 76، الخميس 18/جمادى/1345هـ الموافق لـ 21/12/1926م.

³ حوار مع أبنائه وبناته وأخيه الشيخ الحفصي تبسة شهر أوت 1997م.

⁴ حوار مع الشيخ الحفصي تبسة شهر أوت 1997م.

⁵ لم أعر له على مقالة في الصحف المصرية غير أن الدكتور أحمد مورق مستشار وزير الشؤون الدينية السابق (أحمد مراني) كان قد أخبرني بأنه رأى في مصر مكتبة جامعة الأزهر مقالات منشورة للشيخ العربي التميمي في صحف المنتصم واللواء والمؤيد المصرية، ووعدني بمحني نسخها عنها ولم يفعل إلى الآن، ولعله يفعل بإذن الله، ولعمري هي التي نشرها في جريدتي الشحاح والشهاب.

⁶ حوار مع أهل الشيخ وقد شاهدوا المعين(رمون لاقيارد) نيلة إلقاء القبض عليه 04/04/1957م 04/رمضان/1375هـ بحمل حقيقته الشيخ الجلدية البنية اللون التي كان بها شهادته وأوراقه الثبوتية كلها، والتي كان

وما يلاحظ على فترة تعلم الشيخ العربي ما يلي:

« طول مدتها الزمنية، فقد مكث يتعلم خمسة وثلاثين عاما كاملة (1895-1927م)، وهي مدة طويلة جدا إذا ما قيست بالمدة الزمنية لطلاب العلم الأقدمين السابقين له والمحدثين المعاصرين له أو اللاحقين من بعده، وهي - بحق - ظاهرة ملفتة للانتباه، لا نملك عليها أي تفسيرات حقيقية ومقنعة، اللهم إلا بعض التبريرات التي لا تعدو أن تكون مجرد مسوغات من الباحث لا غير.

« واعتقادي أن الشيخ العربي لو أرّخ لحياته العلمية أسوة ببقية الكتاب لقال وكتب عنها الكثير، فهو قد تعلم في كتاب القرية في حيمة جده وأعمامه سنوات (1895-1902م)، وهي مدة طفولته الأولى وكان قد قارب العشر سنوات، ثم تعلم في زاوية أولاد رشاش بالزوي سنتين وبضعة شهور (1902-1904م) وهو ما يزال في طور الطفولة المتأخرة في سن الثالثة عشر، ثم نجده ينتقل إلى زاوية الليانة بالحنقة ليمكث فيها حوالي ست سنوات (1904-1909م)، ويتخرج منها وعمره حوالي تسعة عشر عاما. ثم ينتقل بعدها إلى زاوية سيدي مصطفى بن عزوز الرحمانية بنقطة بالجريد التونسي ويتخرج منها وعمره حوالي ثلاث وعشرين عاما (1909-1912م)، ثم ينتقل إلى جامعة الزيتونة ويتخرج منها وعمره حوالي ثمان وعشرين عاما (1913-1919م)، وينتقل إلى الأزهر وعمره حوالي تسعة وعشرين عاما ويتخرج منه رجلا يافعا وقد ناهز السابعة والثلاثين عاما (1920-1927م).

« وما يمكن أن نقوله في هذه المدة الزمنية التعليمية الطويلة أنها أكسبته التمكن العلمي الأصيل، فعدم اقتناعه بما كان يقدم له في كل مدرسة جعله يتقدم إلى المدرسة الأعلى منها، إلى أن حظ رحاله نطلب العلم بالقاهرة العامرة بالعلم والعماء والأدب والأدباء والإصلاح والمصلحين وبأزهرها الشريف، حيث انتهى العلوم الدينية وقمتها، وهناك وصل إلى مرحلة التبحر والعالمية، وهذه المدة الزمنية

١. نقل تمسلا فادادوا له بحاسب ريارته فادادته دار الحديث سنة 1937م. وهي موجودة في مركز رشيد (كس)

الطوبى هي التي بوأته المكانة العليا لدى رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعلى رأسهم الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس والإبراهيمي والمليبي والعقبي ولدى غيرهم من الاستعماريين والسياسيين والإداريين.. وكذلك رجال الحركة الوطنية الجزائرية، وعامة الشعب الجزائري..

« تنوعها الزماني: بظروفه وملابساته وتناقضاته، والمكاني: بظروفه وملابساته وتناقضاته أيضا. والكياني: بظروفه وملابساته وتناقضاته. بحيث توزعت - مرحلة تربيته وتكوينه وإعداده - على مناطق وحواضر العلم الشهيرة والمختلفة في العالم العربي (الجزائر: زاوية الحنقة. تونس: زاوية نفضة والزيتونة مصر: الأزهر)، ولكل حاضرة علمية خصائصها وميزاتها الخاصة التي أكسبته شخصية علمية فريدة، فيئة تقدم الحفظ على الفهم حيث كان الشيخ العربي يحفظ فيها عشرة آلاف حديث صحيح بسندها، إلى بيئة تقدم العقل على الحفظ والنقل والرواية..

« شمولها واتساعها لكل العلوم العقلية: (التوحيد. علم الكلام. المنطق. الفلسفة..)، والتنوع: (اللغة. النحو. الصرف. البلاغة. الحساب. التاريخ الإسلامي..)، الدينية: (الأصول. المقاصد. الفقه. الحديث. التفسير. الفرائض. السيرة. الدعوة..).

« اشتراك عاملي المحجرة والرحلة في تكوينه، فالرحلة بكل معارفها وخبراتها وتراكماتها المختلفة.. - كما جاء في الأثر - معلم ومكون ومرب ومؤطر ثان.

« تنوع مجالاتها التربوية، ووسائلها وأدواتها وعناصرها، ومؤطرها.. فقد تلقى تربية وتكويننا دينيا خاصا في بيت أبيه أولا، ثم عند عمه ثانيا، ثم عند شيخه الطيب الرشاشي ثالثا، ثم عند شيوخه سيدي سالم وسيدي حامد اليشانين، ثم عند شيوخه النقطيين الجريدين، ثم عند شيوخه الزيتونيين، ثم عند شيوخه الأزهرين، بالإضافة إلى غيرهم من الكتاب والشعراء والأدباء والزعماء، الذين تأثر بهم وأخذ عنهم الكثير من المعارف والقيم والتجارب.. فشكلت فيه كل هذه السيول المختلفة من التكوين والتربية والتأثير شخصيته الدعوية والإصلاحية

والسياسية والجهادية، وقد شاهد الشيخ العربي - عن كُتُب خلال فترات حياته المختلفة - أنماطا مختلفة من التربية ومن الرجال والشيوخ، كما شاهد وعاش أنماطا متناقضة ومختلفة من المجتمعات عكست ظلالها عليه وكونت شخصيته، وتركت رواسها الإيجابية والسلبية فيه، وحفرت فيه تأثراتها العميقة، فمن تلميذ صبي في كتاب القرية، إلى تلميذ طفل في كتاب الزاوية، إلى شاب بالغ في الزوايا النائية والمعاهد العليا والجامعات إلى رجل يافع ناضج في الأزهر الشريف تكونت شخصية العربي التيسي.

وعليه فإننا إذا أردنا أن نحصي بدقة المكونات التربوية والبكونية التي ساهمت من قريب أو من بعيد في تكوين شخصية العربي التيسي فإننا نلخصها ونحصرها في العناصر التالية:

- « الظروف الطبيعية القاسية، والبيئة المناخية الشديدة.
- « الظروف الحياتية القاسية: (الخيمة. البداوة. الرعي. التنقل. عدم الاستقرار..).
- « اليتيم والحرمان العاطفي من عاطفتي الأمومة والأبوة.
- « المحجرة والاعتراب والعيش بعيدا عن وسطه التربوي والاجتماعي الطبيعي.
- « حياة الروايا الصارمة (تربية وتكوينا وتأطيرا وإعدادا في أبعاد الإنسان: التصورية. والعقدية. والعاطفية. السلوكية. الاجتماعية. الإنجازية).
- « حياة الزيتونة والأزهر السويتان، وتفاعلات المجتمعين التونسي والمصري فيه.
- وعليه، فإن لكل مرحلة من مراحل تربيته وتكوينه المختلفة أثرها في تكوين شخصيته وتشكيل عقله ووجدانه وسلوكه.

* المطلب الثالث: عوامل نبوغه.

يمكن حصر عوامل نبوغ شخصية الشيخ وارتقائها إلى مصاف العلماء العاملين، والمصلحين المجددين، والدعاة الجاهدين، والأعلام البارزين إلى عدة عوامل أهمها:

- « العوامل الوراثية.
- « العوامل البيئية الطبيعية.

« العوامل التربوية التكوينية الاكتسابية.

« العوامل الواقعية الحياتية المرتبطة بوضع الجزائر والجزائريين خاصة،
والعرب والمسلمين عامة.

وسنحاول تناول هذه العوامل الأربعة مبرزين دورها ومكانتها وتأثيرها في تشكيل شخصية الشيخ - رحمه الله - كداعية ومصلح مجدد، وعالم مجاهد.¹

1 - العوامل الوراثية:

لعبت العوامل الوراثية دورها في تشكيل شخصية الشيخ العربي إذ حياه الله بسطة جسدية فارعة كسائر رجال قبيلته الجذور، ثم إن الله قد رزقه قدرة هائلة على الاحتمال والصبر، وذلك بما زوده به من طاقات وإمكانات جسدية وعقلية وروحية، وقد رزقه الله وجهاً أبيض مشوياً بحمرة على الخدين، متألقا إذا بدا في الصباح متيراً إذا غدا في المساء. يجلب بوجهه البشوش الأبيض التأثير في الناظرين والمتململين فيه والمستمعين إليه، وقد أشبهه في محيا وجهه ابنته الحاجة عينة وابنه عبد الحميد.²

وقد كان - رحمه الله - ربة في الرجال، متوسطاً لا بالطويل ولا بالقصير، متوسط الجسم، غير مثقل بالشحم، كما كان حاداً عصيباً منفعلاً، سريع الغضب والتأثر، أصيب في أخريات أيامه بمرض السكري وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين من جراء حزنه تألمه الشديد على وضع العرب المسلمين الجزائريين المزري، وموقف الكثير من الجزائريين المخزي من بلادهم، وموقف الكثير من المندسين من أعوان الاستعمار وجواسيسه في صفوف جمعية العلماء، فقد كانوا أكثر الأوصاف تأثيراً في نفسية الشيخ.³

¹ راجع سيرة رسول الله ﷺ في كتب السير لابن هشام وابن كثير والسيرة الحلبية وغيرها..

² راجع مثلاً: سير أعلام النبلاء للذهبي. البداية والنهاية لابن كثير. وفيات الأعيان لابن خلكان. فوات الوفيات للكني.

بقية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم. تاريخ الكامل لابن الأثير. تاريخ الطبري، ففيها ترجمات وافية لأعلام الرجال.

³ وذلك من خلال وصف أبنائه وبناته وتلامذته ومحبيه وأصدقائه العديدين المذكورين في هوامش الدراسة والأكثر وبالنسبة إلى ابنه عبد الحميد فقد كان من أواسط أبناء الشيخ، وتقلب في المناصب العسكرية بعد الاستقلال، وكان من كبار قادة جبهة التحرير الجزائرية إلى أن توفي رحمه الله سنة 1993م، وحول مع صاحبة عينة ابنة شيخ نزهة عيصة

هذا الصنف الخيالي كان أكثر الأصناف إثارة لعصبية وانفعال وغضب الشيخ، إذ كان - رحمه الله - يعرفهم معرفة حقيقية وإيمانية بمدى موالاهم الصادقة للاستعمار، فكان شديد أهم منهم، دائب الحزن سريع الغضب يفعل إذا رآهم، ويفضب إذا سمعهم يشيرون أو ينصحون، ويتألم إذا أبدوا قولاً أو عملاً ظاهره فيه حب للجزائر وخدمة للإسلام.¹

2 - العوامل البيئية الطبيعية:

إن المكان الذي ولد وعاش وترى فيه الشيخ العربي ولاسيما في فترة طفولته (1891-1902م) كان في دوار اسطح الصخري الجبلي، القاسي المناخ، الشديد التضاريس²، الذي لعب دوره في صياغة شخصيته، وهيئته الجسدية القوية، حيث تنفس هواء نقياً صافياً، وتمرس في بيئته الصخرية القاسية، وكابد مشاق الطبيعة الباردة والحارة، فكان شديداً صلباً قوياً متمرساً صبوراً بعيد الاحتمال. على عكس الناشئين في وعجم المدن، وزحم الناس، وفساد الهواء، وسهولة التضاريس، وتوفر وسائل الحياة والعيش، وتواجد المرافق.. فكان للبيئة الشديدة القاسية أثرها في تكوين ونمو شخصيته القوية.

وهي نفس البيئات القاسية التي عاشها في فترات طفولته المتأخرة وشبابه ورجولته في الزوايا والجامعات، والغربة (1902-1927م).

¹ حدثني الحاجة بيمته في سفرها شهر سبتمبر 1997م، أن ولدها كان شديد التأثر من هذا الصنف الخيالي، وذكرت لي بعض الأسماء للمندسين والمثاقين والمثاقين من الحقنة وأعوان الاستعمار الذين كانوا يتقنون أحجار وتحركات الشيخ بل أجهزة الأمن الاستعمارية، وسمتهم لي بأسمائهم ٤. وأن الشيخ رحمه الله كان عالماً بهم، ولكنه لا يستطيع فعل أي شيء ضدهم بل كان يرجئ أمرهم لله، ويقول إني أفعل ذلك أسوة بما فعله رسول الله ﷺ مع المثاقين. وقد بينت تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية الأمنية عن بعض أولئك المندسين الموجودين في قسم الآثار، فصل التقارير السرية. ولن نذكر أسمائهم نظراً لعدم استيفاء الأجل القانوني فيما له صلة بحقوق الكشف عن وثائق الأرشيف المتعقبة بحياة وسمعة الأشخاص، والمقدر بستين سنة من تاريخ وفاتهم، نظراً لما يسببه ذلك للكشف لهم من ضرر معنوي.

² مزيد من التوضيح من بيئة وتضاريس ومنتج النضفة نظر الدراسات الجغرافية الموسعة حول مناخ وتضاريس الجزائر.

3 - العوامل التربوية والتكوينية الاكتمالية:

تربى الشيخ العربي في بيئة تكتسب قوتها بيدها، وتعتمد على المواشي غالباً وعلى الأرض أحياناً وتصنع حياتها ووسائل عيشها من الأرض والماشية، فالمرافق الحياتية على طبيعتها الفطرية الأولى، والماء من الآبار والوديان والسيول والأحواض، والمشروبات من مشتقات ألبان المواشي، والطعام مما تغله الأرض من الحبوب البعلية، والكساء والسكن من أوبار وأصواف المواشي ووسائل النقل الحيوانات: (الخيل، والبغال، والحمير)، وهكذا..

والذي ينشأ في بيئة بسيطة متواضعة هادئة كهذه سيأخذ - لا محالة - منها بساطتها وتواضعها، ويبقى متحلياً بفطرته التي فطر الله الناس عليها، ومع بساطتها تتولد فيه قيم التبسط والاستقامة، ومع تواضعها تتولد فيه قيم المباشرة والصدق والوضوح، وتتفي عنه أساليب المدينة القائمة على المراوغة والاستدارة والتلاعب والدبلوماسية والنفاق والملق.

ومع هدوءها وسكونها ووداعتها ستتولد في نفسه قيم الوداعة والتوادد والتراحم، ومع شدتها وقسوتها تنتشأ فيه قيم الصبر، وتعمق فيه دوافع حب العمل، والاعتماد على النفس، وحب الآخرين.

ومع أخلاقها العربية الإسلامية الأصيلة التي درج عليها ستتولد في نفسه أخلاق البدو الأصل الجميلة، من: كرم ومروءة وشهامة ونجدة وإغاثة للمنهوف.. فلا غرو إذن عندما نجد سرعة استحابة أهل البادية لأعمال الخير والبر، والمصارعة للجهاد في سبيل الله، ونصرة الإسلام والمسلمين.¹

وقد كان الشيخ العربي -رحمه الله- ممن درجوا في هذا النمط التربوي البدوي العربي الإسلامي الأصيل الشديد المراس، وبالتالي فقد عمقت فيه مواطن تربيته المختلفة قيم الإسلام الأصيلة القائمة على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها) فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله...².

¹ وهذا حال جميع التورات والحركات التحديدية ولا تنحصرات تنورية في العالم الإسلامي عامة وفي الجزائر خاصة.

² سورة البروج، آية 32.

فحدة الشيخ وعصبية وغضبه التي كانت مطية يمرق منها خصومه كمطاعن في شخصيته - رحمه الله - إنما نشأت لديه من تنافر طبيعته المستقيمة مع طبائع الناس الذين تعامل معهم ممن جبلوا على النفاق والخديعة والمراوغة والكذب.. وقد كانت جل خلافاته مع الشيخ توفيق المدني، ومحمد خير الدين¹ لتنافر طبيعتهما المدنية المحبولة على حياة المدينة وليوتتها ومراوغاتها، إذ كانا يستمران كل أساليب المدينة المائعة التي يتقزز منها الشيخ²، ومن هنا كان خلافه معهما ومع غيرهما بسبب تنافر الطباع، واختلاف القيم، وتباين أنماط التربية والسلوك.

ولذا فقد كان الشيخ العربي يحسب له ألف حساب في الجمعية، وكان قريبا ومحبا بشكل خاص إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي - رحمهم الله أجمعين - ومبارك المليي، الذي قال له ذات مرة: (.. أحمد الله أن خلقك مسلما، وإلا لما كنت تهتدي إلى الإسلام؟)³.

ومن هنا يبدو الفرق جليا بين المستويين والتربيتين والطبيعتين، طبيعة سوية مستقيمة مباشرة لم تلوثها أدران المدنية ومفاسدها، مازالت على فطرتها وسجيتها، ولم تعقدها تقليعات وأديبات وتحذلقات المدينة، وشتان بين الطبيعتين؟ وشتان بين التربيتين؟ وشتان بين المستويين؟ مستوى أول خالص لله ومستوى آخر يخلط مع الله أشياء أخرى، مستوى يخلص ويتفانى لله، ومستوى يحاول سلوك طريق الإخلاص، ويحاول التفاني على عجز في الجبلية وفساد في الطبيعة وعجز في التربية الأصيلة وخاصة الطفولية منها. فشتان بين المحاولة في الإخلاص والمحاولة في التفاني، وبين الإخلاص عينه والتفاني عينه، ومن هنا نشأت مطاعن الخصوم عليه، ومن هنا نشأت الخلافات بينه وخصومه: إنها خلافات في التجذر المرجعي للطبيعتين وللمستويين وللتربيتين، خلافات

¹ من أبرز رجال الجمعية.

² حديث مع الشيخ والأستاذ والقاضي والحامي محمد مرواي البسكري مدير مدرسة تهاب البين والبنات بسكرة سنوات 1950-1955م. حوار بالمرکز الثقافي الإسلامي بمدينة بسكرة يوم 08 رمضان 1418هـ - 06 جانفي 1998م.

³ محمد البلي صبر الشيخ وزوج ابته زينب، محاضرة مخطوطة القيت في مهرجان الشيخ بنسة يوم 04 أبريل 1985م، ص 19.

في التأصل التربوي في حقيقة ونوعية الطباع والسلوكات والنظرة إلى الأشياء وتصورها والحكم عليها، ومن هنا كتب الله للشيخ الشهادة في سبيله حيث فر من فر، وصمد الشيخ ولم يصمد غيره، ونال الشهادة ولم ينلها غيره.¹

4 - العوامل الواقعية المرتبطة بوضع الجزائر والعرب والمسلمين:

نشأ الشيخ العربي يتيما فقيرا معدما محروما. شأنه في ذلك شأن سائر الأطفال الجزائريين، فقد تروى في أسرة بدوية ترتزق بكدها، كسائر الأسر الجزائرية التي لم تملأ الاستعمار أبدا ولم تقادته.

وقد قضى الشيخ العربي فترة طفولته البائسة في ظل قوانين الأندلس القهرية محروما - كسائر الجزائريين - من أبسط الحقوق الإنسانية والبشرية، لاقية لإنسانيته مع غطرسة المستعمرين، يسخرونه كيفما يشاءون في الحروب والصراعات الاستعمارية، نشأ في ظل سياسة الحاكم المستبد المخدوم دوماً المحسوب له ألف حساب، نشأ في تعداد الشعب المقهور، المسخر لخدمة الاستعمار وأبنائه وأعدائه.

نشأ في ظل أحزاب تحترف النفاق السياسي، وفي ظل قادة وأعيان عبيد للاستعمار، نشأ في ظل هيمنة الخرافة والرهمة والطرقية الضالة المضلة المستغلة للدين الإسلامي الحنيف، الآكلة بتعاليمه عرق الضعفاء وجهد المقهورين الجزائريين من رجال الزوايا والطرائق - كما كان يسميهم رحمه الله - الذين تفرغوا للإجهاد على الفتات الذي ينتزعه المقهورون من الاستعمار، نشأ في ظل استغلال المشعوذين للدين، وفي ظل مدينة الأخيار القيمي والروحي والتردي الأخلاقي الفظيع.

وقد تراكمت كل هذه العوامل المتناقضة في تكوين نفسيته، وتشكيل قناعاته، وصياغة أحكامه وتصوراته، وهو عالم الشريعة العتيد والداعية القوي الذي كشف مواطن الباطل، وعرف بجاهلية وظلم الاستعمار المتخفي في أنوار المدنية الزائفة، وبالتالي فلا غرابة أن نجده ينشأ حاقدا على الاستعمار، مبغضا له، حانقا على أعدائه،

¹ استأول مرفق الشيخ من الاستعمار، وموقفه من الثورة، وموقفه من المفاوضات مع القادة الاستعماريين. ومن زميله محمد خير الدين وأحمد توفيق المدني وغيرهما.

كارها لنظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، الذي سلطه على الشعوب المقهورة بالحديد والنار.

وعزز تلك النشأة وضع العرب والمسلمين المزري سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ودينيا وتربويا، حيث مكانتهم المزرية في آخر الأمم في العالم، متغافلين عن ماضيهم الجليل ومستقبلهم الذي فيه عزهم وعن دينهم الإسلامي الذي فيه صلاح واستقامة حالهم ومآلهم.

لقد أثرت هذه العوامل الإقليمية والعالمية أيضا في تكوين نفسيته وفي تشكيل تصورات وأحكامه ومواقفه المختلفة، فمن الطبيعي إذن أن يلبس الشيخ لكل حال لبوسها مادامت تصرفاته وأخلاقه مؤصلة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ القائل: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)¹. وهكذا تكون وتربي وعاش، واستشهد في سبيل الله.

¹ سورة الأنعام، آية 154.

مهامه. نشاطاته. وظائفه

* ملهيد:

لا يمكن الفصل واقعا بين مختلف جوانب شخصية الشيخ العربي نظرا لاعتبارات كثيرة، ذلك أن شخصية الشيخ كانت تتحرك ضمن دوائر متداخلة ومتشابكة ومتنوعة، تاركا فيها تأثيرات متنوعة، وبالتالي تتداخل جوانب شخصيته المختلفة في الدائرة الواحدة بين المربي والمعلم والداعية المصلح. وعليه فلا يمكن فصل شخصيته الدعوية الإصلاحية عن التربية التعليمية عن السياسية. من بعضها.

وبناء على ما سبق لا يمكننا - منهجيا - تناول جوانب شخصية الشيخ مجتمعة، وبنفس السياقات والمستويات المتداخلة والمتشابكة لتعذر ذلك منهجيا وواقعا. فحاولنا القيام بتبسيط منهجي، القصد منه محاولة منهجه نشاطاته ضمن أطر علمية منهجية، الهدف منها عرض مسيرته التاريخية عرضا سريعا وشاملا حسب التقسيم التالي:

* أولا محور وظائفه المهنية:

والذي يتدرج وفق الإطار الزمني التالي:

1. مرحلة ما بعد عودته من مصر 1927-1929م.
2. مرحلة إدارة مدرسة سيق الابتدائية 1929-1932م.
3. مرحلة إدارة مدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة 1933-1947م.
4. مرحلة إدارة معهد عبد الحميد بن باديس 1947-1956م.

* ثانيا محور مهامه الدعوية والإصلاحية:

والذي يتدرج وفق الإطار الزمني التالي:

1. مرحلة العضوية في جماعة الرواد 1928م.
2. مرحلة العضوية في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931م.
3. مرحلة العضوية في المجلس الإداري لجمعية العلماء 1932-1956م.

٤. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.
٥. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.
٦. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.

١. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.

٢. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.

٣. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.

٤. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.

٥. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.

٦. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.

٧. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.

٨. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.

٩. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.

١٠. سرحنا أدبناك الغداة جميعها العنداء المسموم بحر أوردت في كتابها "سرحنا أدبناك" ص ١٤٠.

* المطالب الأول: تتناطحة المهني

وصف الأستاذ مالك بن نبي في كتابه (مذكرات شاهد القرن) ^١ مسورة الشيخ الإصلاحية والاشعرية بعد عودته إلى تبسة من مصر فقال: ((... سار الشيخ العربي التسي على خطى سابقه من الشيوخ الذين يدقوا عملية الإصلاح تبسة بعد عودتهم من زواوية نفضة بالجزيرة التي كانت توفر قدرًا من العلم الشرعي والعربي لا يأمن به مطالب الزيت، الذي يريد أن يعود لبلدته للإمامة والخطابة والإصلاح. وكان الشيخ الذي أتى في الشيخ العربي التسي في زواوية نفضة بالجزيرة محمد بن إبراهيم النفضي، الذي كانت تربطه صداقات مع القواعد الصليبي تبسة فيقضي عطائه الصوفية فيها، وقد سبق الشيخ العربي لتدعوة الإصلاحية الشيوخ عمول والصادوق بن خليل والشيخ سليمان...)) ^٢

يشهد هذا النص على جدية الشيخ العربي في التسارعة إلى العمل الإصلاحي، وذلك تأسيًا بمن سبقه من مصلحي البلاد، ولذا فقد وجدنا الشيخ العربي يسارع لاستكمال مسيرته العلمية أولاً. ثم يتلطف للعودة إلى تبسة ليواصل عمله الإصلاحي التعبيسي على أسس علمية قوية. وقد بدأ نشاطه التعليمي الإصلاحي بممارسته لمهنة

^١ مرجع سابق، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص ٨٥.

^٢ سلف ترجمة هؤلاء الشيوخ، وقد أدرجت فيها من الشيوخ الكبار من عناصر الشيخ وحوارته في أدق التفاصيل عن وضع تبسة الفدائي والتمكري قبل وبعد عودة الشيخ إليها، وسيرة الكبر من حوارهم لاحقًا في المباحث القادمة.

التربية والتعليم مدرسا، والإمامة والوعظ والإرشاد في جامع ومدرسة تبسة، ثم في مسجد سيدي أبي سعيد لاحقا، مارا بالمراحل التالية:

1 - مرحلة ما بعد عودته من مصر (1927-1929م):

فبعد عودته من مصر عام 1927م نجده يركن إلى مسجد أبي سعيد الذي كان يرتاده فترات عطلة بعيد عودته من الدراسة في الروايا والزيتونة، لينظم فيه دروسا دينية دعوية يومية بعد صلاة العشاء في: الحديث والتفسير والفقه والسيرة والتاريخ الإسلامي، تناسب مستوى عامة الناس من سكان تبسة.

كما اشتغل بالتجارة مع أبناء عمومته في محل لهم بتبسة لبيع وطحن الحبوب، مستغلا في نفس الوقت أرض أبيه في دوار اسطح للزراعة، والانجار بمواشيه ليكسب رزقه تأسيا بمنهج الشيخ عبد الحميد بن باديس¹، الذي نصحه شيوخه - إذا أراد بالفعل خدمة الدين الإسلامي - باعتزال الوظيفة وتجنب الارتفاق بالعلم الشرعي نظرا لما يجلبه وظيف الحكومة المشنوم من ضغط وتبعية وإذلال..²

وبعد مجيء الشيخ العربي انفض رواد حلقات الشيخ عمول العبيدي والصادق بن خليل وسليمان ابن طيار من الجامع العتيق والمدرسة الصادقية وزاوية سيدي عبد الرحمن، والتحقوا مباشرة بحلقته في مسجد أبي سعيد، وقد حاول الشيخ تبعية رجال الإصلاح بالمدينة بعد أن غص المسجد بالرواد الانتقال إلى الجامع العتيق، ولكن أعداء الإصلاح من الطرقيين وأتباع الإدارة الاستعمارية من الأئمة الرسميين

¹ يروي الشيخ الحفصي: أن الشيخ العربي لما عاد من مصر اتصل فورا بالشيخ ابن باديس، وتحدث معه مطولا، وقد سأله الشيخ الحفصي ذات مرة عن سبب اشتغاله بالتجارة، وعدم طلبه للوظيفة الاستعمارية، فأجابته بالما نصيحة الشيخ ابن باديس، وقد أشارت الشهاب إلى ذلك وامتدحته، وقد أشرنا إلى ذلك في الملحق، ثم إن تقارير الإدارة الاستعمارية الأمنية نعتته في أحد تقاريرها البوليسية بأنه تاجر تبسة له اتجاه إصلاحية. تقرير بوليسي صادر عن أمن قسنطينة مؤرخ في 1932/03/15م.

² راجع: مقدمة الدكتور عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره، ص 12.. 68.

وعلى رأسهم الشيخ سليمان بن طيار، ومحمد الصالح جلاي¹ اللذين تدخلوا لدى الإدارة الفرنسية فممنعته من التدريس فيه فعاد من جديد إلى مسجده القديم.²

وظل الشيخ العربي تبسة مدرسا وواعظا ومرشدا بمسجد أبي سعيد متحدثا العراقيين الاستعمارية من جهة، وعراقيل أتباعه من الطرقيين والأئمة الرسميين والشيخ ابن باديس يتابع بدقة معاناته معهم، إلى أن دعاه لإدارة مدرسة سيق الابتدائية أواخر سنة 1929م، فترك الشيخ العربي بلده تبسة مكرها، كما ترك أهله على مضض، بعد أن كانت أمانيه الإصلاحية كلها معلقة في مدينة تبسة التي كان يعدها منطلقا استراتيجيا، وقاعدة ناهضة للدعوة والإصلاح.³

2 - مرحلة إدارة مدرسة سيق الابتدائية (1929-1932م):

كما يروي الأستاذ مالك بن نبي في مذكرات شاهد القرن حثيات التطور الاجتماعي في الجزائر عامة وفي تبسة خاصة، وقائع انتقال الشيخ إلى مدينة سيق واضطلاله بالتدريس وإدارة مدرستها الحرة الابتدائية، حيث يقول: ((...حرارة الإصلاح بدأت تجتاح وهران فالناس في بلدة سان دوي دو سيج - St DENIS DU SIG بنو مدرسة دعوا من أجل إدارتها الشيخ العربي النبسي، وكان "باش آغا" المنطقة "بوشيجا" يدلي بنصيبه من تلك المبادرة، إذ كان يغطي من جيبه الخاص ميزانية المدرسة وإدارتها. كانت هذه سمات ذلك العصر، فقد كان الناس يلتزمون بعمل اختياريهم دون أن يدخلوا في حسابهم رأي الإدارة)).⁴

وقد وصف الأستاذ (محمد علي دبويز) استقبال أهل سيق للشيخ العربي النبسي بقوله: ((وقد استقبل أهل سيق الشيخ العربي النبسي استقبالا عظيما، لأنهم وجدوا فيه

¹ الشيخ محمد الصالح جلاي: من مواليد تبسة سنة 1888م، من أسرة تبسة تعاونت مع الاستعمار، وأثرت خلال الفترة الاستعمارية كان إماما للجامع العتيق من طرف الإدارة الاستعمارية إلى قبيل الاستقلال. توفي سنة 1961م.

² انظر: محمد علي دبويز، أعلام الإصلاح في، ج 2، ص 17 و 22.. ومالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 100.. حوار مع أهل المدينة المسنين من رواد الحلقات. وحوار مع ابن الشيخ الصادق فتحي.

³ حوار مع الشيخ الخفصي بمؤله شهر سبتمبر 1997م. والشيخ العيد مطروح بمؤله تبسة شهر سبتمبر 1992م. وحوار مع الشيخ محمد الشويكي عن عايش ملقبي الفكر الإسلامي ثلاث والعشرون المنفذ تبسة شهر نون 1989م.

⁴ مذكرات شاهد القرن، ص 189.

بقيتهم لمدرستهم ولمدنيتهم ولجتمعتهم، وقد بهرهم بشخصيته القوية الناضجة، وورعه الشديد، وشدة تمسكه بالدين، وبعلمه الغزير، وذكائه الرقاد، وبفصاحته البالغة، وشدة تأثيره في الناس، وجدته في كل شيء، وعدم ميله إلى التسلية والمزاح...¹

وقد شكل الشيخ العربي أثناء تواجده بمدينة سيق طليعة إصلاحية، قوامها جماعة إرشادية تعمل لصالح الدين والجزائر، كما تكونت بمقابلهم الجماعة المناوئة للإصلاح من الطرفين والأئمة الرسميين وأدعياء العلم، وظل الشيخ العربي معلما ومدرسا ومديرا وواعظا وإماما وخطيبا وقاضيا بين الناس إلى أن حل وفد من أهل تبسة، يضم السادة: الصادق بودراع وحواس بن إسماعيل ومحمد رسول وعبد الحفيظ مستقلجي² بمدينة سيق صيف 1933م - بعد مرورهم على الشيخ ابن باديس مستأذنين... معتذرين للشيخ العربي ومرغبين له ضرورة العودة إلى تبسة ببلدته، حيث أهل وعشيرته وأبن سجد بمجهوداته التربوية والتعليمية، والدعوية. صداها، فاشترط لعودته ثلاثة شروط قبلوها مباشرة، وهي:

« تأسيس جمعية خيرية.

« ثم بناء مدرسة عربية إسلامية حرة.

« بناء مسجد جامع حر من سيطرة الإدارة الفرنسية وأئمتها الطرقيين

والمرتزقة...³

¹ انظر: ديزو أعلام الإصلاح، ج 2، ص 27 و 28 و 29، بصرف.

² الصادق بودراع: تاجر بمدينة تبسة، ومن أعيانها، ومن معيني الإصلاح بها، ولد سنة 1888م وتوفي سنة 1965م، كان ذراع الشيخ العربي التبسي في نشاطاته الإصلاحية كلها.

* حواس بن إسماعيل: تاجر من تبسة ومن أعيانها، ومن معيني الإصلاح، ولد سنة 1880م. وتوفي سنة 1942م بواء الطاعون الشهير الذي أصابها. كان ذراع الشيخ الثاني في سائر نشاطاته الإصلاحية.

* محمد رسول: تاجر، ومن معيني الإصلاح في تبسة ترأس جمعيتها الخيرية إلى أن توفي سنة 1959م.

* عبد الحفيظ مستقلجي: تاجر، ومن معيني الإصلاح بتبسة، كان أمين مالية الجمعية الخيرية بتبسة، توفي سنة 1984م. وكان معهم أيضا من أهل تبسة السادة مصطفى ميدة ومحمد بن مهرق، غير أننا لا نملك ترجمة عنهما، كما أخبرني بذلك الشيخ إبراهيم مرهودي في حوار بمحله بقرة الحمامات تبسة شهر جوان 1993م.

³ انظر: ديزو، أعلام الإصلاح، ج 2، ص 23 و 24 و 25، بصرف. حوار مع أبناء الطيخ السيد الشاذلي ابن الشيخ عبد عزيز حواس، والسيد رشيد بودراع ابن الشيخ الصادق بودراع، والسيد نور الدين ابن الشيخ عبد الحفيظ مستقلجي. والسيد عبد الحفيظ ابن الشيخ محمد رسول تبسة شهر سبتمبر 1997م.

وعاد معهم الشيخ وقد فؤوا بالترامقهم، وأسسوا الجمعية والمدرسة والمسجد الجامع، الذي كان يدعى بجامع - إلى اليوم عند أهل المدينة - المدرسة للاتصافه بمدرسة تهذيب البنين والبنات، وبنو بأعلاها سكنى الشيخ، ومن يومها تولى إدارة المدرسة وإمامة الجامع، وعزف عن الاشتغال أو الاقتراب من أعمال ومهام الجمعية لاعتبارات استمرارها، وخشية تهديها وعرقلتها من الاستعمار وأعدائه.¹

3 - مرحلة إدارة مدرسة تهذيب البنين والبنات بته (1933-1947م):

يروى الأستاذ مالك بن نبي في مذكراته عن عودة الشيخ العربي من بلدة سيق قائلا: ((.. وكانت عودة الشيخ العربي التبسي من مدينة سيق منتظرة ليوم التدشين القريب، وانضم تحت لواء الإصلاح حتى عرابدة تيسة ومدمونها العاكفون على الحمر، كما انضم كثير من الذين يعيشون في كنف الاستعمار.. وكانت الملامح الاجتماعية كلها تتغير في المدينة، بينما بقيت في سيرها الإصلاحية منذ غادرتها قبيل سنتين..)).²

وقد وصف الأستاذ محمد الحسن فضلاء³ رحيل الشيخ العربي عن بلدة سيق فقال: ((.. لما أزمع الشيخ العربي على مغادرة قرية سيق والعودة إلى مدينة تيسة، بعد أن اتصل به أعيانها احتج أهل سيق لدى الشيخ عبد الحميد بن باديس فأجابهم - رحمه الله - بالمعنى الذي يفهمونه وبالمثل عندهم قائلا: المخرات الكبير نخدموا بيه الأرض النبي نحبو انطوعوها فبراريكم الآن لا تحتاج إلى مخرات كبير، وحل محله الشيخ المجاهد فرحات بن الدراحي⁴، الذي سار على نهجه إلى حين إغلاق مدارس الجمعية سنة 1956م)).¹

¹ حوار مع الشيخ عيسى سلطاني بتحرره تيسة سنوات 1987م، 1989م، 1990م. حوار مع الشيخ العيد مطروح بمنزله شهر أوت 1991م. حوار مع الحاج بوعلي ظريف شهر أكتوبر 1997م، كما يروي والذي عمود عيسوي رحمه الله أنه ساهم مع كثير من صبيان مدينة تيسة في بناء المسجد وهو طفل في الثانية عشرة من عمره.

² انظر: مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرء، ص 262.

³ الأستاذ محمد الحسن فضلاء من الذين درسوا في المدرسة ثم درسوا فيها بعد ذلك.

⁴ شيخ فرحات بن الدراحي: 1906-1951م. ولد بالقرب من بسكرة ونظم في رواياها وكتابتها، ثم نقل إلى مدينة قسنطينة فعمل على يد الشيخ ابن باديس، ومنها إلى جامع الزيتونة حيث أمم درسته. ليعود مشتغلا بالتدريس.

وظل الشيخ العربي مدرسا وواعظا وإماما ومرجعية دينية وعلمية وتربوية وأخلاقية لأهل تبسة، فبمشاركته حققت الجمعية الخيرية لأهل المدينة بناء مدرسة تهذيب البنين والبنات سنة 1934م التي ضمت في صفوفها الابتدائية كل سنة ما يقارب الخمسمائة تلميذ، ومنها تخرج جل رجال الإصلاح والسياسة والثورة بتبسة، وفي سنة 1936م بوشر ببناء المسجد الجامع الحر، الذي صار قبلة لكل أهل الإصلاح من سكان المدينة والقادمين من الأرياف، وأفل نجم المسجدين أبي سعيد والعتيق.²

وظل الشيخ العربي طيلة تلك الفترة مديرا ومعلما في النهار بالمدرسة، وإماما وخطيبا وواعظا في الليل في الجامع، إذ يلقي دروسه للعامّة بعد صلاة العشاء من كل يوم إلى أن ترك التدريس وإدارة المدرسة سنة 1947م إلى الشيخ عليّة معمر، الذي أدارها إلى حين غنقها من قبل الإدارة الاستعمارية بتاريخ 1956/11/21م وإيداعه مع جميع معلمي المدرسة³ في المعتقل الصحراوي الرهيب بأفلو إلى يوم 1962/03/19م.⁴

واستقبل الشيخ العربي خلال إدارته لمدرسة التهذيب سنتي 1941-1942م طلاب الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذين كانوا يدرسون عنده التفسير في الجامع الأخضر ومسجد سيدي كموش ومسجد سيدي بومعزة ليتموا دراسة علم التفسير عنده بتبسة.⁵

4 - مرحلة إدارة معهد عبد الحميد بن باديس (1947-1956م):

وليعين مديرا ومدرسا لمدرسة سبق بعد رحيل الشيخ العربي عنها سنة 1933م، وظل بها مديرا ومعلما إلى وفاته 1951م.

¹ محمد الحسن فضلاء، أهل سبق وذكرى الشيخ، جريدة الخبر 1993/06/08م 17 ذوالحجة 1413هـ، ص 11.
² انظر: دبور، أعلام الإصلاح، ج 2، ص 31... 33، بتصرف.
³ انظر: في قسم الصور الفوتوغرافية صورة لجميع معلمي مدرسة التهذيب قبيل غلقها واعتقال أعضائها، واسترجع لهم إن شاء الله؛ وهم: 1- محمد السحري، 2- سعد الله ميروك، 3- مصطفى الزملي، 4- حامد رواحية، 5- إبراهيم رواحية، 6- محمد انشوكي، 7- العيد مطروح، 8- عيسى سلطاني، 9- الطيب قواسمية، 10- الحفصي حجري، 11- عليّة معمر.

⁴ انظر: قرار الغلق الصادر عن الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

⁵ انظر: إعلان عن دروس التفسير للطلاب الملحق فضل الإعلانات. وتقرير بونيسي صادر عن أمن قسنطينة شهر نوفمبر 1940م، أرشيف ولاية قسنطينة، الملحق، فصل التقارير الأمنية.

كتب الشخ البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر¹ عن دور الشخ العربي في استمرارية معهد عبد الحميد بن باديس فقال: ((.. إذ كان تكوين المعهد من أساسه أعجوبة من أعاجيب الفحاة، وكان أمره دائرا بين اثنين: كاتب هذه السطور، بحكم منصبه في جمعية العلماء ومزله في الأمة، والأستاذ التبسي بحكم مقامه العلمي، ومكانته في الشعب وقيمه العلمية عند إخوانه العلماء.. ومازلنا نعد من توفيق الله للمعهد ومن آيات عنايته به إسناد إدارته إلى الأستاذ العربي التبسي، فليظمن المتسائلون والمشفقون على المعهد فإن المشرفين عليه غير غافلين عن هذه النقطة وإن الإدارة ساعية في وضع كل شيء على الأساس الصحيح حتى يعمر المعهد بالكفاءات، ولا يضيع حق ذي حق فيه، والعامنون فيه من خيرة رجالات العلم والدعوة والإصلاح في الجزائر)).²

وظل الشخ العربي مديرا للمعهد طيلة عقد من الزمان، يعينه في إدارته الشخ محمد خير الدين البسكري، ولم يصطحب معه أسرته، بل كان يزورهم متى سحت له الفرصة، منقطعا لخدمة المعهد وإدارته³، إلى حين غلق الإدارة الاستعمارية لمدارس الجمعية عامة والمعهد عبد الحميد بن باديس يوم 1956/11/21م، وتشتت طلابه، ومنها انتقل الشخ إلى الجزائر العاصمة.

ومن مظاهر تفانيه في خدمة المعهد الباديسي نقتطف طرفا من مقاله في جريدة البصائر⁴، بحث فيه الأمة الجزائرية المسلمة لدعمه والحفاظ عليه، لأنه رمز عزها وشموخها وهويتها، فيقول: ((.. ندعو الشعب الجزائري بجميع طبقاته التي تعمل لأن تبقى هذه الأمة، أمة لها خواص الأمم ومميزاتها ومنشأها إلى التشارك والتعاون في تسيير المعهد، والتدرج به إلى اللحاق بالمعاهد الإسلامية شرقا وغربا، وإلى تخليصه وإنقاذه من

¹ انظر: محمد البشير الإبراهيمي، المعهد والمدارس، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة الثالثة، عدد 92، الإثنين 1949/10/17م الموافق 24/ذي الحجة 1368هـ، ص 1.

² انظر: المصدر السابق نفسه، ص 1، بتصريف.

³ حوار مع الشخ الحفصي خزنه بئسة شهر سبتمبر 1997م، وحوار مع الحاجة بئمة بئسة شهر سبتمبر 1997م، وحوار مع أحد تلامذة المعهد الأستاذ العربي عثمان بئسة شهر فيفري 1998م.

⁴ انظر: تعري التبسي، ما يجب أن يكون عليه المعهد في السنة الآتية وتصيب الأمة في تحفة ذلك الواحد: جريدة البصائر، السلسلة الثانية، سنة ثالثة، عدد 90، الإثنين 13 ذو القعدة/1368هـ الموافق 1949/09/05م، ص 2.

وضعيته الشاذة الموجود عليها اليوم، وليس هذا بأمر صعب على أمة كالأمة الجزائرية، إذا أخلصت نيات القادة الدينين والدنيويين، وإذا قام الدعاة إلى العلم بما يجب عندهم من تصفية جهودهم من الأغراض الهدامة، وإنه لمن أكبر الكبائر مع الله ومع دينه ومع لغة كتابه، أن يظل الشعب في ميراثه القلم القريب الضار المشوه بالخلافات، التي أعانت الزمان على الأمة الجزائرية، فأصبحت لا شرقية ولا غربية، لا عربية ولا عجمية.

فهب أيها الشعب لإعانة معهلك، ونشر ثقافتك، والسير مع أهل زمانك، ولن يضيع شعب حافظ على لغته وقوميته...¹

ومعهد عبد الحميد بن باديس كان يتشكل من مجلس إداري برئاسة وإدارة وتسيير ومراقبة الشيخ الذي كثرت مسؤولياته إلى حد الإرهاق والعمل طيلة النهار بأكمله، وقد تفرعت عنه الهيئات التالية: 1 - الهيئة العلمية. 2 - الهيئة المالية. 3 - هيئة المراقبة والضبط.²

* المطلب الثاني: نشاطات الدعوية والإصلاحية

يروى الشيخ البشير الإبراهيمي وقائع رحلته إلى الشرق العربي والإسلامي، وما آل إليه انشغاله بمستقبل مسيرة الحركة الإصلاحية بالجزائر بعد رحيله، ميديا اطمئنانه على حسن مآلها ودقة سيرها، وانتظام أمرها بفضل تولي الشيخ العربي لأمرها، معتذرا له، داعيا الله له، تصديه وتضحيته لتحمل عبء الجمعية خاصة، والعمل الإصلاحي في الجزائر عامة، إذ يقول: ((.. كنت أجلس مع أولادي - في مصر من طلاب وبعثات الجمعية - الساعات الطوال وكأني لست منهم وليسوا مني وكأني بينهم أصم لا يسمع ولا يعي لأنني إذ ذاك أفكر في مقالة للبصائر أنفض عليها سواد ليبي لتكون مع الصباح في المطبعة، أو في سفرة تثبت جواز الطفرة، أو في حفلات

¹ انظر: المصدر السابق نفسه، ص 2، وهو موجود في قسم الآثار الذي جمعناه، ص 107.

² انظر: القانون الأساسي لمعهد عبد الحميد بن باديس، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة الثانية، عدد 90، الإثنين 21/شوال/1368هـ الموافق 15/أوت/1949م، ص 13..

تراحمته علي أوقاتها، وما من حضوري في جميعهن بد، أو في مشاكل المعلمين والجمعيات، وهي صرف السوق، وملء السوق.. فالآن أسرح وأمرح وأتقي الهموم عن كاهلي وأطرح، فقد ألقيت تلك الأثقال على من لا يؤوده حملها لفضل علمه، و وفور عقله، وحدة ذكائه، وشدة حزمه، وهو الأخ الأستاذ النبسي. وإن جزاءه علي أن أمدّه بمدد من الأدعية الصالحة في مجالي الإجابة من صلواتي وخلواتي أن يعينه الله على تلك الأعمال، التي بلوتها محنترا، واضطلعت بها مصطبرا، فوجدتها لا تقوم إلا على اثنين زكاة الرجال في ركة الجبال، وكلنا الخلتين يجمعهما أخونا الأستاذ النبسي، وهذا تصوير غريب لحالي في المشهد والمغيب، أرجو أن يقع - على بعد الدار- لإخواني هناك وفي مقدمتهم أخي الأستاذ النبسي فيعينهم جده على الجهد، وتدفع عنهم دعابته سأم العمل المتشابه، وضجر النفوس المرهقة، ومن دعابته أنني تخففت من الأعمال، ولا والله ما تخففت، وإنما انتقلت من تعب مملوء لاتحاد لونه، إلى تعب متجدد الألوان، وفي تجدد الألوان مجال لتجدد النشاط، وباعت على إقبال النفس، متجدد جديد للاستئناف...)).¹

هذه شهادة قوية وصادقة واعتراف أمين من الشيخ الإبراهيمي في الشيخ العربي، إذ يبين حجم الرجل وعظمته من ذلك القدر الذي أفرزه جهاده ونشاطه العظيم على حمل الجبال، وتحمل المسؤوليات والاضطلاع بها، والائتمان على ميراث الأمة الفكري والثقافي والروحي، وذلك دأب الشيخ العربي مذ وعى وجوده الرسالي، وقد تجلّى ذلك في جميع مراحل حياته الدعوية والإصلاحية.

1 - مرحلة العضوية في جماعة الرواد (1928-1931م):

يروى الشيخ محمد خير الدين في مذكراته² وقائع اجتماع جماعة الرواد، الذي قبض الله له تسجيله في مذكراته، ولم يقبض للشيخ العربي تدوينه في مذكراته، إذ

¹ انظر: محمد البشير الإبراهيمي، رحلني إلى الأقطار الإسلامية، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة الخامسة، عدد 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

² انظر: محمد خير الدين، المذكرات، ج 1، ص 83. وأحمد توفيق المدني، حياة الشيخ، ج 1، ص 14.

يقول: ((.. اجتماع الرواد، في عام 1928م تحقق عزم ابن باديس ووجه دعوته إلى الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي، الذين رأى فيهم مقدرة واستعدادا للعمل في سبيل الدين والوطن. وقد لى دعوته: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ مبارك بن محمد المليي والشيخ الطيب العقيبي والشيخ العربي التبيسي والشيخ السعيد الزاهري وكاتب هذه المذكرات الشيخ محمد بن حير الدين، واجتمع هؤلاء الرواد برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس في مكتبته المحاور لمسجد الأربعين شريفا بقسنطينة، وكانت مشاعر المجتمعين تفيض حماسا وعزيمة صادقة، واستعدادا للتضحية في سبيل الله والوطن. وافتتح الرئيس الجلسة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله محمد ﷺ، وقال: أيها العلماء حياكم الله وأمدكم بعونه ونصره، وبعد..))¹

ثم ختم خطبته قائلا: ((.. والآن أيها العلماء: قد شاء الله أن يهيئكم ويدخركم لهذا الطرف، لتتحملوا مسؤوليتكم بكل شجاعة وتضحية، وإن يومكم هذا لشبيه بذلك اليوم الذي وقف فيه البطل طارق ابن زياد خطيبا في جيش المجاهدين على ريوحة جبل طارق بعد أن أحرق سفنهم التي حملتهم إلى الجهاد في الأندلس، وقال قولته المشهورة.. فأجابه العلماء الرواد: نحن مستعدون للتضحية في سبيل ديننا ووطننا والله معنا، قال الرئيس: حياكم الله وأيدكم بنصره..))²

ثم عرض الإمام خطة عمل مؤلفة من عدة نقاط لتنفيذها، وهي كما يلي:

- « تكوين لجنة منكم للتسيير والتنفيذ.
- « الشروع فورا في إنشاء المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية.
- « الالتزام بإلقاء دروس الوعظ لعامة المسلمين في المساجد الحرة، والجولان في كافة أنحاء الوطن لتبليغ الدعوة الإصلاحية لجميع الناس.
- « الكتابة في الصحف، والمجلات لتوعية طبقات الشعب.
- « إنشاء النوادي العربية للاجتماعات، وإلقاء الخطب والمحاضرات.

¹ مزيد من الاطلاع عنى خطبة الشيخ عبد الحميد راجع جريدة الشهاب، عدد 170، قسنطينة 19/جمادى أولى/ 1347هـ الموافق 01/11/1928م، ص 17.

² المصدر السابق نفسه، ص 17.

نه إنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب في كافة أنحاء البلاد.

عمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية والحكم الأجنبي، لأن مبدأنا الذي يجب أن نسير عليه هو إتباع هدي رسول الله ﷺ...¹

ثم عين الرئيس جماعة الرواد، وحدد لهم أماكن نشاطهم وجعل نشاط الشيخ العربي التبيسي لإلقاء الدروس بتبسة وما جاورها، واختتم هذا الاجتماع التاريخي بالدعاء أن يوفق الله جهودنا، ويكفل بالنجاح أعمالنا، ولحق كل مكان عمله.²

لم يرد الله تعالى لجهود الشيخ العربي أن تطمس في اجتماع الرواد، هذا الاجتماع الذي أسس لبداية العمل الإصلاحي الجمعي في الجزائر، بعد المجهودات الإصلاحية والدعوية الفردية التي قام بها رجال الدعوة والإصلاح الديني في الجزائر منذ احتلالها إلى يوم اجتماع الرواد وبدئهم العمل الجمعي.

وقد عضدت شهادة الشيخ محمد خير الدين في شهود الشيخ العربي لاجتماع جماعة الرواد تلك النشاطات الدعوية والإصلاحية المتعددة التي اضطلع بها في تبسة وما جاورها قبل انتقاله إلى سيق.

لأنه لم يعد من مصر إلا لغاية الاضطلاع بالدعوة والإصلاح الديني، وقد فضل العودة إلى وطنه على المكوث في الأزهر الشريف بعد أن عرض عليه شيخ الجامع الأزهر بتوصية من أساتذته وشيوخه الأزهريين منصب تدريس الفقه والأصول على المذهب المالكي، ولكنه رفض المكوث بالرغم من حجم المغريات وحياة الاستقرار والدعة، وقرر العودة إلى بلده المحتل، المهزوم روحيا وحضاريا.³

2 - مرحلة العضوية في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1932م):

دعي الشيخ العربي لحضور جلسات الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين

¹ انظر: الفهاج، عدد 170، ص 17. ومحمد خير الدين، المذكرات، ج 1، ص 83...122.

² انظر: محمد خير الدين، المذكرات، ج 1، ص 85 و 86، بصرف.

³ حوار مع الشيخ الحفصي بتبسة شهر سبتمبر 1997م. وحوار مع الحاج بوعلي ظريف بتبسة شهر أكتوبر 1997م وحوار مع الحاجة مينة بتبسة شهر سبتمبر 1997م. وحوار مع الشيخ العيد مطروح بمزقلة بتبسة شهر جوان 1991م.

الجزائريين المنعقد بنادي الترقى بالجزائر العاصمة يوم الثلاثاء 1931/05/05م الموافق 17/ ذي الحجة/ 1349هـ.¹

ولم يرشح الشيخ نفسه لعضوية المجلس الإداري لجمعية العلماء في جلستها التأسيسية - كما روى ذلك لأقرب تلامذته ومساعديه² - لاعتبارات عديدة، أهمها:
 < رغبته في إفساح الفرصة للعلماء الآخرين.
 < زهده في طلب المناصب.

< تفويت الفرصة على الأعداء، والمتريصون بنجاح تأسيس الجمعية.
 وهكذا يفضل الشيخ العربي إنجاز العمل الجمعي على ترشحه الشخصي، كما فعل الكثير من معوقي الإصلاح في زمانه.³

3 - مرحلة العضوية في المجلس الإداري لجمعية العلماء (1932-1956م):

ترشح الشيخ العربي لعضوية المجلس الإداري للجمعية بطلب من العلماء الحاضرين في جلساتها المنعقدة يومي الاثنين والثلاثاء 19/18/ محرم 1350هـ - 27/28/09/1932م، وانتخب الشيخ في عضوية المجلس الإداري للجمعية في عامها الثاني للمرة الأولى التي يترشح فيها، وعين نائبا للكاتب العام محمد الأمين العمودي.⁴

4 - مرحلة الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1936-

1945م):

وظل الشيخ يترشح لعضوية المجلس الإداري لجمعية العلماء كل سنة إلى أن انتخب كاتباً عاماً للجمعية في جلساتها الاعتيادية أيام الأحد والاثنين 11/12/ رجب/

¹ انظر: محمد البشير الإبراهيمي، الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء، مجلة الشهاب، ج 6، المجلد 7، قسنطينة غرة صفر 1350هـ الموافق جوان 1931م، ص 341..

² حوار مع الشيخ عبد والشيخ عيسى سلطاني بالقرب من منزلها ببسة شهر جوان 1991م.

³ راجع محمد حور الدين، المذكرات، ج 1، ص 112 ... 120.

⁴ راجع محمد حور الدين، المذكرات، ج 1، ص 111 ... 119.

1355 هـ - 1936/09/28/27 م، بعد أن حاز على 178 صوتا من المصوتين

كبقية زملائه الأعلام المترشحين وهم: ابن باديس والإبراهيمي والعقبي والميلي.¹

وقد تجدد انتخابه أمينا عاما في دورة الجمعية الاعتيادية أيام 24/25/26/

سبتمبر/1937م، وبحضور 135 رؤساء شعب الجمعية كما انتخب في عضوية المجلس

الإداري محتفظا أيضا بمنصبه الأول كأمين عام (كاتبيا عاما) للجمعية.²

وقد تجدد انتخابه في عضوية المجلس الإداري للجمعية سنة 1938م، بعد أن

حصل على 147 صوتا كصديقيه ابن باديس والإبراهيمي³، كما تجددت عضويته

لمنصب الكاتب العام سنة 1939م، وقد بدا ذلك واضحا من خلال نشاطاته كفرد،

ونشاطات جمعية العلماء التي كان يغطي كافة نشاطاتها وينشرها في جريدة البصائر⁴،

وظل الشيخ العربي يشغل منصب الكاتب العام للجمعية إلى أواخر شهر سبتمبر

1946م تاريخ انعقاد الجلسة العادية للجمعية، حيث تم تجديد المجلس الإداري للجمعية.

وفيه نال منصب نائب الرئيس⁵، وفي فترة جهود نشاط الجمعية أثناء الحرب العالمية

الثانية كان الشيخ مبارك الميلي يشغل منصب نائب الرئيس، وقد أقعده المرض

العضال، فنايه في مهامه.⁶

وفي فترة الحرب العالمية الثانية الحرجة احتفظ الشيخ العربي بمنصبه في الجمعية

ككاتب عام لها كما تشير بذلك التقارير الاستعمارية الفرنسية.⁷

¹ راجع اجتماع الجمعية، جريدة البصائر، السلسلة الأولى، السنة الأولى، عدد 37، الجمعة 16/رجب/1355 هـ -

الموافق 02/10/1936م، ص 1 و 5 و 8. - نشرة سرية القيادة والأركان، نشرة شهر أكتوبر.. ديسمبر 1936م،

1 / 5، ب.

² انظر: تقارير الأمن الفرنسي، تقرير نوفمبر 1937م.

³ انظر: انتخاب أعضاء المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة البصائر، السلسلة الأولى، السنة الثالثة،

عدد 135، الجمعة 14/10/1938م الموافق 20/شعبان/1357 هـ، ص 2.

⁴ انظر: جريدة البصائر، السلسلة الأولى، السنة الثالثة، عدد 156، الجمعة 18/محرم/1358 هـ الموافق

10/03/1939م، ص 2، وأحمد حايق. الصراع بين السنة والبدعة، ج 2، ص 264.

⁵ انظر: تقرير أكتوبر 1946م، ص 5، أ.

⁶ عند ما تمسك بوقبه باسم نائب الرئيس على الوثائق الرسمية صادرة عن الجمعية في هذه الفترة بعد انتقال الإبراهيمي.

⁷ انظر: تقرير جيران 1943م، ص 5 و 4 و 3، وتقرير ديسمبر 1945م، ص 5، أ.

وفي هذه المرحلة 1939-1945م الحرجة تعمق نشاط الشيخ في مجالات الجهاد السياسي بالإضافة إلى اضطلاعهم أيضا بالعمل الدعوي والإصلاحي والتعليمي.. ومن نشاطاته التي غطتها تقارير الإدارة الاستعمارية(S.L.N.A)¹ نشاطاته الإصلاحية المختلفة، وقد بدا كذلك أيضا في كراسة المطالب التي تقدمت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للحلفاء²، حيث يورد التقرير ما ملخصه: ((اجتمع العلماء بقسنطينة يوم 1944/07/07م برئاسة الشيخ العربي التسيبي في غياب الإبراهيمي الذي كان معتقلا في آفلو، رغم قرار الحظر الصادر عن الحاكم العام بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية الاستثنائية، وكان موضوع الاجتماع منصبا حول العراقل الإدارية التي تعترض رجال الجمعية ومؤسستها، واقترح تقديم كراسة المطالب إلى الحكومة الفرنسية حول القضايا التالية:

- ✓ المساجد وموظفيها وأوقافها.
- ✓ التعليم العربي ومدارسه ومعلموه.
- ✓ القضاء الإسلامي وتعليمه ورجاله...³

5- مرحلة نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1946-1952م):

اجتمع أعضاء الجمعية في دورتهم العادية أيام 27/28/29/سبتمبر/1946م بقسنطينة وانتخبوا مجلسا إداريا جديدا للجمعية، نال الشيخ العربي فيه منصب نائب الرئيس، وظل الشيخ العربي في هذا المنصب حتى يعد رحيل البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي يوم 1952/03/07م.⁴

¹ انظر: تقرير جويلية 1944م، 5، 1، أ.

² انظر: إعلان انتقال دروس التفسير من مدينة قسنطينة إلى تيسة الأول بتاريخ 15/ رمضان/1359هـ

1941/10/06م، حيث أشير إليه بالكتاب العام للجمعية، وكذلك إعلان الثاني سنة 1942م.

³ انظر: كراسة المطالب وغيرها من الوثائق موحدة أصلا في قسم الملحق وقسم المستنسخات.

⁴ انظر: تقرير مارس أفريل 1952م، 5، 5، أ.

6 - مرحلة الرئاسة الفعلية لجمعية العلماء (1952-1956م):

ظل الشيخ العربي يشغل منصب نائب رئيس الجمعية حتى بعد حلستها الإدارية المنعقدة بالجزائر العاصمة أيام 27/28/29 سبتمبر 1954م لاعتبارات إصلاحية لها صلة بتماسك الجمعية أثناء غيابه في موسم الحج إلى غاية حل الجمعية.¹ وفي هذه المرحلة بالذات تحمل الشيخ ما تنوء الجبال بحمله، وذلك باعتراف كل رجال الجمعية بما فيهم الشيخ البشر الإبراهيمي نفسه²، إلى أن أوصل الجمعية إلى حل نفسها يوم 07/01/1956م كي لا تتورط مع الإدارة الاستعمارية في الدخول في المفاوضات والطروحات الاستسلامية.³

وما يلاحظ على نشاطات الشيخ العربي المهنية والدعوية والإصلاحية ما يلي:

1. وضوح وثبات إطاره المرجعي في كافة مراحل الدعوية والإصلاحية.
2. وضوح خطه، وممارساته، وغاياته، وأهدافه.
3. تنوع أساليبه، وممارساته، ووسائله.
4. استمراره بين خطي التربية والتعليم من جهة، والعمل في إطار جمعية العلماء من جهة أخرى.
5. تطوير آلياته وتقنياته الدعوية والإصلاحية حسب ماتقتضيه كل مرحلة.
6. عزوفه عن الترشح للمناصب الدنيوية، وتجنبه المنافسة فيما لا يرضي الله تعالى.
7. صدقه، وإخلاصه، وتقواه، ووقاؤه لرسالة الإسلام، التي تفلان في خدمتها إلى يوم استشهاده.

¹ راجع محضر وبيان الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بقسنطينة أيام الأحد والأثنين والثلاثاء 30/سبتمبر و1/2 أكتوبر/1951م الموافق لأيام 29/30/ذي الحجة/1/محرم/1371هـ والتي ظلت محملة إلى غاية حل الجمعية يوم 07/1956م وقررت تعديل قانونها الأساسي في عقد دورته العادية، التي كانت مرة كل سنة لتصبح مرة كل ثلاث سنوات. انظر تقارير الإدارة الاستعمارية التي غطت نشاط الشيخ في هذه المرحلة.

² انظر: محمد البشر الإبراهيمي، رحلتي إلى الأقطار الإسلامية، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة الخامسة، عدد 197، الإثنين 28/جويلية/1952م الموافق 29/شوال/1371هـ؛ ص 1.

³ انظر: البيان التاريخي، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة التاسعة، الجمعة 29/جمادى أولى/1375هـ الموافق 13/01/1956م، ص 1. وقد تضمن البيان التاريخي دياحة تمهيدية شارحة لوضع الجزائر منذ ولنتها أقدم الاستعمار الفرنسي، وقد حلل الشيخ العربي باسمه الحاضرين الإدارة الاستعمارية كل ما حل بالثعبان جزيري.

8. حزمه وانضباطه المهني.

9. تفانيه في خدمة الإسلام والجزائر والشعب الجزائري.

استشهاده في سبيل الله

* الشهيد:

اكتنف الغموض ظروف اختطاف الشيخ العربي كما اكتنف الغموض أيضا حيثيات اختفائه عن مسرح الحياة، وبين اتمام وتفنيد وتكذيب الأطراف المعنية باختطافه ضاعت حقيقة وفاته واستشهاده، والتي تتوزعها الاحتمالات التالية:

* **الاحتمال الأول:** وهو الاحتمال الأرجح والأقوى، والذي تصوب فيه أصابع الاتهام إلى قيادة الجيش الفرنسي القبعات الحمر بقيادة الدموي السفاك (ربعون لاقيارد)، أو إلى قيادة المنظمة السرية الفرنسية (OAS)، أو إلى أي جهة استعمارية خفية أخرى.

* **الاحتمال الثاني:** وهو الاحتمال المرجوح والأضعف، والذي تصوب فيه أصابع الاتهام إلى الفصل المعادي للتيار العربي الإسلامي، وهو احتمال جدير بالدراسة والبحث والاهتمام في ظل الحقائق الجديدة عن التصفيات والاعتقالات والمحاکمات التي نالت رموز التيار العربي الإسلامي.

وقد أوصلتنا نتيجة الحوارات التي أجريناها مع أقرباء الشيخ من جهة، ومع المجاهدين القباذيين في المنطقتين الخامسة والسادسة في الولاية التاريخية الأولى - أوراس النمامشة - إلى جملة من الحقائق نعرضها وفق المطالب الثلاثة التالية:

* المطالب الأول: موافقة أجهاد أيدئ الربانئ

اجتمعت جملة من العوامل لتعجل بتصفية الشيخ العربي من ساحة العمل السياسي والدعوي، كداعية وكسياسي وكقيادي وروحاني ومرجعئ للتيار العربي الإسلامي في الجزائر النائرة، وقد تلاقت هذه العوامل كلها في نقطة واحدة يحدها

دفاعان، الأول يتمثل في محاولة جذب الشيخ نحوها، وثانيها يتمثل في التخلص منه في حالة فشل الدافع الأول، وهذه العوامل هي:

1. مواقف الشيخ العربي الجهادية التي لا تعرف المهادنة ولا المساومة.
 2. محاولات التدجين والتطويع والاحتواء من الإدارة الاستعمارية.
 3. محاولات الاستمالة من الفصيل المناوئ للتيار العربي الإسلامي، بغية إضعاف تياره القيادي فيها، ولاسيما بعد تصفيات 1957 - 1958م التي طالت رموزه.¹
 4. محاولات التشيث والارتكاز على رصيد الشيخ ومكانته من قبل التيار العربي الإسلامي في صفوف الثورة بغية تعزيز مواقعهم أمام التيار الفرنسي، الذي بدأ يسيطر على المواقع والحساسة فيها.
- ولنتناول كل عامل من هذه العوامل على حدة:

* هنا يهوت فاسم:

عرف الشيخ بجدته وشدته في التمسك بالحق، فهو لا يعرف في سبيله أي مهادنة أو مساومة أو محاباة، وبمجرد اندلاع الثورة التحريرية المباركة يوم 1954/11/01م بادر الشيخ لتأييدها والوقوف معها وموازرتها بكل ما يستطيعه ويقدر عليه²، بل كان قد أفتى المجاهد زهر شريط³ بوجود مقاومة المستعمرين قبل اندلاع الثورة⁴، الأمر الذي دفع بالمجاهد الشهيد زهر شريط إلى نصب كمين لقائد فرقة الدرك بالشريعة عند تنقله يوم 1954/10/17م قبل اندلاع الثورة بأيام قليلة وقتله مع ستة من الدركيين الفرنسيين الذين حملوا بجراحهم البليغة إلى مستشفى تيسة.⁵

¹ أحرينا سلسلة من الحوارات مع مجاهدي المنطقة.

² راجع فصل حياته وعوامل نبوغه وتشائه.

³ ولد سنة 1914م بعرض الجبور، وترقى فلاحا وراعيا، شارك في الثورة الفلسطينية والتونسية والمصرية، وكان قائدا من فواد الثورة التحريرية. أعدم من قبل التيار الفرنكوفوني سنة 1958م.

⁴ أحرينا سلسلة من الحوارات مع مجاهدي المنطقة (تيسة) ونقلوا الكثير من هذه الشهادات.

⁵ حوار مع السيد (الوردي قتال) أحد قادة الكتائب في معركة الحرف الشهيرة 1955/09/22م بتيسة.

واستمر الشيخ في نهجه الثوري المعادي للاستعمار بخطب في الجامعات العامة والمحاسن الخاصة وفي الاحتفالات والمناسبات الدينية والاجتماعية.. وتحت عنوان (هنا يموت قاسي) رد الشيخ العربي على المخذلين والمتبطين الذين نصحوه بوجوب التريث والتعقل وعدم التسرع والانتظار عما ستسفر عنه الجولة بين الثوار وفرنسا، مصدرها فتواه الشهيرة سنتها 1956م، القاضية بوجوب الجهاد في سبيل الله ومقاتلة الفرنسيين المعتدين.¹

ولما نصحه أصدقاؤه وبعض قادة الثورة بوجوب الرحيل إلى مصر، أسوة بصديقه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي خطب مرارا فقال: ²((.. هنا يموت قاسي، لنن أقطع إربا إربا في ساحة الجهاد خير لي من الموت على سرير من ذهب في أرض الفرار.. لو فررنا نحن العلماء من ساحة المعركة من سببى فيها ؟.. ماذا نقول لله ولرسوله ولصحابته يوم نلقاهم عن فرارنا من ملاقات العدو ؟.. أين ترفع رؤوسنا أمام العالم إذا فر كل علمائنا ؟ ماذا تقول الأجيال اللاحقة عنا الفرارون يوم الزحف..)).³

وفي هذا الصدد يذكر الأستاذ أحمد بن ذياب في مقاله الذي كتبه عن موقفه من الثورة، فيقول: ((.. ولعل من حق التاريخ أن أسجل هنا أن آخر لقاء لي به كان خلال عطلة يناير 1957م، وكان مدعوا وبعض إخوانه وتلاميذه إلى تناول الغداء بحي الأبيار في الجزائر، وكان الداعي أسرة تنتسب -لأولاد دراج- ويومها تعرض لقضية الثورة في جمهور الحاضرين فقال ما معناه: (انقلوا عني وبلغوا كل من لقيتم ممن تعرفون أن كل هجرة من الوطن إلى خارجه تعتبر مروفا من الدين، وخيانة للوطن، ما لم تكن في مهمة كلفت بها جبهة التحرير، وكل من خالف يعتبر من مشمولات الآية الكريمة التي جاء فيها: ﴿ومن يؤمهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء

¹ يروي السيد الوردى قتال - وقد كان طالبا بالمعهد الباديسي قبل 1955م - أن السيد محمد الربيعي يونس ابن أحمد شيخ العربي هو الذي نقل رسالة الشيخ المتضمنة فتواه إلى المجاهد شريط لره.

² مستعرض لفتواه تلك في مبحث الفتاوى.

³ حوار مع الشيخ العيد مطروح بن أحمد، والشيخ عيسى سطاني بحرمسا بتبسة شهر جوان 1992م. وقد بحثت ناسرا مثل حزابري فياتلي، ومعنى فاس اسم عم يطلق عادة في بلاد القبائل على الكثير من الرجال كإطلاق عدوم بخرابيرين سم العربي أو أحمد، ونظرا لبيئة القبائل الطيبة النمامية حجازا قاسي، وأمثل يقال في مواضع الصدد.

بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير¹. وكان موقفه الصلب هو الذي قاده إلى الشهادة في سبيل الله.

* المطلب الثاني: محاولات التدرجين والاحتواء.

طالب الحاكم العام (روبير لاکوست - ROBERT LA COSTE)² من الشيخ العربي صاحب التأثير على الشعب الجزائري أن يهدئ من ثورته فما كان من الشيخ إلا أن رفض طلب لاکوست قائلاً له: ((..إني صادق منذ نعومة أظفاري، وأنا الآن شيخ كهمل وتريدون مني أن أكذب على الشعب، كلالن أتحدث...)).³

وقد حاولت الإدارة الاستعمارية التوسط لإيجاد صيغة حل تسوي استسلامي يقوده الشيخ العربي بمناسبة زيارة (في موليت - GY MOLLET) رئيس مجلس الوزراء الفرنسي إلى الجزائر يوم 1956/02/06م فرفض الشيخ العربي ذلك العرض.⁴

كما تعرض الشيخ العربي لمحاولات احتواء أخرى عبر صحفيين من جريدة لوموند الفرنسية في شهر جانفي 1957م بغية جره إلى حوار صحفي يتعلق بالأزمة الجزائرية يورط فيها الشيخ ويلبس عليه بكلام كما لبس على الشيخ العقبي فرفض

¹ انظر: أحمد بن ذياب، العربي التبسي والنهضة العلمية بالجزائر، مجلة الأصالة، السنة 2، عدد 8، ربيع ثاني وجمادى أولى 1392هـ، ماي وجوان 1972م، ص 271.

² روبر لاکوست: سياسي فرنسي شهير، اشتغل بالعمل السياسي، وكان من أشهر دعاة الجزائر فرنسية حتى الرمي الأخير من وجوده على رأس الولاية العامة بالجزائر. وحاول مرارا أن يدخل الشيخ العربي في مفاوضات باسم الشعب الجزائري ليشق صفه، ويضع الفرصة على جبهة التحرير في قيادة الشعب، والجلوس مع المستعمر على طاولة المفاوضات. وقد أحرقتني أمة الشيخ بأن لاکوست له يد في مقتل الشيخ.

³ انظر: نبيل أحمد البلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دون طبعة، 1990م، ص 157 و 158.

⁴ انظر: الحسن بومالي، استراتيجيات الثورة الجزائرية في مراحلها الأولى 1954 - 1956م، منشورات منصف الجهاد، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ، ص 302 .. 305.

الشيخ العربي إجراء مثل هذا الحوار المشوه، معتزلاً بما وقع لغیره من جهة، ولتفانيه أيضاً مع توجهاته الثورية الجهادية.¹

ثم دبرت للإيقاع به محاولات تأمرية عديدة منها ما حدث له في مسجد(حي بلكور) بالجزائر يوم الجمعة 1957/03/19م عندما دست له الإدارة الاستعمارية عوناً من أعوانها صعد المنبر وألقى خطاباً حماسياً يتهم فيه رجال الثورة التحريرية، ويصفهم بالمتبردين الخونة.²

ولما فشلت كل محاولات التطويع والتدجين والاحتواء الاستعمارية صار الشيخ بعدها عبئاً وعائقاً للمشاريع الاستسلامية يجب التخلص منه فكان هذا العامل معجلاً بإخراجه من مسرح الأحداث.³

* المطلب الثالث: محاولات الاستمالة.

وتجيء أيضاً محاولات لإبعاد الشيخ عن مسرح الأحداث في حالة عدم استمالاته، فقد عرض عليه مخطط إخراجه من الوطن عبر تونس من قبل رموز ذلك التيار⁴، ولكنه -رحمه الله- رفض بحكم موقفه الصلب وفتواه الفقهية المشددة لا بحكم الخيلة والدهاء والحسابات التكتيكية الضيقة الأخرى.⁵

ويكون عامل الكيد والتآمر، هو العامل الثالث الذي عجل بإخراج الشيخ العرب وإبعاده من مسرح الأحداث.⁶

¹ انظر: علي مرحوم، بلاغ جمعية العلماء في قضية اعتقال الشيخ العربي التبيسي، مجلة الأصالة، السنة 9، عدد 73 و 74، نوال ردهم، القعدة 1399هـ، سبتمبر وأكتوبر 1979م، ص 102.

² انظر: المرجع السابق نفسه، ص 103، بصرف.

³ لتعوده هذه القضايا عندما تناول منهجه التغييرى وإصلاحه السياسى والثورى.

⁴ انظر: عبد الحفيظ أمقران، حول استشهاده القيدى سى الخواس وعمروش، جريدة المساء، عند 2626، الخسيس 26/نوفمبر/1414هـ - 7/أبريل/1994م، ص 2، وحوارات مع مجاهدى تبسة.

⁵ في مذكرات مجاهدى المنطق الرائد أحمد الزمولى، والقيدى الوردى قتال وغيرهم الذى ستصلد قريبا الكثير من من الحقائق الخفية التى منقلب الأباطيل الشائعة فى كتب التاريخ.

⁶ تشر التقارير الاستعمارية برجمية أن الثورة الجزائرية حسمت أمرها بالانتصار فى نهاية 1956م، وتوصلت للدراسات الفرنسية إلى ذلك بعد الضربات القوية التى وجهها لولاية التاريخية الأولى أوراسى الشمامسة إلى الجيش الفرنسى منبرات 1956. 1956م، وأدركت فرنسا أن لا مناص من التفاوض مع الثوار.

* المطلب الرابع: محاولات الإنكار والدعم.

وجد التيار العربي الإسلامي نفسه قويا في صفوف الثورة التحريرية باعتبارات وعوامل كثيرة أهمها: كونه هو الذي أشعل لهيبها، وقاد أهم معاركها، ولحجية منطلقاته الدينية والحضارية العربية الإسلامية، ولإبتعاده المطلق عن منطلقات الأدبيات الماركسية الثورية¹، وكان الشيخ العربي يمثل لهم المرجعية الروحية والدينية والمعنوية، وبه استطاع أن يتعزز روحيا، ويتقوى معنويا..

وبالتالي فإن إنكار (ريمون لاقيارد) المشوب بالدعاء والخبث الاستعماري من التبرء من همة اختطاف الشيخ ليلا، وإصاق التهمة بفصيل يجب ألا يهمل وتركه؟² وعيننا كباحثين أن نأخذ به عين الاعتبار في ضوء التصريحات والاستجابات والشهادات الشفهية الجديدة للمجاهدين المكمنين من أمد بعيد لاعتبارات عديدة.³ ثم إن إنكار الرئيس ديغول أيضا لنجل الشيخ الأكبر محمد الأمين عندما قابله بباريس شهر ماي 1957م إذ قال له بالحرف الواحد: (لا علم لي بما يدور في الجزائر). يدفعنا إلى إثارة هذه الشبهة عل من يكشفها من بعدنا من الباحثين بالوثائق يوم يكشف عنها.⁴

وبناء على هذا الافتراض يصبح - في حالة عدم ثبوت العكس - المتورطون في اختفائه واغتياله طرفان استعماريان، أحدهما واضح، والآخر مخفي، كما يجيء اختفاؤه في ظل ظروف عربية وإسلامية غامضة، اختفى فيها العديد من الزعماء والأحرار العرب.

انظر: ملتقى قادة الثورة التحريرية، متحف الجهاد، الجزائر، 01/02/03/11/1997م، وتصريحات قادة الثورة، الوردى فقال وغيره. وملتقى تيسة، الثورة في المناطق الحدودية، تيسة أيام 18/19/12/1997م، وملتقى التاريخ الوطني وبناء المجتمع، تيسة، أيام 05/06/07/07/1997م.

¹ انظر: مواعيق الثورة التحريرية المعروفة، بيان أول نوفمبر 1954م، وبيان مؤتمر الصومام 1956م.

² أنكر لاقيارد، كما أنكر الخترال ديغول محمد الأمين ابن الشيخ الأكبر عند مقابله لهما، وقد يكون سبب إنكار الرئيس من باب الإقناع، وهو احتمال، مرجوح في ضوء تصريحات مجاهدي للمنطقة، وحوار مع الحاجة تيمنة.

³ ليس هذه مقالتنا.

⁴ حوار مع الحاجة تيمنة أمة الشيخ العربي تكريما لجزءها تيسة شهر سبتمبر 1997م.

وقد صاحب اختفاء الشيخ اختفاء واغتيال رموز الطبقة المتفئة الجزائرية، من أمثال: الأمين العمودي، وأحمد رضا جوحو، وأحمد بوشمال، وغيرهم من شيوخ المعهد الباديسي، الذين يشاع بأن الأيدي الاستعمارية الفرنسية هي التي اغتالتهم في ظروف غامضة.¹

* المطلب الخامس: اغتفاؤه واستشهاده.

اعتمد الدارسون في التأريخ لوفاة الشيخ على بلاغ جمعية العلماء المنشور في جريدة المقاومة، الذي يعد اختفائه ابتداء من ليلة الخميس 04/رمضان/1377هـ الموافق لـ 1957/04/04م، والذي أعاد نشره الأستاذ علي مرحوم²، وقد روى الشيخ محمد علي دبوذ طريقة وفاة الشيخ العربي بأنه ألقى به من الطائرة في البحر.³ والحقيقة التي توصلنا إليها عن استشهاد الشيخ نوردها كما سمعناها عن أحد مجاهدي المنطقة الخامسة في الولاية التاريخية الأولى أوراس التمامشة الرائد أحمد الزموني⁴، حيث بروي قائلا:

* بقرة الزيت والفار المغلبي:

((..كنت طالبا في مدرسة فرعية ببلدة "قلعة سنان التونسية" تابعة لجامعة الزيتونة، وكانت مجاورة للحدود الجزائرية سنوات 1950-1954م وكنت على علم بواسطة رجال الثورة المكلفين بالاتصال بتونس لشراء وجمع الأسلحة من تونس الشقيقة بعد انتهاء ثورتها شهر مارس 1954م، وخلالها تعرفت على رجال الثورة الأوائل الذين كانوا يزورون تونس ومنهم القائد العظيم لزهري شريط، الذي أصبحت

¹ نظر: أحمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، ج 2، ص 274.. 275.

² نظر: عبي مرحوم، بلاغ من جمعية العلماء في قضية اعتقال الأستاذ الشيخ العربي التبيسي الرئيس الثاني للجمعية وشيخ معهد ابن باديس: مجلة الأصالة، عدد 73 و 74، ص 88... 109.

³ نظر: محمد علي دبوذ، أهلام الإصلاح في الجزائر، ج 2، ص 64.

⁴ الرائد عبي أحمد الزموني: من مواليد تبسة سنة 1937م، تعلم في مدرسة تهذيب البنين والبنات ببسة، التي كانت ببنوفا شيخ العربي التبيسي. ثم انتقل لتتلمع في مدرسة وزاوية قلعة سنان التونسية سنوات 1950.. 1954م. بل أن

الشيخ العربي التبيسي، الثورة منها يوم 23/11/1954م، وصار قائدا للثورة شريط لزهري ولتاليه القائد محمد بن علي. تقدم في

كانت له ولناثبه الشهيد محمد بن علي وبواسطتهما التحقت بصفوف الثورة التحريرية يوم 1954/11/23م. وكنت أعرف الشيخ العربي التليسي منذ صغري، حيث كان والدي يصطحبني معه يوم الجمعة للصلاة في مسجد المدرسة حيث يدرس ويخطب ويصلي الشيخ العربي. وكان والدي يجالس الشيخ بعد الصلاة ويطلب مني الابتعاد إلى زاوية في المسجد لانتظاره؛ ولكن الشيخ كان يطلب مني الاقتراب منه، وهذا سنوات 1947.. 1950م، فعلق الشيخ في قلبي وأحبيته، واستهينته لطيبته العظيمة، وسارت أحداث الثورة بنا إلى يوم 1957/04/17م وذلك بعد عودتنا مع القائد شريط لزهرة وناثبه محمد بن علي من معركة جنوب غرب تسة في سفوح الجبل الأبيض، فبادر المواطنون من قبيلتي أولاد العيساوي والجدور بإخبارنا بما شاهدوه من صنيع جنود الاحتلال، وأنهم قد أحضروا البارحة حوالي أربعين رجلا يرتدون الزي العربي الإسلامي وأعدموهم رميا بالرصاص، ثم واروهم في حفرة كبيرة¹، ولما كنا متعنين من المعركة فقد تركنا الأمر حتى طلوع الفجر، ومع صلاة الفجر خرجنا إلى موقع القبر الجماعي لهؤلاء العلماء.. المجاهدين الشهداء، وقمنا بنيشه وإخراج الجثث منه، إلى أن أخرجنا منه ثلاثا وثلاثين جثة ووجدناهم سليمي الحياء، ينسبون الزي الإسلامي المسجدي فقمنا بوضعهم واحدا بجانب الآخر، وكنا يومها سمعنا من الإذاعة عن اختطاف الشيخ، وبدأنا نتفرس في وجوههم وجها وجها علنا نجده فيهم فلم نجده بينهم، فصلينا عليهم صلاة الجنائز، ثم أعدنا دفنهم في كهف مازلت أعرفه إلى الآن.

وبقيت صورة ذلك الشهيد الاستشهادي العظيم ماثلة أمام ناظري منذ ذلك اليوم وبقي البحث عن الشيخ الشهيد يلاحقني أينما حللت وأينما رحلت، ومضت سنون الثورة التحريرية المباركة، وكتب الله لي أن أتقلب في مناصبها العسكرية القيادية وشهدت ماشهدت إلى أن استقلت الجزائر، وأصبحت أستاذا في الأكاديمية العسكرية بشرشال برتبة نقيب، وكان صديقي نقيب مجاهد من مدينة بوسعادة يدعى سي

¹ ويؤكد هذا الرواية الشيخ (محمد بن عمران العبيدي) المجاهد الذي يذكر أن والده وأعمامه وشيوخ الزاوية ترحمتها قد اختفوا يوم 1957/04/17م /17 رمضان/1377هـ. وأخذوا من الزاوية بلباسهم الإسلامي واختفوا من يومها. وحوار مع الشيخ محمد بن عمران العبيدي بمناسبة ملتقى التاريخ والجمع بقبة أيام 05.. 07 جويلية 1997م.

"إبراهيم جوادى البوسعادي"، وكنا نتسامر سويا، ونقتسم الحياة العسكرية معا، وتجادنا في فترات الراحة أطراف الحديث، وفي كل مرة تناول حديثا ما، وكان لصديقي سي إبراهيم صديق مجاهد من بلاد القبائل برتبة رقيب أول - نسي اسمه - يعمل مديرا في الفندق العسكري بساحة بورسعيد بالجزائر العاصمة، وكنا نزل عنده يومي العطلة السبت والأحد، وكان يكرمنا دون سائر النزلاء العسكريين مما شجعتني يوما فسألته عن سر الصداقة بينهما فأجابني بأنه كان صديقه أيام الثورة، ومن قبلها كان صديقه في الجيش الاستعماري في فرقة "القبعات الحمراء"، وأتت التحقا في يوم واحد بالثورة بعد هروبهما من الجيش الفرنسي، وسارت بنا الأيام والأحداث والصداقة العسكرية إلى أن سأنته يوما عن تاريخ وسبب التحاقه بالثورة فسألت عيناه بالدمع، وقال لي والحزن يملأ وجهه: (لقد كنت أنا وصديقي القبائلي في الفرقة العسكرية التي اقتحمت منزل الشيخ العربي ليلا في حي بلكور بقيادة الدموي رمون لاقايرد، وكنت أنا وصديقي هذا في تعداد فرقة الجيش الذين راقبوا العملية، واستمروا يشاهدون ماحدث للشيخ العربي، الذي بقي نزيلا في سجن ثكنة القبعات الحمراء بالجزائر العاصمة طيلة ثلاثة أيام من غير طعام ولا شراب ولا لباس، وقد تكفل بتعذيبه الجنود السنغاليون، والشيخ بين أيديهم صامت صابر محتسب لا يتكلم إلى أن نفذ صبر لاقايرد.

وبعد عدة أيام من التعذيب جاء يوم الشهادة حيث أعدت للشيخ بقرة كبيرة مليئة بزيت السيارات والشاحنات العسكرية والاسفلت الأسود وأوقدت النيران من تحنها إلى درجة الغليان والجنود السنغاليون يقومون بتعذيبه دواما رحمة، وهو صابر محتسب.. ثم طلب منهم لاقايرد حمل الشيخ العربي، وكان عاري الجسد فحمله أربعة من الجنود السنغاليين، وأوثقوا يديه ورجليه ثم رفعوه فوق البقرة المتأججة، وطلبوا منه الاعتراف وقبول التفاوض وتهدئة الثوار والشعب والشيخ يردد بصمت وهدوء كلمة الشهادة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم وضع من قدميه في البقرة المتأججة فأغمي عليه، وكانت آخر كلمة تلفظ بها - رحمه الله - لا إله إلا الله محمد رسول الله. ثم أنزل شيئا فشيئا إلى أن أدخل بكامله فيها فاحترق وتبخر وتلاشى).

ويتابع الصديقان أن ذلك اليوم كان على وجه التقريب حوالي 10 أو 12
أو 13 من شهر أفريل من سنة 1957م، وهو اليوم الذي قررا فيه الالتحاق بصوف
الثورة التحريرية، لهول ما رأياه من فظاعة المستعمر، وبقيا يحتفظان بالسر إلى أن حملته
- يقول سي أحمد الزموني- من سنة 1964م، ولم أبح به لأحد إلى أن استجوبتني
يا بني¹)).

ولما ذهب ابنه الأكبر محمد الأمين يوم 1957/04/05م لمقابلة (روبير
لاكوسست) يسأله عن أبيه واختفائه، أنكر أن تكون له علاقة بعملية اختطافه واختفائه،
وقال له: ((.. لقد هربه الثوار إلى تونس أو إلى مصر وأتيتني للتبرير، ولا علم لي به.
بل أنت أخبرتني أين اختفى وذهب؟.. أو لعل بعضا من الثوار قتلوه؟..))²، ولما قابل
محمد الأمين الرئيس الفرنسي ديغول بباريس، الذي أحسن استقباله وقال له بالحرف
الواحد: (لا علم لي بما يدور في الجزائر)³. وما يستخلص من هذه الرواية ما يلي:

1. وحشية الاستعمار، وهمجيته في القتل والقمع والإرهاب، وعدم اكترائه بقيمة
الأرواح البريئة.
2. ضرب المستعمرين لكل القيم والمعايير الإنسانية واحترام حقوق الإنسان،
وتقديس رجال الدين.
3. كشف المولى تبارك وتعالى لسر استشهاد الشيخ العربي التبسي وعدم تركه
مجهولا.
4. توعية الأجيال القادمة بحقيقة المعركة القائمة بين معسكري الشر والخير.

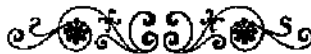
¹ أجريت الحوار الأول مع الأستاذ أحمد الزموني يوم 1997/07/07م بمدينة تيسة بنظارة الشؤون الدينية بمناسبة انعقاد
ملتقى التاريخ الوطني وبناء المجتمع بتيسة. ثم صادرت تربطني صلة بالسيد أحمد الزموني الخامي.

² حوار مع الحاجة تيمية أبة الشيخ الكري وأخيها محمد الأمين مدوها بتيسة شهر سبتمبر 1997م.

³ المصدر السابق نفسه.

* غلود من غير قبر :

لأنه دافع عن الحق والحق ليس له مكان. ولأنه جاهد عن العدل والعدل ليس له زمان. ولأنه كافح من أجل الإسلام والسلام والإسلام ليس له أرض وحدود. ولأنه جاهد من أجل إعلاء كلمة الله.. والله واسع ممتد.. ولأنه ناضل ضد الظلم والقهر، وهذه المظالم لا تنتهي إلا بانتصار قيم الحق والعدل والخير، وهذه القيم الإلهية الخالدة ليس لها موضع ولا مستقر، فإن الشهادة كانت خالدة مخلود تلك القيم التي استشهد من أجلها. فهو عند ربه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. نقلا.. ووجدا أثناء ازدهار الصحافة والكتابة في مصر.¹



¹ سلم لي الأستاذ الصيدي (علي فرحات جدري)، الذي يدين له هذا البحث بكل الرسائل المخطوطة وغيرها من المطبوعات وهو ابن الشيخ الحفصي شقيق الشيخ العربي رسالة مرسله من طرف الشيخ محمد السيد الزاهري ت 1956م، مؤرخة يوم 27/رمضان/1348هـ الموافق لـ نوفمبر/1929م. مفادها أن الشيخ العربي نشر مقالا عن الشيخ المرحوم (محمد بن أبي شنب) في نفس السنة التي توفي فيها 1929م. في مجلّة المقتطف المصرية، التي كان يصدرها (يعقوب صروف ت 1927م) و(فارس غر ت 1951م)، هذا بالإضافة إلى ما نشره الشيخ العربي في النصف المصرية الأخرى كما أحررت بذلك الأستاذ الدكتور (أحمد مورد) مستشار وزير الشؤون الدينية (أحمد مراني)، ووعدي تخني صورا عنها، ولكنه لم يفعل إلى رغم اتصالي المتكرر به، وقد توفي رحمه الله سنة 2008م. راجع قسم الآثار. فصل للرسائل. ص 293.

1. The first part of the document is a list of names and titles.

2. The second part of the document is a list of names and titles.

3. The third part of the document is a list of names and titles.

4. The fourth part of the document is a list of names and titles.

5. The fifth part of the document is a list of names and titles.

6. The sixth part of the document is a list of names and titles.

7. The seventh part of the document is a list of names and titles.

8. The eighth part of the document is a list of names and titles.

9. The ninth part of the document is a list of names and titles.

10. The tenth part of the document is a list of names and titles.

11. The eleventh part of the document is a list of names and titles.

12. The twelfth part of the document is a list of names and titles.

13. The thirteenth part of the document is a list of names and titles.

14. The fourteenth part of the document is a list of names and titles.

15. The fifteenth part of the document is a list of names and titles.

16. The sixteenth part of the document is a list of names and titles.

17. The seventeenth part of the document is a list of names and titles.

18. The eighteenth part of the document is a list of names and titles.

19. The nineteenth part of the document is a list of names and titles.

20. The twentieth part of the document is a list of names and titles.

الشيخ العربي التبسي حياته العلمية وجهوده الإصلاحية

د. شريط وسيلة / أ. فقيمت طوبال جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص

إن لبدایات النشأة الصحيحة الأثر البين في إرساء الأبعاد الحقيقية لأية شخصية كانت، وما حدود هذه الأبعاد إلا الفطرة السليمة التي تؤكد قوة الروح ومن ثم صفاء العقيدة وكذلك البيئة النقية خاصة، بجبالها السماء التي تساهم هي الأخرى في تكوين القوة الجسمية لأكثر تحمل واحتمال، إن ما سبق التنويه إليه توافر وبشكل كبير، زد عليه تأثير الجو الأسري والتربوي والعلمي في إبراز الملكات الروحية والحسية في شخصيتنا الفذة، ألا وهي شخصية الشيخ المصلح العربي التبسي، حيث لا يعرف المرء إلا وقت الشدة والمحن، ولا يصقل معدنهم إلا الجمر القويم الذي ينبثق منه النور شيئاً فشيئاً حتى يصير وضاحاً، وتلك معالم العظمة الإنسانية التي تحمي موات الأمم، وتكون دافعاً لبعث كوامن الحياة، ودوافع العمل في الأمة بأسرها، وخصوصاً في رجالنا الصالحين أو المهيبين لخدمتها.

إذن فشخصية بحثنا تدور حول الشيخ العربي التبسي¹ الذي يعتبر واحداً من أهم رواد الحركة الإصلاحية والجهادية في الجزائر، بدل الجهد الجهيد في سبيل أحلقة الجزائر بالأخلاق الإسلامية، وتحريرها من استعمار الجهل والامية والفقر والمرض والشعوذة، واستعمار المدفعية العاشم، كي تحمي جزائرنا حرة أبية مستقلة، في ظل ديننا الإسلامي الحنيف، ضحى بكل شيء في سبيل الإسلام والوطن، وفي ذلك يقول الشيخ

¹ - آخر عربي بن بقاسم بن مبارك بن فرحات التبسي أبو القاسم، من مواليد 1895م، أحد أبرز رجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتفكر الإصلاحية في الجزائري، ولقبه ونقب أسرته : فرحات - محمد، علي دوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث، الجزائر، ط1، 1974م، ج: 1، ص: 37.

: (إنه لا يمكن إرضاء الإسلام والوطن، وإرضاء الزوج والأبناء في وقت واحد، إنه لا يمكن لإنسان أن يؤدي واجبه إلا بالتضحية)¹ وبين العربي التبسي الطالب للعلم المجد في تحصيله، والعربي التبسي المعلم المرابي المصلح سيكون موضوع هذه المداخلة حول حياته العلمية بداية بتكوينه وصولاً إلى جهوده العلمية.

أولاً : مسيرة الشيخ العربي التبسي العلمي.

لقد كان من منن الله عز وجل على شيخنا أن حباه بأسرة صالحة متدينة، اشتهرت بصفات الورع والتقوى والشجاعة والصراحة التامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان حرصت هذه الأسرة المباركة على إنشاء فلذة كبدها النشأة الإسلامية الصالحة، فكان لها الأثر الكبير في رسم سمات وملامح شخصية الشيخ العربي التبسي.²

ولعل من أهم الأفكار التي ورثها شيخنا العلامة الجليل عن أبيه قولهما: العلم سبب النجاح في الدارين وهو الأداة الفعالة لأجل البقاء والاستمرارية، فصار هذا المبدأ عقيدة راسخة في نفسه وشرعه في الحياة.

بدأ شيخنا الكريم مسار رحلته العلمية من مسقط رأسه³ حيث التحق بكتاب القرية برعاية وإشراف والده الكريم الذي كان يتولى مهمة تحفيظ أبناء قرينته كتاب الله، ولما توفي والده ابتدأ الشيخ العربي التبسي رحلاته في طلب العلم. كانت وجهة الشيخ الأولى صوب زاوية خنقة سيدي ناجي الرحمانية، الشهيرة بالصلاح والصرامة في تحفيظ القرآن الكريم، وخلال مكوثه بهذه الزاوية والذي دام

¹ - تعري التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع وتعليق: أحمد الرفاعي الشرفي، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، ط: 1984م، ص: 8. - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 171.

² - محمد علي ديزو، أعلام الإصلاح في الجزائر، المرجع السابق، ص: 38.

³ - من مواليد قبيلة آجدود السوسية، والسماشة قبيلة بيرية، وهي من مدينة مختلطة إلى شرق تبسة، أنظر: عابد تويبيش، معجم أعلام الجزائر من عصر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة تويبيش للثقافة والتأليف، والترجمة والنشر، باتنة، ط: 1980م، ص: 61.

ثلاث سنوات حتم الشيخ العربي التبسي القرآن الكريم، هذا بالإضافة إلى تحصيله علوم الشريعة وعلوم العربية فحاز بذلك الشيخ التربية الدينية والعقلا معا.¹

انتقل الشيخ العربي التبسي بعدها إلى زاوية نقطة بالجنوب التونسي، وما عرف الشيخ مبتغاه واختار طريقه بتوجيه من أساتذته بالزاوية. فتعمق في علوم العربية والشريعة على السواء، معليا بذلك راية الإسلام والعربية على السواء.

بعد ثلاث سنوات من المكوث بالزاوية تنقل الشيخ العربي التبسي سنة 1915م إلى تونس لإتمام دراسته العليا بها، وبعد ثلاث سنوات من المكوث بتونس تحصل الشيخ على شهادة الأهلية من جامع الزيتونة، وبإتقانه لكل العلوم التي تدرس بالمعهد أصبح الشيخ مستعدا لامتحان شهادة التحصيل فسجل نفسه للامتحان، غير أن فرصة الذهاب إلى مصر نأت به عن اجتياز الامتحان.

ذهب الشيخ إلى مصر وهناك أتم دراسته العالمية، ليعود بعد ثلاث سنوات إلى تونس، ويشارك في امتحان التحصيل الذي فاز فيه فوزا عظيما.

بعد هذه المسيرة الحافلة بالنجاحات والإنجازات العلمية عاد الشيخ العربي التبسي إلى أرض الوطن.² ليبدأ مسيرة الإصلاح.

ثانيا : جهود العربي التبسي الإصلاحية.

بين مسجد أبي سعيد بقلب تبة وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومعهد ابن باديس تعدد نشاط الشيخ وجهوده الإصلاحية في التربية وإعادة بعث القرآن والسنة النبوية المطهرة، وبيان ذلك.

1- مصر وتكوين شخصية العربي التبسي النضالية:

مكث الشيخ بمصر سبع سنين، تأثر خلالها بالجو السياسي والفكري السائد بها، أين كانت ثمار النهضة تروى أكلها بزعامة الشيخ المصلح محمد عبده، كما كان الجهاد السياسي على أشده بزعامة قائده المخنك سعد زغلول، الذي دوت مقالاته وخطبه

¹ - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وثرها الإصلاحي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م.

² - عبد الكريم بو الصنصاف، جمعية علماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، منشورات المعهد الوطني للمجاهد: (رسالة ماجستير منشورة): جامعة قسنطينة، معهد العلوم الإجتماعية، 1983م، ص: 85.

سما مصر وما جاورها فتأسر قلوب المتعطين لها من النفوس الطواقة إلى الحرية ونبذ الاستبداد والاستبداد.

لقد كان الشيخ العربي التبسي يرى بأمر مصر وهي تنتفض، تطالب بسقوط الظلم والاستبداد، فصار من الأوفياء لمجالس السياسيين وخطبهم، فازداد بذلك علما وحنكة بالعمل السياسي، وقضايا الأمة وأمراضها وتكون له بما عايش من تجربة مصر وتونس وعي سياسي قوي.

لما وصل الشيخ درجة العلمية وأنهى دراسته في الأزهر، قفل راجعا إلى الجزائر من أجل خوض معركة البناء والإصلاح في شتى مجالاته. كيف لا وقد كانت أخبار الحركة الوطنية تصل أسماعه عن طريق الصحف والرسائل، ورأى جهاد إخوانه وأصحابه في مختلف بقاع الجزائر، من قسنطينة إلى وادي ميزاب، إلى الأغواط وغيرها، فسارع إلى العون والإعانة على الأعداء.¹

2- جهوده الإصلاحية في مسقط رأسه تبسة:

بدأ الشيخ النضال في أرض المهجر، إذ باشتداد الحركة الوطنية التونسية وتأسيس الحزب الدستوري الحر سنة 1920م أصبح الشيخ العربي التبسي من جملة من حملة الأنصار العاملين لصالحه، المساندين لنشاطه.²

وفور عودة الشيخ من مصر سنة 1927م، باشر الشيخ العربي التبسي العمل الإصلاحي انطلاقا من مسقط رأسه تبسة، التي كانت تعاني كغيرها من المدن الجزائرية ويلات الجهل والامية والخرافات والبدع المتمكنة من النفوس والعقول، والتي أصبح من الصعب التخلص منها. لكن عزيمة الكبار أمثال شيخنا أقوى من كل اعتبار، وهو صاحب رسالة لا يمكن أن تقهر ناصرها العباد ورب العباد. ولتحقيق الغاية المنشودة اتخذ لذلك مسجدا صغيرا في وسط مدينة تبسة، يدعى مسجد أبي سعيد³، الذي كان

¹ - محمد علي دوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، المرجع السابق، ص: 72-74.

² - عبد. نكرة، بالصفحات، جمعية العلماء لتأسيس الجزائري وعلاقتها بالحركات الجزائرية لأخرى، ص: 87.

³ - محمد علي دوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، المرجع السابق، ص: 129.

بمثابة قاعدة نضال، ومركز إشعاع وتنوير، فكان المورد العذب للمريدين، ومحبي العلم من مختلف فئات المجتمع، الذين غصت بهم جنباته.¹

كما أسس الشيخ إلى جانب المسجد مدرسة، وهكذا عمل الشيخ ليل نهار مرييا للأباء بالمسجد، ومكونا للأبناء بالمدرسة، ولم يكن نشاطه وجهوده منكبة على المدرسة والمسجد فحسب دون الاهتمام بالنادي، وما يجيش به رحابه من أنفاس شابة، وعقول فية ومدارك حية، متطلعة إلى تفهم حقائق القومية الجزائرية الخاصة، ومنايع هضة العروبة عامة.² ثم إن مسجد المدينة ضاق بمريديه فانتقل بهم الشيخ إلى الجامع الكبير الذي تشرف عليه الإدارة الحكومية، ولذلك سرعان ما منع من تقديم الدروس فيه، نتيجة لتدخل الطرفين.³ وأعوان الإدارة مما اضطره إلى العودة من جديد صوب مسجد أبي سعيد، على الرغم من ضيقه وعدم سعته لوفود الأتباع والأخصار والتلاميذ،⁴

وتحت ضغط المستعمر الغاشم انتقل الشيخ إلى مدينة سيق في عمالة وهران، أين أمضى بها عامين، استغل الشيخ فرصة تواجده بسيق في إصلاح الأوضاع بها، وفي أول عام 1932م عاد الشيخ العربي التبسي إلى تبسة، أين ساهم بها في إنشاء جمعية تهذيب البنين والبنات في السنة نفسها، لتتمكن الجمعية فيما بعد من إقامة مدرسة كبيرة مجهزة

¹ - المرجع نفسه، ص: 131.

² - أحمد بن دياب، العربي التبسي والنهضة العلمية بالجزائر، الأضالة، مجلة ثقافية تصدرها إدارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد: 8، السنة الثانية، 1972م، الجزائر ص:

³ - يذكر الباحثون أن الطرق الصوفية ظهرت في صورتها الأولى، في القرنين الثالث والرابع للهجرة (9-10م)، ذلك لأن الصوفية أخذوا، منذ النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ينظّمون أنفسهم طوائف وطرق، يخضعون فيها لنظم خاصة بكل طريقة، وكان قوام هذه الطرق مجموعة من المريدين، يلتفون حول شيخ يسلكهم ويصبرهم على الوجه الذي يتفق لهم كمال العلم، وكمال المعرفة ولقد أصبحت كلمة طريقة في هذين القرنين تشير إلى مجموعة الآداب والأخلاق التي يتمسك بها طائفة الصوفية. أنظر: السيد محمد عقيل بن علي المهدي، دراسة في الطرق الصوفية، دار الحديث، القاهرة، ط: 2، ص: 14. - أبو الوفاء الغيمي الشنازلي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 3، ص: 108-109.

⁴ - أحمد الخطيب، جمعية المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي، المرجع السابق، ص: 168.

تجهيزا عصريا، بلغ عدد تلامذتها عام 1934م خمسمائة تلميذ وتلميذة، كما أنشأت إلى جانب المدرسة مسجدا حرا لا يخضع لمراقبة الإدارة¹.

3- جهود الشيخ العربي التبسي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

في شهر أكتوبر من عام 1935م أصبح الشيخ العربي التبسي من أعضاء المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما شغل منصب الأمين العام للجمعية خلفا للأمين العمودي، ومنذ ذلك أصبح من الأعضاء العاملين المقربين من رئيس الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولما توفي هذا الأخير شغل العربي التبسي منصب نائب رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي.

يذهب الأستاذ عبد الكرم بو الصفصاف إلى القول أن الشيخ العربي التبسي رغم كونه من أهم رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين الحريين الكونيتين، إلا أن شخصيته قد برزت أكثر بعد الحرب العلمية الثانية، وبناء على رأي علي مراد يعتبر العربي التبسي من أبرز الشخصيات التي كانت تعمل على نشر وتدعيم الحركة الوطنية الإصلاحية، وذلك في منطقة الشرق الجزائري.²

ومهما قيل يبقى الشهيد³ الشيخ العربي التبسي واحد من أهم رجال الجمعية وركن شديد من أركانها، وأحد أوائل المؤسسين لها، واحد من أبرز الفاعلين في أرض الميدان، يخرج في وفودها العظيمة للوعظ والإرشاد، ويساهم في تأسيس دور العلم والعبادة، والإصلاح ونوادي الأدب والفن، يكتب في جرائدها، وينشر مقالاته،

¹ - نفسه، ص: 169.

² - عبد الكرم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص: 89.

³ - انتهت الحكومة الاستعمارية إلى الدور البارز الذي يلعبه الشيخ العربي التبسي، وإلى تأثيره الكبير في أوساط الشعب، وبين أتباعه، لذلك حاولت السلطات الفرنسية التفاوض معه، غير أنه رفض طلبها التفاوض قائلا: إذا أردت فرنسا إيقاف الحرب فلتفاوض بجهة التحرير الوطني، أما العربي التبسي وغيره فليس لهم أن يتكلموا باسم الشعب، ونورته ولا يستطيعون إيقاف ثورة الشعب كله. أنظر: أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثره الإصلاحية في الجزائر، المرجع السابق، ص: 171-172.

ويصدر فتاويه الصريحة الخطيرة في الشؤون التي تتصل أحيانا بالحكومة الفرنسية، غير مبال بالعواقب.¹ ومن فتاويه :

✓ فتواه في التجنس والتوبة منه .

✓ حكم الله في الوصية للورثة على يد الموثق المدني.

✓ فتوى حكم الله في التزويج بغير المسلمات والتوبة منه.

✓ فتوى حكم الله في استئناف الأحكام الشرعية أمام المحاكم المدنية والتوبة منه.²

إضافة إلى جهوده في مجال الإفتاء صدرت له العديد من المقالات، منشورة في

جريدة البصائر والسنة والشهاب، منها مقال بعنوان : أريد حياته ويريد قتلي³ ، ومن

مقالاته أيضا: مقال بعنوان : أزفت ساعة الجماعة وتصرم عصر الفرد⁴ ، ومن مقالاته

أيضا مقال بعنوان: الإضرار بالدين باسم الدين ووجوب ثبات المصلحين.⁵

ومن أعماله أيضا: مساهمته في إنشاء جريدة السنة النبوية، وهذا الصدد وانطلاقا

من قوله ﷺ : (بلغوا عني ولو آية ورحم الله امرأ سمع مقالتي فرعاها فأداها كما

سمعتها، فرب مبلغ أوعى من سامع)

قال الشيخ العربي التبسي: أن أعضاء الجمعية بما أتمهم تلقوا سنننا، وتفهموا آثارنا،

وأحسنوا نخرجها، رأوا أن الامتثال للأمر المستفاد من الحديث يوجب عليهم إصدار

صحيفة، تنفيذا لهذه الوصية، التي توجب علينا تنفيذ وصية نبينا محمد ﷺ ، ومقالته

بمعنى سننه، تعني أقواله، وأعماله، وتقريراته، وشمائله، ومعلوم بالبداهة أن الأمر المستفاد

من الحديث مطلق غير مقيد بأمه، ولا بوقت، ولا بأرض، ولا بحالة دون حالة، ولا

بوسيلة دون وسيلة، ويزيد هذا الفهم ما تلقيناه في كتب الحديث والسيرة، أن رسول

الله ﷺ كان يبعث الكتب في الدعوة إلى الإسلام، وكان يبعث خلفائه من بعده،...

وإذا كان الأمر كذلك، فإن جمعية العلماء المسلمين التي تعمل لله ولدينه، وإحياء سنة

¹ - أحمد بن دياب، العربي التبسي والنهضة العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص: 169.

² - أنظر: جريدة البصائر، العدد: 95، السنة الثانية، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 2006، ص: 45-46.

³ - أنظر الشهاب، العدد: 83، السنة الثانية، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 2001، ص: 802.

⁴ - أنظر الشهاب، العدد: 31، السنة: 1، ص: 617.

⁵ نفس، العدد: 115، السنة الثانية، ص: 296.

نبيه، محمد ﷺ قد أحييت بإصدارها هذه الصحيفة لنشر السنة وتعليم الأمة سنة¹. ومن جهوده داخل الجمعية: تقريره في كيفية الدعوة والإرشاد، الذي ألقاه بصفته كاتباً عاماً للجمعية ومما جاء فيه: الحمد لله الذي أحيانا هذه الأمة بعد قال الناس عنها حضر أجلها أو كاد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جعل النجاة بهدية، والهلاك في إيثار رأي غيره، أما بعد أيها الإخوة، شرح الله صدورنا وصدوركم هُدي هذا الدين، وجعلنا ممن اشرب قلبه بحب الله ورسوله على حب الأنفس، والأهل والأشياخ... أيها الإخوة إن جمعيتكم هذه قد وجدت لخدمة الإسلام، وبث علومه ورد الشبه عنه، ونشر فضائله، ودعوة الناس إلى هُدي نبي هذه الملة، وهذه المهمة ليست بالأمر السافه، والعمل الضئيل، الذي يمكن أن يعمل في الليل المظلم، وغفلة الناس... ومن باب التحدث بالنعمة يجب أن يعترف بأن الجمعية قد خدمت الإسلام خدمات تندر آخرها في عملها عند رها يوم لا ينفع نفس إيماها لم تكن آمن من قبل: أو كسبت في إيماها أجراء... وبصفتي احد أعضائها قد أسند إلي وضع تقرير علمي عن الإرشاد وحقيقته، وأطواره الماضية والحاضرة، وما ينبغي أن يكون عليه في المستقبل، وما أنذا أقوم بما أسند إلي القيام به غير مدع الإجابة ولا متهم بالتقصير...²

4- جهود العربي التبسي بمعهد بن باديس:

فتح معهد بن باديس أبوابه أمام قاصديه عام 1947م، وذلك تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين، برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلما توفي هذا الأخير انتخب الشيخ العربي التبسي لتولي شؤون الإدارة بالمعهد، ليغادر بذلك تبسة صوب قسنطينة. بعد أن صنع لها من يستقيم بها أمرها، مريين نصحاء، ومدبرين مقتدرين، ولقد برهن الشيخ العربي التبسي عن مقدرة وبراعة عاليتين في مسرة النهضة، ونشاط الإصلاح، وتسيير أكر مؤسسة علمية ثانوية للشعب الجزائري آنذاك، بعد أن كان من غير الممكن لأبناء الجزائر الأبية استكمال تعليمهم الثانوي إلا خارج الجزائر بتونس أو العالم العربي شرقاً، أو إلى المغرب.

¹ - العربي التبسي، يا أهل السنة، نسنة التوبة الجمعية، العدد: 2، ص: 3.

² - سجل مؤلف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، ص: 126.

لقد استطاع الشيخ العربي التبسي بفضل صرامته وجهوده الجبارة، النجاح في تسيير المعهد بطريقة فعالة وناجحة.¹

ومن ذلك أنه كان رحمه الله حريصا على صيرورة التواصل مع أولياء التلاميذ، وطلب مساعدتهم على تحقيق النظام الذي وضعه هو لضبط التلاميذ ومنعهم عن التحلف دون عذر، كما أنه في حالة الغيابات الغير مبررة فإن إدارة المعهد تقوم باستدعاء أولياء التلاميذ وإبلاغهم بذلك.²

وفي هذا الصدد يقول عنه الشيخ البشير الإبراهيمي: الأستاذ التبسي - كما شهد له الاختيار، وصدقت التجربة - مدرب بارع ومرب كامل، عرجته الكليتان: الأزهرية والزيتونية في العلم، وخرجه القرآن والسنة النبوية في التدين الصحيح والأخلاق المتينة، وأعانته ذكاؤه وألمعيته على فهم النصوص، وأعانتته عفقه ونزاهته على التزام الصدق والتصلب في الحق، وإن أغضب جميع الناس، وألزمته وطنيته الصداقة على الذوبان في الأمة والانقطاع لخدمتها بأفنى الأعمال، وأعانته يقينه على نصر الحق بالحجة الناهضة، ومقارعة الاستعمار في جميع مظاهره و فجاءتنا هذه العوامل مجتمعة يرحل مثله بملأ جوامع الدين ومجامع العلم ومحافل الأدب.³

ثالثا : الشيخ العربي التبسي ومنهجته الإصلاحية.

سعى الشيخ سعيه الجاد لأخلقة الحياة بالأخلاق العلمية والوطنية بناء على عقائد الدين الخفيف، ويتبدى من كل ما كان الشيخ يتعاطاه من أنشطة علمية واجتماعية ونضالية، أن بناء الأخلاق في الأمة يمر من طريقين هما : القدوة الصالحة التي لا تكون إلا في العنماء، وقادة الرأي العام ومختلف أنشطة التوجيه من النخب السياسية، والفكرية والإعلامية، ثم اصطباغ مناهج التعليم والإعلام، ومختلف أنشطة التوجيه الاجتماعي بالصيغة الخلقية، ولم يكن بدعا من العلماء، فقد كانت هذه إستراتيجيتهم في إيقاظ الأمة للدفع بها إلى الأخذ بزمام الأمور في تغيير أوضاعها العامة.⁴

¹ - أحمد بن ديب، العربي التبسي والنهضة العلمية بالجزائر، ص: 269.

² - البشير، المرجع السابق، ص: 186، ص: 125.

³ - أحمد بن ديب، العربي التبسي والنهضة العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص: 269.

⁴ - العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى نهضة الإسلام في الجزائر، المرجع السابق، ص: 8-9.

ذهب الأستاذ أحمد الرفاعي الشرفي إلى القول: أن دراسة الشيخ العربي التبسي للشريعة وأصول الدين في الزيتونة، ثم في الأزهر مكنته من الإلمام والتصور الإسلامي للحياة الاجتماعية في مختلف جوانبها، السياسية والاجتماعية والفردية والجماعية والعائلية المادية والروحية، ليس ذلك وحسب وإنما وجد الفقه الإسلامي ليس مجرد تصور للحياة الاجتماعية، وإنما يتجاوز ذلك، ويحدد للحياة الاجتماعية آفاق مستقبلها، وتطورها من القرآن والسنة.

ثم يتصور الأستاذ فهم العربي التبسي للمشكل كالأتي: إن سبب الانحطاط ليس هو الفقر في المعلومات. فيها هي آراء الفقهاء في العدل، في القضاء في الحكم، في التجارة، في الزراعة، في الزواج، لكنها غير معمول بها في الغالب، بل الأمر أغرب من ذلك آراء العلماء مصدرها الكتاب والسنة، القرآن والسنة غير معمول بهما. هذا هو السبب الذي لا سبب بعده.¹

لقد حرض العربي التبسي رحمه الله على إعادة بعث وإحياء السنة النبوية، وتطبيقها بكل دقة وصرامة رشيدة، سعيا منه لاسترجاع الأخلاق الإسلامية السامية التي تعود إلى عصر الصحابة، الأوائل بأفكاره ومحاضراته الشفوية، كما كان يعمل جاهدا من أجل المبادئ والأفكار الإسلامية، التي تعامش الناس في حياتهم اليومية، محاولة منه إيجاد أرضية لتطبيق الإسلام على مستوى الحياة الروحية، والسلوكية.

ولقد كان الشيخ متشددا على مستوى دعوته الإصلاحية الإسلامية مع أتباعه وأنصاره في الوقت الذي كان فيه المجتمع الجزائري يعيش تناقضات بين هويته وما يفرض عليه من أفكار وإيديولوجيات أجنبية.² وفي هذا الصدد يقول الشيخ العربي التبسي: (إن كل أمة ابتليت ببناء التقليد قد أضاعت رشدتها وضلت سواء السبيل وتركت أعظم ميزة منحها الإنسان ألا وهي العقل فيطرقها الخلل في أعمالها المادية والأدبية وتصبح مملوكة للغير. علينا أن نطلق للفكر سراحه ليصل ويجول وعلى دعاة الإصلاح العاملين لإنقاذ الأمة الجزائرية من ربة التقليد أن يجعلوا فكرة الإصلاح على

¹ المرجع نفسه، ص: 9.

² عبد الكريم بن مصطفى، رواد النهضة والتحديث في الجزائر، دار نقدي لطباعة والنشر والتوزيع، عن ملية.

قاعدة الدين أولاً وأخيراً مركزاً ومنطلق حركة التحرير والتغيير¹. وفي هذه الدعوة منه إلى نبذ التقليد دليل قوي على صواب منهجه وسداد فكره ورشاد سعيه وبعد نظره وهو يجوب طول الجزائر وعرضها لتعبئة الجماهير وصب حركتها في بوتقة "الحرية الحقيقية" التي تقوم على الاعتزاز بالذات الحضارية وتحقيق مراد الله ورسوله بتحسيد هدايات الدين في الواقع الحيوي - وحدة صف وهدف - و - اتحاد كلمة ومواقف - في مواجهة الصليبية العاتية والصهيونية العابثة الباغية وعبيدهما من أشباه المثقفين.²

فمنظوره إلى المشكلة الجزائرية كما هي في الواقع التاريخي منظور سني بالنظر إلى طبيعة الأمة التي ينتمي إليها. فأسباب الوقوع في قبضة الاستعمار ليست وليدة الساعة والسنوات وإنما نتاج تراكم قرون من التخلف والانعطاط. ولذلك، تجده يقول مثلاً، (إن الأمة الجزائرية كغيرها من الأمم الإسلامية أسباب التأخر فيها لا ترجع إلى عهد قريب ولا إلى سبب مباشر غير مخالفة الدين الذي بناه رب العزة على أحكم نظام) ومما يؤكد هذه الترة السنية في التفكير قوله أيضاً (فلما انتقل الأمر إلى خلفهم ضنوا السبيل واستحبوا العمى على الهدى وأضاعوا ما خلص إليهم من تراث أسلافهم فاختلت عزائمهم...) وهذا فيه تذكير بالقاعدة التي أصلها الإمام مالك بن أنس بقوله أنه: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. ولعل هذا تأكيد أيضاً على سنة كونية ثابتة وهي أن إعادة بناء مجتمع ما لا يمكن أن يتحقق إلا وفقاً لقوانين نشأته الأولى. والسبب في ذلك هو أن هذه القوانين هي ثوابت التاريخ التي لا يغيرها الزمن على حين يغير المجتمعات مفكرين.³

لقد كان الشيخ "العربي التبسي" يحمل إلى الأمة ما حمله - بلا شك - رعيال "جمعية العلماء" الأول من فكر ومنهج للإصلاح قرآني الأساس ونبوي المنبع بيد أنه تميز

¹ مقال للشيخ منشور بجمريدة الشهاب، المرجع السابق، ص: 296.

² الإصلاح الدين ومنهجه الفقري في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس 04-25-2012 www.binbadis.net/document.

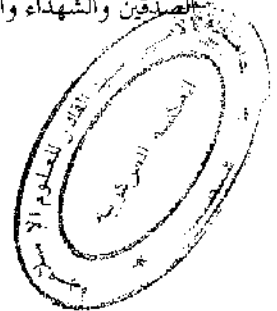
³ إصلاح الدين ومنهجه الفقري في فكر الشيخ العربي التبسي: www.binbadis.net/document 04-25-2012.

عنهم بحدة وشدة وجد وصرامة جعلته مهيب الجانب قوي النظرة عصبي القولية لا يضحك إلا قليلا، جاد المسعى في ابتغاء القوم رجاء أن يُسلموا حقا للحق تبارك وتعالى. ففي هذا خلاصهم الأبدي من العبودية لغير الله ومن التبعية لغير نبيه الخاتم الذي جاء ليضعهم على مهيع الحضارة الرائدة المتصلة فيها الأرض بالسماء والمتواصلة فيها قيم الرفاه المادي بقيم الولاء والوفاء للدين لا للطين. اعقلوا يا عباد الله فما عقل خطاب ربه إلا عبد أسلم القلب والعقل لباريهما¹.

الكلمات

إن مآثر العربي التبسي لا تقي بها كلمة مستعجلة لم تمس إلا بعضا من أعماله ومواقفه النبيلة عبر مراحل حياته التي برّ فيها بوعده برّ العظماء، حيث لم يمر يوم إلا وكان مجاهدا في سبيل الجزائر خاصة والأمة الإسلامية عامة، بما تبّت أقدامه على الحق ونصرة قضيته، التي آمن بها فعاش ومات من أجلها ولأجلها.

لقد كان من الأوائل الثابتين على العهد، بعد أن تساقط على الطريق من تساقط، نذر حياته لخدمة الدين والوطن، فصدق فيه قول المولى تبارك وتعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)² فعزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء وجعله من ورثة جنة النعيم، مع الصالحين والشهداء والصالحين.



¹ - عمر نقيب، بعض خصائص المربي الناجح في شخصية العربي التبسي www.assala-dz.net/4-25

2012 م.

² - سورة الأحزاب الآية 23.



جهوده التعليمية والإعلامية



ركائز التزييت والتعليم في رؤية الشيخ العربي التبسي

أ. د. إسماعيل سامعي

استاذ التاريخ وأحضارة الإسلاميت
امعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميت

توطئة:

لقد كان الشيخ العربي التبسي أحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين، وأحد رجالات التعليم بما حيث كان يباشر قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها التعليم بمدينة تبسة، وهو أيضا صاحب قلم سيال، وعندما قررت الجمعية الارتقاء بالتعليم درجة بتأسيسها لمعهد ابن باديس بقسنطينة كمرحلة بين مرحلتين التعليم الابتدائي والثانوي - ما يسمى اليوم في الجزائر التعليم المتوسط - وافتتاحه في مستهل السنة الدراسية 1367 - 1368 هـ / 1947-1948 م¹، تولى الشيخ العربي التبسي إدارته، والإشراف على تسييره.

وتأسيس معهد ابن باديس جاء كثمرة جهود الشيخ عبد الحميد بن باديس منذ أن انتصب يعلم ويرشد بالجامع الأعظم بعد عودته من المشرق سنة 1913، ثم الجامع الأخضر، وسيدي قموش أين عرفت دروسه من ذلك الوقت " بالدروس العلمية"²، وكذا جهود أقرانه من العلماء .

¹ - افتتح المعهد يوم 18 محرم 1367 / 1 ديسمبر 1947 وأقيم لذلك حفل بهيج ترأسه رئيس الجمعية الطائي الشيخ أشرف الإبراهيمي، ومدير المعهد الشيخ العربي التبسي، وكبار رجالات الجمعية وشيوخ معهد أنظر: البصائر : عدد 18 السنة الثانية من السلسلة الجديدة الصادرة بتاريخ 22 صفر 1367، 5 جانفي 1948 . ص. 145 .
المصدر نفسه.

ويبدو حسب مقال الشيخ أحمد حماني هذا الذي اعتمدها في هذه التوطئة وعدنا إليه فيما سلف أن الدراسة بالمعهد حددت مدتها بأربع سنوات ينتقل بعدها المتخرجون الناجحون إلى جامع الزيتونة في انتظار تأسيس معهد ثانوي، ومن ثم ربما جامعة إسلامية بقسنطينة على غرار جامعة الزيتونة، وهو ما سيحققه الخلف بعد استرجاع السيادة الوطنية¹، وكان المعين الأول الذي زود المعهد بالطلبة هو مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وغيرها، حيث بلغ عدد طلبات الالتحاق به 500 طلب، والتحق به عند الافتتاح 330 طالبا، وهي أقصى قدرة لاستيعابه نصفهم من مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الابتدائية المنتشرة عبر الوطن، وبعد الاختبار الذي أجراه المعهد، تم توزيع الطلبة على ثلاثة مستويات: السنة الأولى نحو 240 ، والثانية نحو 70، والثالثة نحو 20².

في هذه الظروف تولى الشيخ العربي التبسي إدارة أول معهد للتعليم العربي الإسلامي في العصر الحديث، وأثناء فترة الاستعمار الفرنسي، ولم يكن التبسي مديرا فحسب، بل كان صاحب فكرة، وصاحب مشروع تربوي تعليمي غير عنه في أكثر من مناسبة، وعمل على تطبيقه ميدانيا بكل عزيمة، وصرامة. فما هو مشروعه هذا؟ وما هي عناصره؟ وكيف لادم بين الأصالة والحداثة فيه نظريا وعمليا؟ ذلك هو مجمل ما ستجيب عليه هذه الدراسة فيما يأتي.

الركائز:

أ- الطلبة: يرى الشيخ العربي التبسي أن طلاب العلم وتلاميذه من أهم العناصر العملية التربوية التعليمية، وأن لا تحضة للأمم إلا بالتعليم، وأجود مراحل التعليم ما كان في النشء، ومن ثم فطموح الشيخ العربي التبسي بالنسبة لطلاب المعهد البياديسي³ هو:

¹ - ذلك بتأسيس جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة التي فتحت أبوابها في 14 أكتوبر 1984 والذي وصل عدد طلابها إلى قرابة 4000 طالب وطالبة، وأسنادها إلى أكثر من 200 أستاذ من ذوي الرتب المختلفة لاسيما العلمية، وتخرج منها الآلاف من داخل الوطن ومن خارجه.

² - البصائر، عدد 18، م، 1، ص، 145.

³ - بصائر، عدد، 90 - 93، 1949، الأعمار الكاملة للشيخ العربي التبسي، جمع وإعداد الدكتور أحمد توفيق الشرفي، (طبعة سرية، منشأة الجزائر: دار الحديث للنشر والتوزيع والإعلام، 2005)، 18.

✓ أن يعد هؤلاء إعداداً متكاملًا مسلحين بسلاحين: سلاح روحي مستمد من ديننا وتاريخنا، وسلاح المادي متمثل فيما أنتجته الحضارة الغربية الحديثة في كافة المجالات الحياتية.

✓ أن السلاح المادي موجود في أوروبا - كما يقول - متمثلاً في الصناعات المختلفة التي بها تتقدم الأمة وتنهض وتتطور.

✓ إرسال البعثات الطلابية إلى أوروبا¹، وهو أمله وطموحه بالنسبة لطلاب المعهد الباديسي خصوصاً، وطلاب الجزائر عموماً، وكأني به يستلهم ذلك مما قام به محمد علي في مصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ومن النهضة العربية الحديثة، وكذلك من بعثة رافعة رافع الطهطاوي².

ب - الشيوخ أو الأساتذة أو المعلمون:

لا ريب أن العنصر الفعال الثاني في العملية التربوية التعليمية هو الشيخ أو الأستاذ أو المعلم، وهو الأول إذا ما اعتبرنا أنه قائد سفينة، وأنه إذا لم توفر لثله الظروف الملائمة لأداء مهامهم التربوية والتعليمية، لن يؤديوا هم بدورهم مهمتهم على أحسن الشيء الذي يتعكس سلبيًا على التحصيل العلمي، وتربية الجيل الذي هو بين أيديهم، لذلك ألح الشيخ العربي التبسي على توفيرهم وتوقيعهم³ لمواجهة الإقبال على معهد ابن باديس، وتزايد عدد طلابه سنة بعد أخرى، وكان جلهم من أبناء الفقراء⁴، كما

1 - البصار، نفسه، الأعمال الكاملة للعربي التبسي، (انظر الفاسر، رقم، 1).

2 - في سنة 1324 هـ/ 1826 م أوفدت الحكومة المصرية بعثة علمية كبيرة إلى فرنسا لدراسة العلوم والمعارف الإنسانية في الإدارة، واقتصاد الحرية، والكيمياء، والطب، والبيطرة، وعلوم البحر، والزراعة، والعمارة، والهندسة، والتاريخ الطبيعي، بالإضافة إلى دراسة اللغة، والحساب، والرسم، والتاريخ والجغرافيا، وحرصاً من الحكومة المصرية على أعضاء البعثة من النواب في المجتمع العربي قرر محمد علي أن يصحبهم ثلاثة من علماء الأزهر الشريف لإيمانهم في الصلاة، وعظهم وإرشادهم، وكان رافعة رافع الطهطاوي (1216 - 1290 هـ / 1801 - 1873 م) واحداً من هؤلاء، انظر، مصادره الكثير منها: جمال الدين الشيبان، رافعة رافع الطهطاوي، (القاهرة: دار المعارف، 1970)، حسين فوزي، رافعة الطهطاوي، رائد الفكر وإمام فئدة، (القاهرة: الدار المصرية لتأليف والترجمة، 2007)، محمد عمارة، رافعة رافع الطهطاوي، رائد النهضة في العصر الحديث، (القاهرة: دار المستقبل العربي، 1984).

3 - عدد شيوخ المعهد في بداية العام الدراسي 1949 - 1950 هو 18 أستاذاً لتمام 700 من الطلاب، انظر:

البصائر، عدد، 90، 9/3، 1949: الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، 18.

4 - البصائر، عدد، 90، 9/3، 1949: الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، 222.

ظل يلح على الأمة بتوفير الأموال عن طريق التبرعات والهبات، والاشتراكات لمواجهة الاحتياجات المتزايدة للمعهد.

والشيخ العربي التبسي يؤصل للتعليم العربي الإسلامي في الجزائر من خلال المصطلحات والتسميات، فهو مثلا يطلق على أساتذة المعهد تسمية أو لقب الشيوخ، ومن المعلوم أن مؤسسات التعليم العربي على مر العصور سواء كانت تطلق هذا اللقب، أو الاسم على هؤلاء المدرسين، وعلى بعض الشهادات، في الجوامع، أو المدارس، أو في الزوايا أو في غيرها، ويطلق اليوم في بعض مؤسسات التعليم لاسيما الجامعية كجامعة الإيمان بصنعاء¹.

ثم أنه بعد ذكره لحقوق هؤلاء الشيوخ يحدد واجباتهم - وهو قد جرى في ذلك منطق حقوق الإنسان - فبرى من واجباتهم العمل للصالح العام، وهم كذلك في حقيقة الأمر، وبجد واجتهاد وتنافس².

ج - الإدارة الجيدة:

تقوم الإدارة الجيدة أو الرائدة بدور فعال في نجاح المؤسسة أو فشلها، وقد تأسست العديد من العلوم تدرس في مختلف المراحل الدراسية لاسيما الجامعات، والتي تهتم بتطور الإدارة، وحسن تسييرها منها " إدارة الأعمال" و " علوم التسيير" وغيرها، والشيخ العربي التبسي برجاحة عقله، وذكائه، وفطنته، وتعمقه العلمي اتبه إلى أهمية الموضوع، وضمنه في مقالاته، فمن ذلك دعوته إلى استقامة الإدارة، وذلك بحزمها وضبطها، وعدم التهاون فيها لاسيما فيما يخص خاصية الأخلاق لأنها كما يقول: " الأساس الذي تبنى عليه الرجولة الكاملة"³، والمعهد الباديسي يفخر بحياطنه للأخلاق، ويتشده في المحافظة عليها، وسعود إلى موضوع الأخلاق هذا فيما يأتي.

وإذا كان للمعهد مجلس إدارة يرأسه رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي نفسه، فإن الشيخ المدير يرى أنه لا يكفي ذلك، بل لا بد من التشارك والتعاون في

¹ - انظر، إسماعيل سامعي، المفيد من رحلتي إلى اليمن السعيد، (الجزائر: دار الفجر، 2010)، ص. 57.

² - البصائر، عدد: 90 - 9/3 / 1949، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي 225.

³ - البصائر، عدد: 90 - 9/3 / 1949، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي 225.

تسيير المعهد والرفع من مستواه المادي والعلمي¹، وهو ما تحاول تطبيقه المؤسسات التعليمية الحرة في بلاد العالم، ومؤسسات الدولة كتنكويين جمعيات أولياء التلاميذ في المستوى الابتدائي، والمتوسط، والثانوي، و إنشاء مجالس إدارية في المستوى العالي أو الجامعي.

د - الأخلاق:

من أهم عناصر نجاح العملية التربوية التعليمية الأخلاق فالعلم بدون أخلاق أعمى، والتعليم بدون أخلاق يهدم ولا يبني، فقد عدده الشيخ المدير من أهم العناصر وأخطرها في عمل المعهد، ولم يتساهل فيه أبدا، خصوصا أنه لاحظ أن أخلاق الطلاب المقبلين على المعهد في سنتهم الأولى دون المستوى المطلوب، ويعتدل ذلك بحكم الاستصحاب، ويرى تحسن الأخلاق في المعهد بمرور الزمن، ثم يفعل ثلاثة عوامل هامة :

الأول: التربية النظرية بواسطة الدروس، والعملية أي بالسلوك السوي، والقذوة الحسنة، والتي يقوم بها كل من في المعهد لاسيما الشيوخ أي الأساتذة.
الثاني : النظام الجيد والحكم .

الثالث: حزم الإدارة، وضبطها، وعدم تحاورها في كل ما يتعلق بالأخلاق التي تبين عليها الرجولة، حتى أصبح المعهد الباديسي يفخر بذلك، ويتشدده في المحافظة عليها، فكل من ثبتت عليه زلة أخلاقية يطرد من غير هوادة ولا تباطؤ في التنفيذ ليكون عظة غيره، والحقيقة أن الصرامة تولد الهمة وتقي الجسم من الدنس، فالجراثيم الخبيث إذا لم يقضى عليه في الحال، فإنه قد ينتشر في الجسم كله، وهو ما تعاني منه مؤسساتنا التربوية التعليمية اليوم .

هـ - الصحة:

الصحة عنصر فعال في التحصيل العلمي بالنسبة لطلاب العلم، ولذلك نبه التنسي إلى هذا العامل ونوه به، بل جعله مطبقا في المعهد، فقد سهر الشيخ المدير على

¹ - البصائر، عدد، 90 - 3 / 9 / 1949، الأعمال الكاملة للشيخ العربي النسبي. 226

البصائر، عدد، 90 - 3 / 9 / 1949، الأعمال الكاملة للشيخ العربي النسبي، 223

توفير وسائل الصحة الناجحة والفعالة¹ وهي:

✓ تزويد المعهد كما يقول بالماء الساخن للطهارة، وغسل الثياب حتى أصبحت النظافة فاشية في طلابه، والنظافة نعم العون على الصحة يقول التبيسي.

✓ التغذية الكافية والجيدة، وهي الوسيلة الأساسية لحفظ الصحة حسبه، ورغم أن المعهد في البداية لم يكن قادرا على توفيرها، فإنه نبه الأولياء لذلك، وقد عمل بعد ذلك على إنشاء مطعم نظامي يجمع بين وفرة المادة الغذائية، ويسر النفقة، فسوء التغذية كما يقول عائق للنمو الجسمي ومعرض للأمراض الخطيرة، وهو ما تعمل الكثير من الدول على توفيره لطلاب العلم، ولاسيما في الجزائر حيث المطاعم المدرسية والجامعية المجانية، وشبه المجانية.

✓ الإقامة الجيدة: سعى الشيخ المدير من خلال مقالاته إلى إيجاد مساكن لائقة ودائمة لطلاب المعهد حتى يتفرغوا للتحصيل العلمي، والمسكن اللائق عنصر من عناصر الصحة، وفي هذا المجال تم إنشاء "دار الطالب أو التلميذ".

✓ تعليم الطلاب قواعد الصحة: لقد دعا الشيخ المدير أشهر الأطباء الجزائريين لإعطاء دروس صحية في ذلك لطلاب المعهد منهم الدكتور ابن شريف الذي أتى عليه الثناء الجم، والذي كما يذكر أنه واضب على القيام بها بكل عناية مستعينا بأشرطة سينمائية أعدت للغرض التثقيفي، وكذلك الأطباء: محمد الجيجلي، وابن عبد الرحمن، وعلاوة عباس، وابن الفقون، وعلواش².

و- الرياضة:

تمشيا مع الحكمة القائلة "العقل السليم في الجسم السليم" كان سعى الشيخ المدير في هذا المجال، وكتب يقول فيه: "وقد وجه المعهد عناية كاملة لإتمام ما بدأه في السنة الماضية — أي الأولى — من أجل الرياضة البدنية في برنامج التكميلي، فنظم

¹ - البصائر، عدد: 90 - 9/3 / 1949، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبيسي، 226.

² - البصائر، عدد: 90 - 9/3 / 1949. الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبيسي، 227.

من تلاميذ المعهد عدة فرق لكرة القدم، وشرعت كلها في التدريب في أيام الراحة من أول السنة، وهي سائرة فيه مخطى تبشر بالنتائج المرضية¹.
ويظهر أن اختياره لكرة القدم يعود لأسباب الحيز المكاني، فالرياضات الأخرى تحتاج إلى حيز بينما كرة القدم تلعب في أي باحة، خاصة وأن المعهد في سنواته الأولى لم تكن له القدرة على توفير أمكنة الدراسة، ولا إقامة لطلبته، وظل كما يخبرنا الشيخ المدير يعاني من أزمة مالية، تروبت عنها ديون في ذمته.

ح - التمويل:

المعهد منذ تأسيسه كانت تشرف عليه ثلاث هيئات مسؤولة أما المجلس الإداري، وهي الهيئة العلمية، والهيئة المالية، وهيأة المراقبة والضبط، والهيئة التي تعنا هنا هي الهيئة المالية التي تقوم بجمع المال وضبطه، وصرفه في مصاخر المعهد التي تقررها الهيئات الثلاث²، ويتضح من هذا أن تمويل المعهد كان يأتي عن طريق التبرعات، والهبات، ومن هنا نلمس ما كان يعانيه المعهد خاصة أمام تزايد طلابه ومعظمهم من أبناء الفقراء، أما الآباء الأغنياء، وأصحاب الأموال فهم يرسلون بهم إلى المدارس الفرنسية، أو مدارس أخرى كمدارس النورقين، ولم يخلو مقال للشيخ المدير حول المعهد إلا أشتكى من هذا الأمر، ونبه إليه ضمائر الأمة، ودعاها إلى الترع ومساعدة طلاب العلم، ويتوجه إلى الشعب ويقول: "ومعهدك اليوم أيها الشعب الجزائري يتطلب من أن تمدّه بوسائل حياته، ونموه، وما هذه الوسائل في الحملة إلا الجود عليه بالمال الكافي لتسييره، وما هذه الوسائل تفصيلا إلا إعداد أمكنة بالشراء أو بالكراء للدراسة للسنوات الأربع"³، وفي مكان آخر يقول: "ونحن نغيب بالأمة إلى اعتبار المعهد من الضروريات الحيوية، وإمداده بالتبرعات"⁴.

1 - البصائر، عدد، 90 - 9 / 3 / 1949، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، 226.

2 - البصائر، عدد 8، م: 1، ص: 61.

3 - البصائر، عدد، 90 - 9 / 3 / 1949، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، 222.

4 - البصائر، عدد، 90 - 9 / 3 / 1949، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، 227.

وفي الختام أرى أن الشيخ المدير قد زواج بين الأصالة والمعاصرة، عندما ادخل مواد ظلت بعيدة التعليم العربي الحر كالصحة والرياضة، ودعوته إلى الأخذ بعلوم ومن منابعها في أوروبا.

ومن ثم تعلم اللغات الأجنبية طبقاً لما ورد في الأثر: "من تعلم لغة قوم أمن شهرهم"¹، وباعتبار أن تعلم أكثر من لغة هي معناه النظر بأكثر من عين، ومن هنا توجه الشيخ المدير إلى الأمة ببناء الضرع الحي قائلاً: "والشعب إذا أراد الحياة، فليكن كالأمم الأخرى التي نشدت الحياة فبلغتها، ومعنى ذلك أن تجرد نفسها من أكسية الجمود والنقائص التي ورثتها عن الآباء كما تجردت من ذلك الأمم الغربية، فإننا مادامنا متمسكين بذلك الجانب الناقص المعيب من ميراث الآباء فهيهات أن نحظى بتبيل ما نطمح إليه من المعالي"².



¹ - الكثير من يعتبر هذا الأثر أول القول حديثاً وهو غير صحيح فلم يرد حديثاً هذه الصيغة، إنما ما هو متداول بين الناس والذي أثبتناه فهو يترجم معناه حديث أخرجه الترمذي في سننه ، باب 22 في تعليم السريانية ، رقم 2858 ، تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف ، (بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر)، 4 / 167 وهو : " حدثنا علي بن حجر ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه زيد بن ثابت قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود وقال لي والله ما آمن يهود علي كتابي ، قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم ، وإذا كتبوا إليهم قرأت له كتابهم . هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير هذا الوجه عن زيد بن ثابت ، وعد رواه الأعمش عن ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت يقول : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم ، وهذا الحديث بحث عنه الباحثون فلم يجدوا له أصلاً، وإن كان معناه صحيحاً.

² انصاف، عدد، 90 سبتمبر 1949، الأعمال الكاملة للشيخ العربي السبي، 218.

صناعة الوعي وآفاق العقل الاستراتيجي المنهج الإصلاحي وأولوياته في فكر العربي التبسي

بغلام الأسلاك ، وليد علماني
جامعة فرحات عباس سطيف

توطئة:

والحديث عن علمائنا وشيوخنا ورواد الفكر الإصلاحي في بلادنا، وكذلك الحديث عن منهجهم الإصلاحي يتطلب الكثير من الدقة والتمحيص... من أجل استشفاف مواطن العبقرية والحكمة. تلك التي وظفوها في منهجهم المعد لتحرير العقل أولا من براثن النفس ومختلف التشوهات التي لحقت به جراء سياسة التجهيل والتكفير، وطمس الهوية ومعالم الدين والحضارة التي تأسس على معارفها الشعب الجزائري... ثم تحرير الجسد والرقعة الجغرافية من قبضة العدو العاشم الذي عاث في هذا البلد الطيب فسادا وخرابا ليحوّله إلى طمس وتشويه.

والذي نريده من خلال قراءتنا للعلامة العربي التبسي هو الوقوف على المنهج القويم والأداة الفعالة في رصد الهنات والمثالب التي نقع فيها يوميا. على الرغم من الوعظ والنصح الذي تتلقاه أذاننا بكثرة وأصيلا من مختلف الجهات التحسيسية، ومراكز الدعوة والإرشاد. فعلمنا اليوم عبارة عن أجواء مشحونة بالمعلومات والمادة العلمية الفكرية التي تثير العقول وتستنهض الهمم. إذ لم تبقى الحالة على ما كانت عليه في انقديم. فإحداثيات العلم تفتح جميع آفاق التنوير لتضع العقل في وعيه وإدراكه، وتلّفه بكوكة وهالة نورانية من الدراية والممارسة الفهمية التي لا يكفُّ العقل الباطن عن الاشتغال بها... علمنا اليوم عالم الصحوة التي لا مثيل لها مقارنة مع ما سبقها من تعميم وتغييب للعقل وإعمال للفكر والتفكير. علمنا اليوم عالم الفهم الذي يقبل التفاعل والتلاقح المعرفي والانفتاح على العالم المفاهيمي العقلي اللامتناهي في الفكر...

ومع كل هذا الزخم الفكري والمعلوماتي العلمي لا بد لنا أن نستحدث — ولو من جديد — محلا لنا داخل هذه المنظومة الواسعة. لأن البقاء خارج السرب ضياع ونكران خائنتنا، أما الاندماج فيها فهو عين الصواب. على الأقل إن لم نَحْتَلِ الصدارة نسقم ونَحْتَقِ بعضا من الوجود الفعلي الجاد في هذا الوجود.

حالتنا اليوم يتحدث باسم الماضي المشرف الذي صُنِعَ بأيدينا من ذهب، ورُسم وفق منهج محكم السبك دقيق الوشي، سليم النية ظاهر الضمير... منهجه رباني يتغني وحه الله تعالى.

ماذا حققنا بعملنا هذا؟ أترانا حفظنا له تلك البصمة؟ أم تراه عاد علينا بالفائدة والمكانة الجليلة والخير العميم؟ أم هو لعنة وعالة علينا؟ هل جلب إلينا محاسن تشفع لنا، أم لو نطق الزمان لنا فحاننا؟ حالتنا اليوم تعيش أجواء مشحونة بالقلق والفوضى، ولا تسير في ركب المعقول من الفعل ولا المنتهج القويم على الرغم من الأداة الجارية التي نمتلكها وهي هُج السلف. لأن هُج السلف حير عُدة في هذا الزمان الذي انقلبت فيه القيم، وتعدت جميع الخطوط الحمراء، وسارت في طريق الجهول المغيب عن حادة الصواب. تركنا ما بأيدينا وتبعنا سبل الضلال، عزفنا عن ما ينفع وتبعنا ما لا يسن ولا يغني عن جوع والحل الأمثل، والترياق لما تجرعناه من سموم... في منهج أجدادنا وآبائنا من السلف الصالح المصلح من أمثال الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس، والعلامة العربي التبسي، والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ المبارك الملي، ومن تبع فحجمهم وسار على درهم ثم الأمثل فالأمثل... ممن أحلصوا وصدقوا ما عاهدوا الله عليه.

الهمية دراسة المنهج عند العربي التبسي:

للأمة الجزائرية تاريخ عريق، وبجد ضارب في الأصالة بقدر الأصالة نفسها، كما تشكل الجزائر إحدى المعالم الحضارية التي تفتخر بها وذلك على أصعدة متعددة بدءا من النواحي الجغرافي الإيكولوجي وما يترتب عليه من مساحة رحبة تحوي في طياتها الكثير من المميزات التي جعلت منها رصيدا حضاريا خصبا ودافقا ينطق بالكثير...

الذي لا تختلف فيه أن النسق الحضاري شق لا بد منه في حياة الفرد، فهو جزء لا يتجزأ من مقومات الأمة التي لا تقبل المساومة ولا التجزئة؛ فالدين واللغة والتاريخ والمصير المشترك، إضافة إلى ما يتعارف عليه المجتمع الواحد وما يتعقد عليه من أصول ومنحدرات توثيقية متوارثة كابرا عن كابر... كلها أنساق تدخل في إطار المخطور الذي على كل فرد منا التمسك به إلى درجة أن نعص عليه بالنواجذ.

ولا غرابة في ذلك لأن الأمر منوط بالهوية، وما طُمست معالم أمة واضمحلت وتلاشت... إلا بسبب المساس بهويتها وتغييبها وجعلها ذبلاً رادفاً لتعاليم التمدن الممسوخ الماسخ للأعراف والأعراق، المفوض الفاضح لعري التمسك والعزة، المسلوب السالب للقيم الأخلاقية البناءة، المؤسس على الرذيلة والفحش، المؤسس لعري الانقصام والانسلاخ عن التعاليم السمحة العالية المتعالية عن كل غث هزيل، المترفعة عن كل أذى ومُفرغ من الجوهر والمحتوى السمين... إذ كيف بنا أمام ما نشاهده اليوم من فوضى عارمة قاتلة صارخة واضحة للعيان... فهي لا تخفي بل تواجه مقاتنا وجها لوجه، وما هي بالمصيبة الكبرى! لأن الأكبر منها ما نلحظه صباح مساء، وما ترقبه عن قرب وعن بعد... من مجريات للأحداث على الساحة اليومية ونحن في مقام المتفرج المشاهد المكتفي بالتعليق والتعقيب. ألا نكون كمن سكت عن حق المجتمع المسلوب، وكمن لسان الحق بالتخاذل والانطواء على ذاته بأن هذا هو الحق ما دمتنا في بوتقة الانفتاح! والعجب كل العجب في ذلك أنها دعوة باسم التمدن والتحضر والحداثة والعمولة التي نجاريها ونفتح عليها. وكأن ماضينا غير مشرف، وحضارتنا تخلف وجب علينا الخروج من واجهة مشوهة مشوهة تخرج بنا من عوالم الأصول المنبثقة من عري التمدن والتحضر الحقيقي.

للعلامة العربي التبسي آثار تبرع على زخم علمي كبير، من شأنها أن تُفصح عن منهج قويم في الإصلاح. منهج ينسم بالعلمية والدقة والأهداف الوجيهة. كما تفصح آثاره عن جوانب حضارية إسلامية تحدد هوية الجزائري ومكانته. ومن خلال آثار العلامة أيضاً تبرز مكانة الفكر والإصلاح. وهمهم في الدفاع عن الوطن ولم أشتاته التي أراد العدو الغاشم أن ينال منها.

يشكل المنهج التبسي اليوم عصب حياة ومادة علمية إستراتيجية قابلة للتدريس في شتى الجامعات والمدارس. وهو المنهج المطلوب بكل الحاح. وهو المنهج الغائب المغيب بكل أسف. ويا لها من معادلة التوفيق بين أطرافها صعب.

ماذا يحصل لو أدخل المنهج التبسي أو الباديسي أو الإبراهيمي أو... في منظومتنا التعليمية؟ وماذا سيحصل لو عرفنا علماءنا وشيوخنا معرفة كافية وواقية؟ لتتجاوز معارفنا هم حدود الأسماء والأماكن وتواريخ الوفاة و فقط؟ وماذا يحدث لو تعاملنا مع شيوخنا وعلمائنا كما نتعامل مع الكبار والمشاهير الزعوميين في وقتنا هذا من أمثال المثليين وصناع شبه الثقافة والثقافة الهدامة المفرغة من المحتوى؟.

لو دُرِّس منهج الشيخ العربي التبسي بشكل واف لأبنائنا في مختلف الأطوار التعليمية لارتقت المؤسسة التربوية ولصلح حال أبناء الجزائر وساد العلم والمعرفة والتعلم الحق في مشارق البلاد ومغاربها ولتكونت أجيال مثقفة واعية صانعة لأجسادها ولعافها... ومؤسسة لمقومات النهضة والتطور والرفي في شتى الميادين... وليس الأمر بالغريب في شيء لأن المنهج القويم والسبيل السديد هو الكفيل الوحيد الذي يضمن مثل هذه النهضة والتطور. فلماذا نترك الرشد في ما عندنا — وهو محرب وصلاحيته مضمونة — ونذهب إلى غير ذلك ونلتمس فيه رشداً ونلتمس منه صلاحاً — على الرغم من أن فشله واستمراره كطريق سوي معلومة عواقبها ومدركة... .

بديهيات وضرورات:

أثناء تبعنا لتاريخ الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي الغاشم وقفنا عند جملة من الضرورات والبديهيات التي لا بد منها في تكوين وجهة نظر تجاه هذه السياسة المضطهدة. شعب سلبت منه حريته، اغتصبت حقوقه، وهُضمت مكائنه الاجتماعية...، فما تراما تكون ردة الفعل؟

بديهي أن: يقوم الشعب الحر بفطرته في وجه غاصب حريته قصد استرجاعها.

وضروري أن: يصرخ الحر في وجه مستعبده.

بديهي أن: يثور الحر ليستنهض الهمم ويشحذها، من أجل الذود عن الأعراس.

وضروري أن: يسير المضطهد في ركب التحرر.

وبديهي أيضا أن: يتحرر المضطهد والمستعبد من قيود الفكر المتحجر المهترئ. الذي انطوى على مخرافات وأباطيل وبدع هدامة؛ تنتفي مع مكانة العقل النير المتفتح، من أجل صناعة وعي وفسحة للتحرر الجواني الداخلي.

وضروري أيضا أن: يكون التحرر الفكري مطية للتحرير الثوري والكفاح المسلح. وهذا شأن من شؤون أولي الألباب والتهى.

وهذا ما لخصه العلامة بقوله الموجز الوجيز كصرخة حر أبي في وجه الغاشم المستبد: "لو أنكم بنيتم المدارس والمصانع ووفرتم أماكن العلم والتكوين والعمل لنا وصلنا نحن الجزائريين إلى ما وصلنا إليه. ولكنكم بنيتم السجون والمعتقلات والمحتشدات.. فماذا تنتظرون منا غير الثورة والتمرد والعصيان؟"^(١)

وبالتالي فالمنهج الصائب والحكمة البالغة التي يتميز به العقلاء الفضلاء... من شأنها أن تصنع المعجزات وتحقق الغايات التي تقف بصمود في وجه الغاشم المضطهد. وكل مشروع إصلاح سار على هذا المنهج وركب هذا الغمار فالأكيد سيؤتي بثمار النجاح ويكفل في نهاية المطاف بالتوفيق والخلاص من براثن العدو. والأكبر من ذلك كله أنه حرر العقلية المتوقفة على أساسات من التخلف والتزمت الذي يكون عالة على صاحبه، ويعود عليه بالخراب والويلات. أو كما قال أحد المصلحين بأن الاستعمار إن لم يجد القابلية للاستعباد عند الشعب التخلف... لم يُقدم على استعباده ولم يسر في ركب الاستعمار.

حينما نطالع المنهج النسي في الإصلاح نجده قد ركز على جملة من المقومات التي بما يتم الإصلاح الجواني الداخلي. وبعد أن يتم هذا الإصلاح الذي يعيد بناء البنية القاعدية التحتية للأمة يمكن الانطلاق في التحرير الثوري وفق قاعدة صلبة متينة ذات

١ - منارات من شباب البصار، للشيخ العربي بلقاسم النسي، جمع وتصنيف وتحقيق: أحمد عيسوي، دار تونيد، 2006، ص 518.

مقومات وأصول حرة وممنهجة. وبالتالي فضروري أن نتحرر من قبضة المستعمر، وبديهي أن نتحرر عقولنا أولاً وفق منهج محكم، وبديهي أن يُحرر الفكر المتحرراً الجسد والأرض.

دراسة التراث وفق المنهج:

التعامل مع النصوص التراثية أمر حساس جداً. وذلك راجع إلى مكانة النص وقيمته في البنية الثقافية التي توّظّر هوية المجتمع. لذا وجب التعامل مع هذه النصوص بكثير من الحكمة والمنهجية الدقيقة الصارمة؛ حتى لا تزيغ عن القصدية، ولا يحدث شرخ في فهم النص، ولا تمارس سلطة يمكن أن تكون همجية إلى حد ما وتحمل النص ما لا يطيقه وثقّوله ما لم يقله... وبهذا تنتفي مكانة هذه النصوص وتذهب مصداقيتها ليضرب غبار الأهمام حصاره عليها وتُنقى إلى غيابات الظلام.

والمقدم على دراسة مثل هذه النصوص عليه أن يتبين جملة من المقومات من شأنها أن تضع القارئ على المحك الذي يؤصل له الفهم والاستيعاب الدقيق لها. كأن يتمثل المستويات المفاهيمية المستعملة في النص من عتبات، ومستويات الخطاب المعتمدة على النص والإرشاد، إضافة إلى مستويات الصيغ الإفهامية والتبليغية كالأمر والنهي، والتحضيض والتخصيص والإلحاح....

الإصلاح الاجتماعي

الصحة الفكرية والإصلاح الاجتماعي:

الغايات والأهداف:

عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصفة عامة يشغل على جملة من المقومات والأساسيات التي توضع في كل حسابان للتنشيط ولتفعيل الحركة الفكرية والإصلاحية. وبذلك تعتمد على جملة من الخطوات هي بمثابة لب الإصلاح كالتركيز على التعليم والنهوض بمستوى المرأة، والبنات، والتركيز على ترقية الفكر وتنقيته مما لحق به من

عواقب التدمير والتخريب العقلي الممارس ضده من قِبَل آلة الاستعمار الفرنسي، ومن الخطات الأساسية للإصلاح التركيز على إعادة الواجهة الدينية الإسلامية في القيادة والتسيير. لأن غياب الدين وإهماله يفتح أبواب الضلال والطرقية، والانحلال الخلقي، وسيطرة الخرافات والأساطير والبدع الهدامة.

وعمل العلامة العربي التبسي ما هو إلا امتداد لعمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. والسير في ركب منهجها القويم المعد لإخراج الأمة من برائن الضيم والخياف المسلط عليها. والنهوض بها من هذه الغفوة الضاربة في الركود والجمود، والخروج بها من بوتقة الظلام والانحلال.

صناعة الوعي الإصلاحوي:

وعى العلامة التام بأن الإصلاح منوط بالتطوير، والتفكير الجاد البناء؛ الذي من شأنه أن يحقق الوعي ويحقق الكينونة الفعالة المؤمنة بضرورة العيش في سلام تحت ظل الحرية والأمان والدعة... منهج كاف لتحقيق الثورة المنشودة والتحرير المطلوب. منهج واضح للعيان قابل للدرس والتدريس، وتربية النشء على مبادئه، وتوصيله إلى أبعد الحدود في الفهم والتفكير النير.

وحيثما نقلب المنتج الفكري الثقافي للعلامة يتضح لنا العمل الدعوي التحرري، ويتبين المنهج المعتمد في التأصيل للثقافة الإسلامية، العربية الجزائرية الخالصة. لأن التحرر لا يكون إلا إذا تحررت النفس بأنواعها من الأمانة بالسوء والمتخاذلة... والفكر المسيطر على الجسد من قبضة الأغلال التي كبلتها والقيود التي اتخذها أساور تأسر حركيتها.

فالعلامة العربي التبسي يعتمد على الإسلام الحركي والتطوير الاجتماعي، ويرى أن التغيير الحقيقي لن يكون دون نشر الثقافة والعلوم، وتهديب النفس والفكر معا وأن السياسة وحدها لا تكفي للوقوف في وجه الاستعمار. وهو المطية الكبرى للعمل الثوري التحريري.

الوعي التحرري الأثوري:

سئل العلامة في جمع عن أهل الكهف السبعة الرقود. هل قصتهم حقيقة أم لا، فهي لا تخلو من الغرابة فأجابهم الشيخ إجابة الرجل العالم المتفقه العارف بخبايا المكونات وما تخفيه القرائح... بأن العجب كل العجب والغرابة كل الغرابة في هذه السبع ملايين نسمة راشدة متوجعة متألمة ولم تحرك ساكناً في دحض الاستعمار وطرد انكافر من الأرض الطيبة المباركة. هذه الأحداث التي تتناقلها الألسن يمينا وشمالا تنبئ عن المنهج الإصلاحى عند الشيخ. ومن هنا يمكن القول بأن حديث الشيخ تواصل تأسيسى لغاية كبرى وطريق وحيد هو الإصلاح في شتى الميادين وفي جميع المجالس. إلى درجة أنه كان يُحوَّزُّ جميع الأسئلة، ويحدد لما مجموعة من التعريجات، ويكيفها حسب الجهاد الأكبر والعمل الأساسى وهو الإصلاح. حتى وإن كان الظاهر سحرية أو مزحة فالغزى أعمق من الهزل وأسمى من الضحك المتبدل الذي لا طائل منه.

العقل الاستراتيجي ومكانته في المنهج التبسي:

ركز العلامة العربي التبسي على العقل وإعماله في جميع الأمور، والنهوض به وجعله أداة فعالة في البناء والإصلاح. وبالتالي سعى سعي الجاد المجهتد في تنويره والنهوض به من أجل الرقي الوطنى القومى، حتى يتمكن من السير قدما نحو الأمام وهو ما يمكن أن نسميه بالعقل الاستراتيجى الذى به كأداة تحرر النفس نفسها من برائن الشهوات القاتلة، ومن برائن التخلف المهيمن المسيطر عليها من قِبَل قوى المستعمر الغاشم... حتى تضع أولى خطواتها في ميدان التحرير الثورى. وهذه لازمة من لوازم الحياة والنفرة. فلا تحرر مطلق ولا حرية كاملة من قبضة العدو حتى تحرر النفس نفسها من قبضات الشيطان ومما علق بأستارها من معتقدات خاطئة ومناهات حالكة الظلام. وبقي عمل تحرير العقل أملا ينتظر العلامة قطف ثماره ذات يوم. إذ يقول: "ولا نزال نأمل انتصار العقل وعسى هذا الأمل لا يخيب".

كما كان محمد العاقل صاحب النظرة الثاقبة والعقل النير، وما يفعله ويُحدثه في المجتمع من تغيير وإصلاح كما يقول: "فالعقل الحكيم من سعى بيديه لتغيير هذه الحالة و... بمين الإخلاص: وساعد الخلاص لهذا الشعب الذى إن كان يعرف النعمة ويحترها

من أمد بعيد فهو يعرف أيضا الاعتراف بالجميل، ويعرف كيف يديه لمن أحسن له عملاً⁽¹⁾

قواعد التحريم:

آمن العلامة بأن النصر سيأتي لا عملة مهما طال. وإن للصحيح انبلاج سيوفر نوره وضاحاً للحق، كشأفاً للباطل، معينا على الأخذ بناصية النصر إلى دروب الأحرار... كشمار تحثي بعد طول انتظار في جهد زكٍ ومباركٍ. يقول العلامة في هذا الشأن: "لكن الأفكار التحريرية العظمية في كل عصر، وفي كل مصر، تعلق ولا يُعلى عليها، تنتصر رغم العقبات والتعذيب والتنكيل، بل ما رأينا فكرة انتصرت وأمة تحررت إلا بعد أن نالت ألوانا شتى مما صبه الظالمون عليها من البطش والنكال، فتلك هي الخطى الطبيعية التي توصل الأمة إلى درجة الكمال والتطور"⁽²⁾ هذا القول يفضي بنا إلى ما نشهده اليوم من حركات تحررية على المستوى العالمي، وهو دليل أكبر على أن ما وضعه الآباء والأجداد من مناهج في الإصلاح أعمال صالحة في كل زمان ومكان، وكان الشيخ العلامة العربي التبيسي بيننا اليوم ويلقي هذا الكلام بمناسبة ما يحدث في العالم. ومجمل أقواله فيما يخص الحرية والتحرر كمثل البلمس الذي يحوي في طياته الشفاء الموعود حيث يقول: "إن أردتم الوصول إلى الغاية من أقرب طريق، فأقرب الطرق للوصول إلى الحل السلمي ليس هو طريق الاحتشادات، ولا طريق السجون، ولا طريق المجازر البشرية، بل الطريق الوحيد، المضمون، هو طريق الاعتراف بالحق والاستجابة لرغبة الأمة وتمكينها من الحياة الحرة الشريفة التي صممت أن تحياها ولن تُقبل بعد اليوم حياة غيرها"⁽³⁾ حياة الذل والاضطهاد، والعنف والتعسف... كلها حياة لا تؤسس للأمن والاستقرار الدائم فهي حياة مضطربة متدهورة دائمة البحث عن قاعدة تؤسس لأمنها وفقها... ولا تنفك تروم سيادتها حتى تنتفض ذاك القهر وتكسر تلك القيود والأغلال. ولا غرابة في ذلك فالحرية تؤخذ ولا تُعطى وتنتزع ولا توهب مهما طال زمن الرقود ومهما فعل المحرم المستعمر من قوة وبطش وأساليب التعذيب وطمس الهوية وتذهيب

1 - مقارنات من نهج البصار، أحمد عيسى، ص 491.

2 - مقارنات من نهج النصر، أحمد عيسى، ص 492.

3 - نفسه، ص 499.

الأخلاق ودحضها بشئ الطرق والوسائل. كما أن إرادة الشعوب في الحياة تفوقها كل إرادة ولا تقف في وجهها أي عقبة فهمة ابن آدم لو تعلق بالثريا لأدركها كما قال خير البرية — عليه الصلاة والسلام — وهي أيضا سنة كونية تمر عليها البشرية جمعاء. تتمثل في قول عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — "مضى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" ثم نجد الحركات التحررية العربية والعلمية ناشد هذه هذه المقولات التي تأسست عليها الجيلة الأولى... وهو أيضا ما عبر عنه أبو القاسم الشابي بقوله:

إذا الشعب يوماً أراد الحياةَ فلا بُدَّ أن يستجيبَ القدر
ولا بُدَّ لليل أن يتجلى ولا بُدَّ للقيد أن ينكسر
ومن لم يُعانقهُ شوقُ الحياةِ تبخرَ في جوفها وأندثر

كما أن الحياة تؤخذ ولا تُعطى: "فالشعب إذا أراد الحياة، فليكن كالأمم الأخرى التي ناشدت الحياة فبلغتها، ومعنى ذلك أن تجرد نفسها من أكيسة الجمود والنقائص التي ورثتها عن الآباء كما تجردت من ذلك الأمم الغربية. فإننا ما دننا متمسكين بذلك الجانب الناقص المعيب من ميراث الآباء فهيهات أن نحظى بنيل ما نطمح إليه من المعالي"⁽¹⁾ ويضرب لنا الشيخ التيسي هنا مثالا بالأمم الغربية التي تحطت الخوف وتغلبت على كل معتقداها البائدة؛ من خرافات وبدع وأساطير وهيمنة الكنيسة وسلطنتها... إضافة إلى جمل المعوقات التي أصابت العقل وحرته وجمدت فاعليته وأطفأت نوره.

الإسلام صانع الوعي والمنهج القويم:

أولى الأمور التي انطلق منها المشروع الإصلاحى الخاص بجمعية العلماء المسلمين. الإسلام وذلك لأنه اللبنة الأساسية التي تؤصل للفرد وتحقق كينونته. فالإسلام مشروع حياتي وعظم معيشي وبرهان رباني: الإسلام فحضة أمة بأكملها وتقدم حضاري بأسره وشعلة ومنازة للهداية... "ولا غرابة في ذلك فإن الإسلام ثورة. أجل ثورة على الفساد

والظلم في جميع الميادين، وفي جميع العصور. وأن الإسلام لن يرضى بهذه العزلة التي فرضتها عليه السلطة الجائرة. فالإسلام بوصفه عقيدة وعملا ومصحفا وسيفا. يجب أن تُرفع أمامه هذه الحواجز والسدود التي تعرقله عن الانطلاق ولكي ينشر الإسلام ظل رحمته وعدله، يجب أن يتحكم في جميع علاقات وسلوكات الأمة. لا فرق في ذلك بين انسيابية والاقتصادية والاجتماعية...»⁽¹⁾

ومن خلال قول العلامة يتضح لنا إدراكه ووعيه بأن الإسلام هو قائد الشعوب وحامل لوائها وأن الإسلام الحقيقي الذي حفظ الأمة الجزائرية وجب علينا المحافظة عليه لأنه مجدها وهو حديد في كل عصر إذ يحتاج إلى تجديد الفهم... وهذا الوعي المنحوب بلطائف ربانية أتاح له الكتابة لعصره وحاضره ولزمن مستقبلي سيماني نندمون فيه من سوء فهم وتأويل خاطئ لمفاهيم هذا الدين الكريم. فهذه الإشكالات الفكرية والحضارية التي أدركها وعي هذا العلامة مازالت قائمة اليوم بهذا العالم العربي الإسلامي.

مكانة المرأة في المنهج التبسي:

تشغل المرأة حيزا كبيرا عند الشيخ العربي التبسي. حيث اهتم العلامة اهتماما بالغا بشؤون المرأة وعيا منه بأهميتها في الحياة بصفة عامة. فقد دعا إلى ضرورة تعليمها تعليما قويا والخروج بها من التخلف إلى النور لحمل أعظم أمانة وهي تربية النشء وصناعة الأجيال وإعدادهم للحياة. إذ وصفها بالمدرسة التي تُكوّن الأجيال. كما أنها أهم ركن من أركان المجتمع وهذا ما تنزل به الإسلام وأعزها وكرمها في أكثر من موقف، ومنحها حقوقا لا تقل عن حقوق الرجل من التحرر والتعلم والميراث وطبعا ذلك في حدود الدين والشرع. حتى لا يُتهم الدين من قبل الناقصين بالنقص. وفي ذلك يقول العلامة العربي التبسي: "إن تعاليم الإسلام كلها رياضنة روحية، تهدف إلى الإصلاح الفردي والجماعي، والمرأة بوصفها مدرسة أولى تصوغ عقول الأطفال، وتربي أرواحهم، وتُعدّهم إعدادا ملائما حتى يحققوا في المستقبل ما يرجوه منهم الوطن

والأمة... «⁽¹⁾» بهذا القول تكتمل من خلال العلامة رؤيته للمرأة ومكانتها في المجتمع. وعدم تعليم المرأة من وجهة نظره آفة خطيرة سيؤدي إلى إبحاب أطفال لا تحسن تربيتهم لأن الأم بطبيعتها ستنقل معالم شخصيتها لأبنائها في شكل توريث. ويقول في ذلك العلامة: "المرأة عندنا هي أمها معمل يُخرج الأطفال وبهم الكثير من العاهات النفسية، نظرا لما يتلقون عنها من العادات القبيحة والتربية الفاسدة. إن المرأة الجاهلة نكبة على نفسها وعلى أولادها وعلى زوجها، وبالتالي على أمتها. فيجب أن نتفهم جيدا هذا المشكل الخطير ونضع لها الحلول الناجعة السريعة." ⁽²⁾

فالخل الوحيد في رأي العلامة هو تعليم البنات والمرأة حتى تؤدي وظيفتها على أكمل وجه في تحسين أداء المجتمع. والتاريخ أثبت أن للمرأة ضلعا كبيرا في تقدم الإسلام.

مسؤولية الفقهاء:

ضرورة الكلام في دائرة العلم والمعرفة وإلا فالكلام خارج عن ابتغاء وجه الله تعالى والمراد منه الشهرة والبروز وطلب الحمد بما لا يستحق وهذا ما يتنافى مع المنهج القويم في الوعظ والإرشاد وتوعية الناس وفي هذا الشأن يقول العلامة موجها خطابا تأديبيا — إن جاز تسميته بالتأديبي — "وليت هذا السيء إلى نفسه أمسك عما لا يعلم، وأقبل على شؤونه المجردة، فإن كان ولا بد ملقيا بنفسه في أحضان العلم، فليقل من علمه. وليكتب إلى الناس برأيه، فإن أصاب لم يعد حامدا، وإن أخطأ وجد من يعذره. أما أنه كمسلوب الاختيار لا يملك قليلا ولا كثيرا من الآراء العلمية، ثم يُقدم على نشر فتوى قبح منها بوضع اسمه، فإن أحمله على أنه لم يُرد وجه الله في عمله، وإنما هو أداة من الأدوات، لا عذر لمن اغتر بفتواه" ⁽³⁾ الذي يستنبط من هذا القول أن الشيخ التيسري وضع رسما لكل من سلك سبيل الفتوى عليه أن يُفني بعلم ويستند على قاعدة من الآراء العلمية الفقهية حتى يتحمل المسؤولية كاملة، ويقفل باب الإفتاء على كل من

1 مقارنات من شهاب البصار، أحمد عيسوي، ص 251.

2 نفسه، ص 251.

3 مقارنات من شهاب البصار، للشيخ العربي بقاسم التيسري، 2006، ص 82.

أراد التطفل على هذا العمل الجليل الذي يترتب عليه استقرار الأمة والمجتمع. كما هذه الفتوى يجب أن تفتن بنية صادقة لوجه الله تعالى وليست من أجل المظاهر.

مخاربات الطريق:

في محاربة البدع والخرافات والأساطير التي زرعت في بنية الشعب الجزائري بحد العلامة سطر منها قوما في رصد هذه الكارثة ومحاربتها. لأنها أداة هدامة وسم زعاف دب في الجسد الطاهر. فالاستعمار العاشم عمل على ضرب البني التحتية التي تشكل القاعدة المركزية التي يتمحور عليها المجتمع الجزائري وتُشكل هويته، وتُمنهج حياته، وتُهدب أخلاقياته.... حتى يستقر كمنظومة إنسانية متأقلمة مع بين البشر بصفة عامة. وإذا أردنا الحديث عن المنهج الإصلاحى في مثل هذه الجوانب الحساسة كان لزاما علينا أن نتطرق من المنظومة الإصلاحية ككل والتمثلة خصوصا في الركون إلى الدين والرجوع إلى حضرة السنة النبوية المطهرة. والتمسك بما تمسكا لا نظير له أي أبلغ من تمسك الغريق بالقشة. فيقول العلامة: "شاء الله أن أهبط بلدة خنشلة في صيف هذا العام، وشاء أن أتخذها محل إقامة خمسة وعشرين ليلة، وقدر لي أن اجتمعت أثناء هذه الليالي بأقوام يمثلون أغلب طبقاتها، واستطلعت آراء عقلائها ومفكرها في حالتنا الدينية وما أصابها من التدهور، وكانت نتيجة البحث مع العقلاء الذين حفظهما الله من بدعة الطريقين استحسان الدعوة إلى كتاب الله وستة رسوله، وما كان عليه سلف الأمة، وإلى ترك ما أحدثه المحدثون."⁽¹⁾

فاجتماع العلامة بأغلب طبقات ولاية خنشلة دلالة صريحة على أن منهجه شامل ومعتمد على التفحص الدقيق والتمعن البالغ إلى درجة الاعتماد على مخالطة السواد الأعظم من الشعب من أجل الوقوف على الخلفية والقاعدة التي يقوم عليها هذا السواد من الناس. ليتمكن من الوقوف عند عتبات تفكيرهم وممارساتهم للحياة الاجتماعية وجوانبها المختلفة، وممارساتهم للحياة الدينية بوجه خاص.

منهج العربي التبسي في التعليم والقيام على المعهد الباديسي:

في شأن التعليم يقول العلامة: "إن المشروع جنيل ولكنه ثقيل وقد حملنا وحدنا؛ دون الأمة ثلاثة أرباع الثقل من تنظيم وتعليم ومقاومة للعوارض والمعارضين ولم يبق إلا الربع وهو المال"⁽¹⁾ فقيام العلامة على التعليم جعله يولي عناية دقيقة في القيام على التعليم في المعهد الباديسي الذي يشتغل تحت اعتماد لجنة تميز بالكفاءة والأداء الجيد في تسييره؛ بحيث يقتصر عمل هذه اللجنة على التسيير المباشر وفق الحركة التي تشكل عصب الحياة لهذا المعهد والمتمثلة في الإدارة والبرنامج المسطر للسير الحسن لهذا المعهد. فالإدارة تشتمل على هيئات متخصصة كل هيئة تعمل في حدود مسؤولياتها ووفق برنامجها. وأساسها الهيئة العلمية التي تتألف من مجموع المشايخ المدرسين القائمين على الجانب العلمي للمعهد من مادة علمية، وتقديم للدروس، ووضع للبرامج وتنفيذها، وكذلك اختيار الكتب، وإجراء الامتحان للتلاميذ، وتوزيعهم على السنوات حسب الأهلية والاستحقاق العلمي.

المنهج الإصلاحي في المنظومة التعليمية / التربوية:

أدرك العلامة العربي التبسي أن التعليم والعلم هما اللبنة الأساسية في بناء المجتمع وصناعة الوعي لدى الأمة والشعوب قاطبة. ومن أجل ذلك دعا إلى تحرير الفكر من الجسود الذي لحق به وأدرجه في خانات الانغلاق وأدراج التعطيل. إذ يقول في هذا الشأن: "الجهل هو السبب الرئيسي في خراب الأمة وسقوط الشعوب، وتدهور الجماعات البشرية، وأن العلم والمعرفة هما وسيلة الإنقاذ وسبيل النجاة والطريق السوي الذي يفتح أبواب السعادة والحياة"⁽²⁾

هذه الرؤية الثاقبة الصادرة عن المنهج التبسي في تشخيص الداء الذي ألم بالأمة. فهو حسب قوله أخطبوط لعين يفتك بالإنسانية قاطبة. وهذا القول ذاته يجيلنا إلى الأمر الرباني الذي يشكل بادرة تزل الوعي والمتمثل في الأمر "اقرأ". فبالقراءة والتعلم

1 - فترات من نهج التبسي، أحمد عيسوي، ص 361.

2 - نفس، ص 359.

تكتسب الأمة مكانتها وتحمل الصدارة وفق الحكمة الناطقة بـ: "أكثر الناس حكمة أكثرهم قراءة"

وبقي تمجيد العلامة العربي التبسي لما شيّده العلامة عبد الحميد بن باديس من صرح علمي شامخ يضاهاى في تلك الفترة جامع الزيتونة والأزهر الشريفين إذ يقول مجسداً المعهد الباديسي: "كانت جمعية العلماء المسلمين وما تزال الهيقة الوحيدة التي تعمل على تقوية العوامل الدينية في بناء فحضة الجزائر الحديثة، فلا تشرق الشمس الجديدة إلا على آثار لها سبقتى أنشودة الدهر، ومن هذه النتائج الحية البارزة التي أنتجتها جمعية العلماء هو معهد ابن باديس تلك المآثر الخالدة والمؤسسة الكبرى التي تفخر بها هذه الجمعية. ذلك المعهد الذي كان غصة لكل من يحارب الدين وشجا في حلق من لا يهيمه انتشار الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر"⁽¹⁾

دور المعلم ورسالته :

يقول العلامة التبسي عن دور المعلم ورسالته: "ولكن البرنامج — مهما كانت قيمته العلمية وجدتها — لا تساوي شيئاً إلا بالمعلم الذي يسهر على تطبيقها، فضمائر وقلوب وعقول رجال هي تربتنا وحدها، وهي التي تمد الحيوية المباركة المطبوعة بما كل الأعمال الإسلامية. وللمعلمين الحق كله في توزيع الدروس حسب الحاجة وتكييفها حتى تصبح صالحة للبيئة، وكذا الزيادة والنقصان لبعض الدروس التي تبدو لهم ذات قيمة وفائدة. أو لا قيمة لها، ولا فائدة بالنسبة للجهة التي هم فيها، ويكفي أن ذلك داخل الإطار العام للبرنامج. والتعليم يجب أن يكون حسناً في غالب الأحيان، والمعلم أثناء درسه يحاول أن يكون مكتشفاً لا حاكياً، وكذا الفصل بالطريقة الإيجابية (سؤال وجواب) يتولد نشاط وحيوية بين المعلم وتلاميذه، وهكذا يخرج الطفل بأكثر قسط من الفائدة العلمية."⁽²⁾

هذا النص الذي يؤسس من خلاله العلامة العربي التبسي لدور المعلم في المدرسة، والطريقة التي يقدم بها دروسه. يمكن من خلاله أن نستشف الكثير والكثير من الطرائق

1 - صرافات من شهاب البصائر، أحمد عيسوي، ص 345.

2 - نفسه، ص 381.

التي من شأنها بناء منظومة تربوية منهجية. تصل إلى حد العالمية التي تمنهج جميع دور العلم والمعرفة. فبدل أن نستورد المناهج الغربية وبخصوص الخصوص الفرنسية — باعتبار فرنسا البلد الوحيد الذي نهل من الجزائر الخير العميم — علينا أن نؤسس لمنظومتنا التربوية من خلالنا و فقط، لأن المنهج موجود ومُحكّم البناء. لكن لجوءنا إلى الغرب إنقاص لقيمتنا وإجحاف في حق علمائنا الأجلاء. ألا يحق لنا أن نتساءل في هذا المقام عن سبب هذا الخلط؟ وهذا التيه الكبير؟

وحتى نسلط الضوء أكثر على هذا النص نعلم على الجزء الأخير من النص الذي مفاده: "والعلم أثناء درسه يحاول أن يكون مكتشفا لا حاكيا، وكذا الفصل بالطريقة الإيجابية (سؤال وجواب) يتولد نشاط وحيوية بين المعلم وتلاميذه، وهكذا يخرج الطفل بأكبر قسط من الفائدة العلمية." فهو يلخص دور الأستاذ وقيمة العمل والاجهد الذي يبذله في توصيل المادة العلمية للطلاب.

ومن جملة ما تتادوله اليوم وما نقيم له الملتقيات والندوات والمحاضرات، ما يسمى بالنظام الجديد، والمقاربة بالكفاءات. وكأن يستعمل المعلم جهده وصبره في التعامل مع الطلبة وتعاطي أصول السؤال والجواب وتفعيل الحركة وتنشيط الأجواء العلمية... وذلك من أجل التعريف بهذا النظام وزرعه في عقولنا حتى يكون أداة فعالة في المنظومة التربوية. ولماذا كل هذا التفاني في الإفهام وشرح النظام؟ الإجابة بكل بساطة ومن دون عناء يعرفها العام والخاص لأنه برنامج مستورد، والبارحة فقط! لكن الضيقة المقابلة تخبر بأنه هنا في الجزائر علامة أصل هذا الأصل التربوي ولا حاجة بنا إلى غيره من المنظرين. وهذا دليل على تخاذلنا في العناية بترائنا، والوقوف عند عتبات علمائنا الأجلاء. فمنهاج المصلحين الجزائريين أمامنا لا داعي لأن نلفت الانتباه بأننا نحرص على ثقافتنا وتعليم أبنائنا إلى درجة الاستعانة بالآخرين. مثل هذا النص وغيره كثير توصل وتوظف المعلم والتلميذ معا وبشكل لائق ومقبول وعلى وجه تام.

وفيما يخص رسالة المعلم: فمن منظور العلامة التبسي أن المعلم تقع عليه رسالة وحملها ثقيل وكبير عليه في آن واحد. كما يبقى الواجب الأكبر هو العمل الجاد وتمثل المسؤولية دون تقاعس... إضافة إلى احترام الزملاء مع التأكيد على التواضع

والابتعاد عن الغرور والاعتزاز بالنفس. فالعمل الدؤوب والجداد هو الكفيل للقب والشهرة، الضامن للاحترام. كما أن المستخلص من رسالة المعلم كما ارتضاها العلامة التبسي هي أن المعلم مقدم لرسالة نبيلة حليلة توصل لمكانة المعلم في هذا الوجود وفق مقولة:

قُمْ لِلْمَعْلَمِ وَفِيهِ التَّجِيلا كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا

ولأن العلم قدوة للأجيال لا بد من زرع القيم النبيلة والأخلاق الحميدة الطيبة في هذه الأجيال إذ يقول العلامة التبسي: "فهل قدرتم هذه المسؤولية، وهل فتمت بواجب الرسالة؟ الذي يبدو من مطالعة الأخبار وقرائن الأحوال وتقارير المفتش أن الجواب سلبي نسيبا إذ ما ينفك الكثير منكم متعاسا مفرطا دأبه التفاني في التعلق بأذيال ماض لا خير فيه، والحفاظة عليه محافضة جامدة، لا يهمنه أن يقدر المسؤولية، ولا أن يقوم بواجب الرسالة الملقاة على عاتقه. وإنه لمن المؤسف جدا أن يوجد في البعض منكم الغرور بدل الطموح، والمغرور المعتد بالنفس، وأن تفقد في صفوفكم الطاعة واحترام النظام وتقدير الزميل."⁽¹⁾

أقوال ماثورة عن العلامت:

قال الشيخ في معرض رده على القائد العسكري الفرنسي مدير السجن العسكري بقسنطينة في شهر مارس 1943م عندما اعتقل بتهمة التعاون مع الألمان.

"لو أنكم بنيت المدارس والمصانع ووفرت أماكن العلم والتكوين والعمل لما وصلنا نحن الجزائريين إلى ما وصلنا إليه. ولكنكم بنيت السجون والمعتقلات والمحتشدات.. فماذا تنتظرون منا غير الثورة والتمرد والعصيان؟"⁽²⁾

¹ - منارات من عتبات البصائر، أحمد عياوي، ص 382.

² - نفسه، ص 518.

مر الحاكم العسكري لمدينة تيسة باتيستيني الكورسيكي الحاقدا، بالشيخ العربي التبسي وهو في مدرسة تذيب البنين والبنات بتيسة بجوار مسجدنا الحر فقال له: أيها الشيخ: إنكم مستمتون في تعليم وتثقيف الناشئة، فما جدوى ذلك؟
فرد عليه الشيخ بوقاره، وعزة نفسه، وإيمانه المعهود قائلاً: "كفي لا يكونوا مستقبلاً ماسحي أحذية لأبنائكم وأحفادكم من غلاة الاستعماريين"⁽¹⁾
هذه الرؤية المستقبلية المستشرفة لحال الأبناء أو الجيل الصاعد التي استنبطها الشيخ العلامة بجنكة ودهاء، وبعين ثاقبة خيرة، وعين بصير عارف بجنبايا ومكونات جعبة المستعمر المستدمر... جعلت عمله أساسياً ومثمراً وهادفاً. بسبب منهجه القويم في اللورد والدفاع عن القاصر الضعيف...

الكلمة

مما سبق نخلص إلى أن للعلامة الشيخ العربي التبسي منهاجاً قوياً وسديداً في بناء العقل وإحكام أولوياته/إجراءاته في الإصلاح، وتسوية ما لحق العقل من اضطرابات تخلخل مكانته. وما كساه من ظلام حجر حركيته واتقاده في بعث نزع الفكر والتفكير من جديد وترميم البني التحتية التي يبنى عليها المجتمع ويؤسس لمنظومته الاجتماعية الدينية السياسية التربوية والاقتصادية...

وفي مقام الختام نقر الكلمات وتحفظ بروق كلمات أحررُ أسست خلودها وأبديتها في الأذهان... لتفرض قدسيته وهيمنتها في الظهور وقت الحاجة ووقت الاستشهاد بمأنور القول وكلامه... فلم نجد لما نختتم به هذه الكلمات المضيفة عن سيرة العلامة الشيخ العربي التبسي — مع أنها لا تفي الرجل حقه من التدقيق والعناية — إلا ما قاله هو نفسه في ثلة من أمثاله من ذوي العقول والنهي أمثال شيخ شيوخ المصلحين في الجزائر وحامل لوائهم العلامة عبد الحميد بن باديس رحمهم الله جميعاً ورضي عنهم.
حيث نجد مما قاله الشيخ العلامة في الذكرى الثانية لوفاة الأستاذ العلامة عبد الحميد بن باديس: "إن الرجال لا تُسجل أنسابهم ولا صورهم ولا أموالهم في سجل الإنسانية

وشرائعها ورجالها، وإنما تُسجل عقائد الذين غرسوا عقائدهم في نفوس الناس، وإنما تُسجل أعمال الذين أخرجوا الناس من فوضى اجتماعية إلى نظام اجتماعي توارثته الإنسانية بعدهم. إنما تُسجل عبقرية أولئك الذين حاموا على الإنسانية حين أهتمت واعتدى عليها فراعته العنصرية وجبايرة القوى المادية، وإنما تُسجل المبادئ التي نفيء إلى ظلها الإنسانية حين تطفئ على الإنسانية الجوائح التي يحتاج الناس بسوط عذابها وخيب نيرانها.

والذكرى إذا أقيمت لشخص له في عروق هذه الصالحات نسب كانت تلك الذكرى اعتراف لتلك الشخصية بأن لها في عنق القائمين بهذه الذكرى نعمسا ومننا شُكرها له بإقامة الذكريات والحفلات هو أقل حق له عليهم يُودونه لهم⁽¹⁾



جماليات الكتابة الأريية عند الشيخ العربي التبسي

د رابع طبون

المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة

ملخص:

يعد الشيخ العربي التبسي (1895-1957م) علامة من العلامات المضيفة في تراثنا وحضارتنا وتاريخنا ويحتل مكانة أدبية ومنزلة شائخة بين أعلام الجزائر في العصر الحديث فقد اشتهر كمصلح مرموق وأديب مبدع وخطيب مفوه، وقد استهوت هذه الشخصية التي تمتع بها العلامة العربي التبسي الكثير من طلبة العلم ورواد المعرفة ودعاة الحرية والتحرر. وتضافرت على تكوين هذه الشخصية عدة عوامل¹، منها البيئة الثقافية التي نشأ فيها وهجرته إلى الزيتونة والأزهر، وعوامل الفطرة من نبوغ مبكر واستعداد لهذا المسار الجليل، كل هذه العوامل تجمعت في رجل يملأ جوامع الدين وجامع العلم ومحافل الأدب.

الكتابة النثرية عند الشيخ العربي التبسي:

تشكل مقالات الشيخ العربي التبسي مجموعة ثرية من روائع المجموعات الأدبية الثرية في الجزائر، وهي نموذج مهم يبرز مدى كفاحه من أجل أن يكون له موضع تحت شمس الأحرار، حيث استحوذت على نفسه اهتمامات أمته الإسلامية أينما كانت فينتقل منها، ويصدر عنها، ويسخر لها كل إمكاناته العقلية، ومواهبه الفكرية، مبيها مواقف من بعض القضايا ذات الطابع الإصلاحية الاجتماعي، فالسياسي الوطني، فالقومي والإسلامي.

¹ ينظر، محمد علي دبور: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 01، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1976، ص 61.

وكان للحجج الأدي العام ولمهامه الإدارية والتربوية والإصلاحية وثقافته العميقة دوراً مهماً في بلورة تكوين أسلوبه في كتابة المقالة، فقد تأثر بالمقالات التي كان يجرها الشيخان عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، ويتم نشرها آنذاك في الصحافة. أما العوامل التي ساعدت الشيخ العربي التبسي على الاستقلال بأسلوب أدبي اختص به في كتاباته الثرية نذكر منها: الاهتمام بالمقام وذلك بانتقاء اللفظة المناسبة لموضعها في سياق الجملة والكلام، والحفاظ على العقوية، مع ضمان انسيابية الألفاظ في عقد تعبيرية متناسق ومتناسق، وكذلك الترابط بين عناصر المقالة في اللفظ والمعنى، واعتماد الموضوعية والدقة والوضوح.

وقد كانت مقالات الشيخ العربي التبسي كفيض متدفق، وبخاصة في مناسبات معينة أو موضوعات ذات علاقة بواقع المجتمع الجزائري، كحديثه عن قضايا أخذت اهتماماً متزايداً في تلك الحقبة من الزمن مثل: المقال الذي نشره في الشهاب سنة 1926م بعنوان (أزفت ساعة الجماعة وتحرم عصر الفرد) حيث يقول: "فإن هذا العصر عطل الفرد ونبد حكمه، وأمات مفعوله، وتجاهل وجوده، فأينما أملت سمعك أو أرسنت نظرك في الشرق أو الغرب، لم تجد إلا أمة فحزبا فهياة منها وإليها كل شيء، فهي التي تذب عن الهياة الاجتماعية، وتحرس الأمة في نواب الدهر وعادية الأيام، وتغار على كرامتها وحسن الحديث عنها، وتأخذ بيدها قبل أن تفرق عند هبوب السماسم ولحف الأعاصير، وتكون لسانها الناطق بطلبائها، وحسها المتألم لألمها."¹

مجاهدات المقالات عند الشيخ العربي التبسي:

من أروع مقالاته الأدبية مقالته بعنوان (السلوك وبدعة الطرقية): التي قام بنشرها في مجلة الشهاب، حيث كان موقف الشيخ من الطرقية صارماً حازماً فقد كتب يقول: "ألا إن أعدى المسلمين للإسلام أولئك النفر الذين يظنون من قبل أنفسهم أنهم أولياء الرحمن وأحباؤه، وملؤوا أنفسهم ومن يتبعهم بأمان هي ضلال وما

¹ العربي التبسي: مقالات في الدعوة، إلى نهضة الإسلام في الجزائر، جمع وتعليق: أحمد بنوني التردعي، دار بيتنا للطباعة والنشر، فسطاط الجزائر، 1981، ص 187.

أرادوا بما صوابا. فاستباحوا من الله المحارم، وتعدوا له الحدود وأعرضوا عما فيه من الهدى فاعتز بهم الجهال وانقاد لهم الأغرار ودخلوا على الناس في عقائدهم ولبسوا عليهم أمر دينهم، وزهدوا الأمة الإسلامية في علمائها الذين أمر الله أن يرد إليهم الأمر"¹.

ويقول أيضا: "هاأنتم استطعتم أن تفتنوا الأمة في دينها وتحيدوا بها عن أولياء الدين الذي جعلتم أهله شيعا و أضرابا كل يصف غيره بأنه السالك بنيات الطريق، والله يؤاخي بينهم ويأمرهم بولاية بعضهم بعضا، ورسول الله محثا على رص الصفوف وجمع الكلمة حثا، فهل تستطيعون يوم يذاد من يدل وغير عن الحوض أن تغنوا عنهم من عذاب الله شيئا؟ فهل هؤلاء الطريقون أهدى من أولئك القوم الذين أنعم الله عليهم ؟ أم أرادوا أن يعيدوا تاريخ الكنيسة في الإسلام، ويزعموا الرعامة الدينية، ويتولوا وظيفة التشريع والهدى"² وقد كتب في إبطال بدعهم مقالات كثيرة منها (بدعة الطرائق في الإسلام)، ومنها مقالة موسومة — (من غشنا فليس منا أيها الطريقون) بين فيها التآمر الخفي بين الطرقية والاستعمار فقال: "وإن مؤامرات تحاك في الخفاء ضد هذه الأمة، والتآمران هما الحليفان على الكيد للجزائر، الاستعمار والطرقيه، وعلام يتآمرون على الإسلام الخصم الألد للاستعمار والطرقيه في هذه الديار."³

وقد لاقت هذه الكتابات عند نشرها استحساناً كبيراً من الأدباء والعلماء والمفكرين، وأعطته شهرته الأدبية في الوسط الأدبي كأديب وقائد إصلاحى له أسلوبه الثري المتميز. ولأنها إحدى التماذج المثلثة لأسلوب الشيخ فإننا يمكن أن نسلط بعض الضوء على ما فيها من أبعاد فنية، فهذه المقالات هي إحدى روائع الأدبية استمد فكرتها من واقع الأمة، وهندس هيكلها من موحيات موهبته الأدبية، تلك الموهبة التي تحمل زحماً عاطفياً لواقع الأمة الجزائرية، وكل هذا جاء نتيجة الأبعاد التالية:

¹ المرجع نفسه، ص 65.

² المرجع نفسه، ص 68.

³ المرجع نفسه، ص 109.

1. تفاعل الفكر والعاطفة:

تميز الشيخ العربي التبسي برفقة العاطفة، رهافة الشعور، وعمق التفاعل مع الأفكار التي يتعامل معها، ولذا جاء نثره خفيفاً وأنيقاً، فالشيخ ممن راضوا أنفسهم، فمما بنفسه روحانياً وأعباً أكسبه الولاء لله وللوطن، وكان من نتائج هذا الصدق ما لمسناه فيه من رقة تأخذ عليه كل أبعاد عاطفته، ودقة في تنفيذ ما حاله شعوره بأذن الحق.

وحيثما نقرأ هذه المقالة (من غشنا فليس منا أيها الطريقون) نرى عاطفته واضحة وضوحاً يبنياً وذات مستوى واحد من المفتوح حتى المنتهى، وهذا يدلنا على أنه كتبها وهو مستحضر للغاية من كتابتها، وهي النصرة للوطن وللشعب، أو قل تفاعل مع الفكرة وانفعل بما انفعالاً سايره في الكتابة عنها وفيها، مشوب العاطفة حتى آخر حرف منها.

ومما أفادته التجارب في الكتابة الأدبية أن العاطفة المتفاعلة مع الفكرة تعين وبقوة على تدفق أسلوب الكاتب، تدفقاً يستطيع معه الإحادة في التعبير كما يريد، وهو ما تجلّى بوضوح في صياغة هذه المقالة من الناحية التعبيرية.

2. إيقاع الألفاظ:

إن النثر الفني هو الذي تتوهج لغته حرارة وعاطفة وانفعالا، وتكون قادرة على إثارة الدهشة الحية، والانفعال العميق، والكشف الباهر في كل صياغة جديدة، فهي لغة ذات سحر خاص، ومن هنا يكون ذلك اللون من التعبير الذي يفن في كتابته لإثارة المنعة الفنية في نفس القارئ أو السامع، وقمنا بأبي ذلك عفو الحاطر. وتعبير آخر: هو كل كلام يشتمل على جمال في صياغته وأسلوبه، فهو تشكيل: أي بنية، لغوي: أداته اللغة، معري: لأنه يهدف إلى إثبات معرفة، أو التعبير عن فكرة معينة، أما بالنسبة لكونه جمالي فذلك لكون لغته قادرة على إثارة المنعة الجمالية.

ولم تظف عناية الشيخ العربي التبسي بمفرداته عند حد الانتقاء، بل وجدناه يسعى سعياً حثيثاً لإثراء بنائه اللغوي بكل ما من شأنه أن يحقق غاياته، ويدينه أفكار وأكثر من مدارات الشعر من خلال رقة الألفاظ وسننافية الصور.

والحقيقة أن الشيخ العربي التبسي عني بنثره الفني عناية فائقة، فراح يبحث عن أطر تعبيرية جديدة، ووسائل تشكيل دقيقة، على أن عنايته تلك لم تدفعه إلى المغالاة، بل جاء سجعهم محموداً وقد تبلور ولع الشاعر بجانب الإيقاع في استناده إلى السجع تارة، من خلال توظيف دقيق للإيحاء الصوتي للمفردات، أو تنسيق الجمل في لون من الانسجام الموسيقي بين مقاطع صوتية قد تعادل وقد تتجانس، وقد نراه يرسل القول إرسالاً دون استناد إلى محسن يديعي، لفظياً كان أو معنوياً.

ولم تقف عنايته بالإيقاع عند هذا الحد، بل تحطته إلى النموذج الأمثل للسجع، ويمثل في التطابق الإيقاعي بين جملتين متعاقبتين أو أكثر، بحيث تتشابه كل مفردة وما يوازئها وزناً وقافية وقيمة صوتية.

ووسط هذه العناية الفائقة بجانب الإيقاع قد ينساب الأسلوب في بعض الفقرات انسياباً سلسلاً ومقبولاً، دون أن يستند إلى سجع أو يتكئ على محسن آخر من المحسنات.

مما سبق يتضح لنا أن الشيخ العربي التبسي استطاع أن يعبر عن أفكاره بأسلوب سهل تتخلله بعض المحسنات دون أن يمثل ذلك عائقاً يحول بينه وبين ما يريد تصويره من معانٍ؛ أو يسوقه من أفكار فجاءت معانيه واضحة، لا قلق يتأها أو اضطراب.

3. جمال التعبير:

يكمن جمال التعبير عند الشيخ العربي التبسي في المفردة والجمل، ثم المقالة كاملة، وهو ما يعبر عنه في الدرس النقدي بالصورة أو الشكل، ويقوم عنده، استخلاصاً من المقالة التي بين يدينا، على عناصر متشابهة متألّفة منها انتقاء الألفاظ الجميلة المناسبة وذات الإيقاع الفني المناسب، الموازنة والمواءمة بين الألفاظ في السياق الواحد، حيث اعتمد طريقة المقاطع القصيرة المتوازنة تنغيماً، وطريقة الفواصل المقفاة سجعاً، توليد العبارة من الأخرى، للدلالة على معنى واحد، أو قل إعطاء المعنى الواحد بأكثر من عبارة واحدة، وهو ممّا يفرضه الأسلوب الخطابي، بغية شدّ المتلقي بالفكرة شدّاً قوياً لتدخل أعماق قلبه فتربطه عاطفياً إليها، كما يتخذ الشيخ العربي التبسي من

الكتابة معيراً إلى استنزاف حمولة الذاكرة، ليس بأحداث متخيلة، وإنما بعالم من الجماليات المعاشة بالممارسة والاقتراف، مع الاستفادة من غايات النشر، باعتباره أداة تواصل وإخبار وتوثيق، وذاتاً اجتماعية ترصد بعض جوانب الخلل في مجتمع ما.

4. خطابية الأسلوب:

هناك فرق جليّ بين أسلوب علمي يُصاغ بعبارة أدبية، وأسلوب أدبي يحتوي فكرة علمية، حيث لا نلمس في الأول أثرًا للخطابة، بينما تبتن في الثاني بوضوح. كما أن الأول يخاطب العقل مباشرة، والثاني يخاطب القلب أو العاطفة، وعن طريقها ينفذ إلى العقل.

والأسلوب في المقالة، موضوع الدرس، وهو ما يسمى في علوم البلاغة (مقتضى الحال) أي ما يتطلبه الموقف، وقد تفرد الشيخ العربي التبسي بهذا الأسلوب في حينه، بينما التزم بعض معاصريه، الأسلوب الأول.

ومن هنا يأتي دور الشيخ العربي التبسي في الانتقال بأسلوب المقالة وكتابتها من مدرسة التقليد إلى مدرسة التجديد. حيث يتميز بالبعد عن التكلف والصنعة اللفظية، ففي مقالة له بعنوان (الإضرار بالدين باسم الدين ووجوب ثبات المصلحين) يقول: "إن أخوف ما يخافه المسلمون الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم على دينهم، دعوى الدجاجلة الذين سيكونون بين يدي الساعة، أولئك النفر الذين جعلهم الله فتنة لمن لم يرد بهم خيراً، فلم يفقههم في الدين، وقد قضت سنة الله أن يكونوا أتباع كل ناعق، وأنصار كل ضال، وعونا على الحق الذي لم يصف يوم من أيامه من صراع الباطل وجليه بخيله ورجله على كتائب الحق. وفي التاريخ -أثريا و غيره- عظمت تملأ النفوس عبرة من أيام المعجزات والوحي.

فكم خلبت بهرجة الباطل من حجي، واستولت على ألباب، وأضلت من أمم لم ترزق توفيقاً، ولا أعطيت استعداداً للفصل بين الحق والباطل، لقد كانت هذه السنة التي بثها الله في العالم لسراً يعلمه؛ و غاية الناس إليها صائرون، عامة شاملة من أيام آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كلفت نفسك -أيها القارئ- قليلا من العناء، وحظا من العلم فانظر في تاريخ الأديان السابقة عن الإسلام، فإنك ولا بد ستعود مقتنعا بأنها لم تسلم من الأوضاع التي لحقتها بعد أن كانت نقية بيضاء، ولا زالت تقبضها حتى أحوالها إلى تبديل كتبها وتغيير معالمها، وإحلال الشهوات وآراء الرجال وأهواء الشياطين، محل الهدى الإلهي. ولم يكن أهل هذه الملة لينجوا -مادام الشيطان والحظوظ مرغوب فيها- بأنفسهم مما مكن الله منه الشيطان وأوليائه مما يدخله على الدين من انتحال المبطلين، وتحريف الضالين؛ اللهم إلا طائفة قد أحرى بها الصادق المصدوق أنها لا تزال على الحق، ولا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله وهي طائفة سائرة على ما كان عليه الصحابة اعتقادا وعملا.

ولسابق علم الله، وقدم قضائه، أخذت حميا ضلالات الضالين تدب في عظام قوم ينتسبون إلى أهل هذه الملة، ويلقون على أنفسهم حجة أهل الإسلام، ويزعمون لأنفسهم ما زعمه الأحيار والرهبان، فغلوا في هذا الدين مثل ما فعل أسلافهم من الأمم السابقة لتتبع سنن من كان قبلكم شيئا بشيرا، وذراعا بذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. وما كان العالم البصير بالأديان ليخفى عليه أن الذين ألقوا بجراهم على الأديان السابقة، وصيروها إلى كفر بواح هم كانوا أهل خصوصية بين أقوامهم، يصدرون عن آرائهم و يوردون، فلا عجب إذا أصبنا في أعز عزيز لدينا وهو ديننا الذي تولى الله حفظه من ناحية أناس يدعون لأنفسهم ما ادعاه الأحيار والرهبان. وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء الذين يريدون من علماء الدين أن يدعوا لأباطيلهم، ويطأوا رؤوسهم أمام عظمة أهوائهم وما تضمنتها من عفونات مما يلقى الشيطان عليهم رغم تعاليم الدين الذي يلعن من يكتم من الدين المثل على محمد - صلى الله عليه وسلم- وكان هؤلاء لم يعلموا أننا لم نكتب ما كتبنا، وما كتبه إخواننا من أهل الدين والبصيرة النافذة لقضاء شهوة من الشهوات أو طلب دخل من الدخول، ولنيل حظ من الحظوظ. وأن الله يعلم، والمسلمين يعلمون أنه لولا أن الله تعالى أمرنا بأن نبلغ هذا الدين كما أخذناه، لا نقص ولا تزيد، ولولا أننا نزحج أنفسنا عن الدين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى، ما رضينا لأنفسنا أن نخاطب هذه الخلق التي

لا فقه لها، ولكننا نثيت حيث أمرنا الله مستمتين في الدفاع عن الدين ولو قطعنا إربا إربا، أو رُمي بنا في أتون، وإن لحن لقينا ما لقينا فحسبنا: ما أنت إلا أصعب دميت وفي سبيل الله ما لقيت"¹.

هكذا راح الشيخ العربي التبسي يسخر قلمه اجتماعيا في هذه الجاور: الدعوة إلى العلم ومقاومة الجهل، التحريض الدائم على العمل المنتج في جميع مجالات الاقتصاد الحيوية، والتنديد بمظاهر الكسل، واللامبالاة، الإلحاح المستمر على التضامن والاتحاد بين كل أفراد الشعب الجزائري، والتمرد على كل أنواع الطغيان والاستبداد.

قيم في نثر الشيخ العربي التبسي:

لعل الصورة الحقيقية لكتابات الشيخ العربي التبسي، لا تتضح أمام أعيننا ما لم نتعرف على خصائص أسلوبه مما يعطي لكل كتابة ميزتها الخاصة.

الصرحة:

أول ما يلتفت نظر الدارس وهو يتابع مقالات العربي التبسي الصحفية من بداية

ظهورها إلى نهايتها باستشهاده بأنه أمام كاتب يتفجر الصدق والإخلاص من بين كل كلمة يتفوه بها، وهذه القناعة التي تملأ جوارحنا بأننا إزاء قلم داعية إسلامي أخلص لله رسالته الصحفية وصدر عن هذا الإيمان في كل أقواله، وقد أوضح الشيخ العربي التبسي في كلمات عن هذا الإحساس القوي، حيث أكد ذلك في مقالة له بعنوان (الإصلاح والعمل السياسي) "لست أعرف ابتداءه تاريخيا (يعني الانحطاط) ولكنني أستطيع أن أحده بظهور آثار التغير في هذه الأمة، وأزعم أنه يتدئ من يوم أضع الناس السنة المحمدية وركنوا إلى بدع الرجال التي صرفتهم عن التربية المحمدية والأخلاق الإسلامية، وظهر في الشعب رؤساء ينسبون إلى الدين، فكان وجودهم سببا في انقسام في الوحدة، واختلاف في الكلمة، وذيوع الأهواء، وتُحيز جماعات الأمة إلى نزاعات تفت عضد الوحدة المقصودة للدين، حتى أصبح الحب والبغض لينا

¹ المرجع نفسه، ص 32.

في الله كما هي القاعدة الدينية، واتخذ الناس رؤساء جهالا بدعيين يعدوهم من أولياء الله وخواص عبادته المقربين عنده، ففتنت بهم جهلة الأمة وأشباه الجهلة، فنصروهم على عماية واتبعوهم على غواية وصار الدين العوبة في يد هؤلاء الرؤساء وأتباعهم¹ كما صرح الشيخ العربي التبسي أن سبيل السياسة سبيل فاشل، وأن دواء الأمة هو الرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح وأنه لا دواء نافع سواه، فقال: "وها هي السياسة قد خابت وخاب السياسيون، وخابت الآمال على تلك السياسة، ونحن فيما نرجوه لإصلاح حالتنا... وها نحن قد التمسنا مجموعة من الأدوية وجماعات من الأطباء فلم تشف من أمراضنا، ولم نبرأ من أسقامنا، ولم تعد إلينا صحتنا، فهل من دواء لأمراضنا؟... نعم الدواء لأمراضنا والترياق للحرب لأمراضنا واحد لا ثاني له، وما ذلك الدواء إلا عودتنا تائبين إلى العمل بشريعتنا الإسلامية المعصومة الكفيلة بإسعاد هذا الفرد الشقي وإصلاحه من جميع نواحيه، ومداواته من كل أمراضه، كما داوته يوم فسد قبل الآن بأربعة عشر قرنا. وأسألوا التاريخ أيها المرتابون عن ذلك إن كنتم في ريب من هذه الحقيقة، الشريعة الإسلامية المحصورة في كتاب الله وسنة رسوله وفهوم السلف الصالح هما دواء للإنسانية في فردها وجماعتها"²

ولا يلتقي القارئ بالشيخ في جل مقالاته إلا واضحا في أفكاره، قاصدا في فقراته، مباشرا في طعناته فهو لا يحسن المداورة والمناورة، ولا يطمئن للكتابات والإشارات إلا فيما قل وندر، وأن هذه الصراحة لتدفع به حيناً إلى نوع من التهور والجرأة، "والقارئ لكتابات الشيخ يجدها فعلا قوية اللهجة، بلغة الصراحة تعكس شجاعة الرجل وعمق معانيه، ومنطق ححته وسلامة أسلوبه، إضافة إلى كونها متنوعة بتنوع المواقف التي عاشها بدءا من نشره في جريدة النجاح حتى البصائر الثانية."³

¹ خالد أميس: الشيخ العربي التبسي، الرئيس الثالث لجمعية العلماء المسلمين، دار الأملية للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2011م، ص86.

² المرجع نفسه، ص85.

³ عربي التبسي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ص65.

1 - التفصيل والتحليل:

من مميزات الكتابة عند الشيخ العربي التبسي طول النفس، فقد كان في مقالاته متقنا لها، لا يكتب إلا في المواضيع المهمة التي تشغل باله وبال الأمة، وفي قضايا الإصلاح، وما يعم نفعه، وقد شرح في مقالاته أمراض الأمة النفسية وبين عللها، فكانت دروسا عظيمة في التربية والأخلاق وعلم الاجتماع.¹

فقد عاد أكثر من مرة إلى الدعوة إلى تكثيف الجهود والانتفاف حول العمل الإصلاحي، وكتب عشرات المقالات في الثورة على الطرقية وكشف مفاسدها. وركز على بدعة التعصب المذهبي التي عصفت بكثير من عقول جيله، ومما قاله: "وقد رأينا هذا الزاعم يقول إن الأخذ بظواهر أقوال النبي ﷺ وأعماله اجتهاد، والاجتهاد قد تقضت أيامه وماتت رجاله وبذلك يجب على المسلمين أن يتركوا كل آية من الكتاب وكل قول وعمل من رسول الله، ولا يهتدون بشيء من كتاب ربهم ولا من سنة نبينهم وعليهم أن يقتصروا على ما كتب في الفروع، يحلون ما أحلت، ويحرمون ما حرمت ويوالون من والت ماداموا غير مجتهدين. هذه هي مقالة هذا المفتي المرحلة في كتاب الله، الصادة عن سنة رسول الله ﷺ، وهي باطللة بإجماع المسلمين من يوم أن بعث نبينهم إلى اليوم، ذلك أن العوام والعلماء يعملون بأقوال النبي وأعماله من غير توقف على منهم على وصولهم إلى رتبة الاجتهاد".²

2 - الحوار:

يعتمد الشيخ العربي التبسي إجراء الحوار بين شخصين أو بين عدد من الأشخاص أو الأشياء أو المعاني المجردة بأن ينفخ الكاتب فيها الحركة والحيوية، يعبر فيها الكاتب عن أفكارهم الجريئة أو انتقاداتهم الجارحة لاسيما إذا كان دون ملل أو تأفف، وهي طريقة لها من ناحيتها الأدبية الجمالية متعة أكبر وفائدة أكثر من الطرق المباشرة الأخرى، ولا يخفى ما في هذه الطريقة من حيوية وإيجاء تجعل القارئ يتتبع

¹ المرجع نفسه ص 65.

² نقل محمد حجاج عيسى: حياة الشيخ العربي التبسي وأصول دعوته الإصلاحية - مستمدة من لقائه على الربيط :

<http://www.ablahbdeeth.com/>

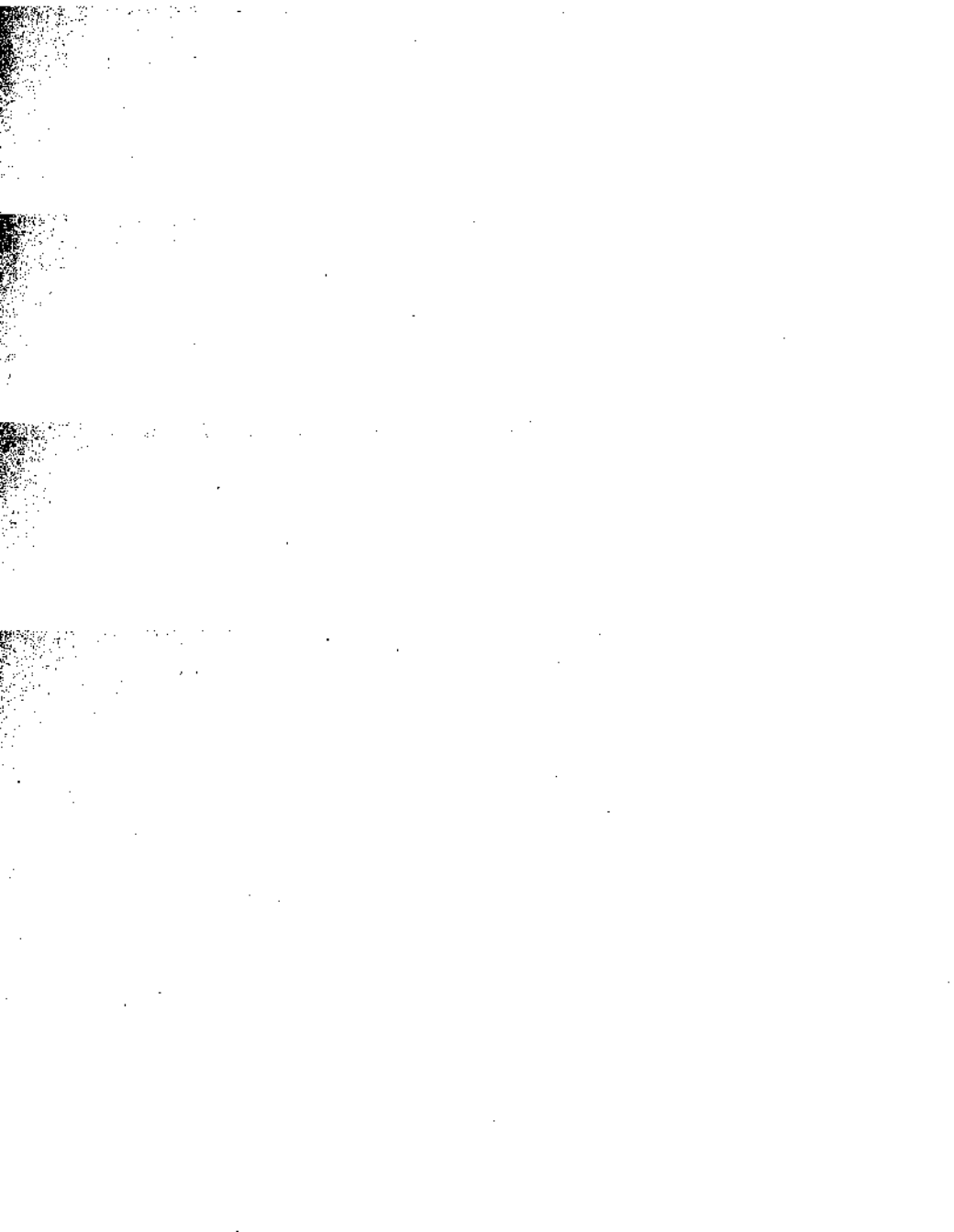
الحوار بلذة، وينساق وراء ما يجري من كلام. فقد قال الشيخ أحمد حماني عنه: "كان عالماً محققاً ومدرسا ناجحاً ومربياً مقتدراً وكاتباً كبيراً يمتاز بأسلوبه العلمي بالعمق والمانة ودقة المعلومات، لكنه لم يترك آثاراً كثيرة لاشتغاله - طول حياته - بالتدريس، وما تركه من آثار يرهن على مكانته العالية في الكتابة، وكما كان كاتباً كان خطيباً مصقفاً، ومحدثاً لبقاً ومحاوراً ماهراً، يمتاز بحضور البديهة والمقدرة على الإقناع القلبي والفكري وحسن البديهة، وله فيها أمثلة رائعة"¹

خاتمة

كان الشيخ العربي التبسي أنموذج الرجل النشط المتواضع الذي يرفعه علمه وموقفه وعلمه وسلوكه إلى درجة أستاذية لا يعكر صفوها الادعاء أو الغرور ولا تهميش جناحها الفطرسية، فألف حوله قلباً بالحمية والصدق، كما تميز الشيخ لعربي التبسي بالإرادة والصبر والعمل الدائب، كي يحقق ذاته وأمله، هذا الأمل الذي غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس. ثقته بنفسه، في القدرة على الفهم والإدراك، والتقد والرد، والتحليل والتعليل، وعلى الاختراع والإبداع، اعتداده بشخصيته بعمق وقوة. وكل هذه عوامل ساعدته مساعدة فاعلة على الوصول إلى الهدف المنشود.



¹ العربي التبسي: مقالات في الدعوة، إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ص 65.





جهوده الدعوية والإصلاحية



Auto Inspection of

...

أبعاد المشروع الإصلاحى فى فكر الشيخ الشافعى العربى التبسى

المكثور، سلطان بلعبت

قسم العلوم الاجتماعىة جامعة

تبسى

إن الحديث عن رجالات جمعية العلماء، هو حديث عن قامات عظام، عظيم المشروع الذى حملوه، وناقحوا عنه، وتحذوا فى سبيله جم الصعاب، مما جعلهم يرتقون بكل جدارة إلى مستوى القدوات، ليس فى الجزائر فحسب، بل فى العالم الإسلامى قاطبة. إنها نماذج بشرية تستدعى منا الوقفات تلو الوقفات لأنها تحسن قراءة الواقع، وتستلهم العبرة من دروس التاريخ، وتزواج بين العلم والعمل ؛ ولعل ذلك من الأسباب والدواعى التى تدفعنا فى كل مرة لإبراز نتف من سجايا هاته النماذج الفذة طمعا فى التأسى بها، والافتداء بجهودها المضنية، وتطلعا إلى تواصل الأجيال الحاضرة مع أفكارها والارتباط بها. مثلما كان منهج جمعية العلماء فى الإصلاح يرمى إلى تحقيق الاستمرارية والتواصل مع الذات الحضارية للأمة العربية الإسلامية، ويحرص على ترابط أجزائها وتلاحمها ببعضها من خلال تقوية شعاع الوعى داخلها عبر اتخاذ القرآن محور الحركة الإصلاحية، لأنه الوسيلة المثلى، والنبع الصافى الذى يُعول عليه فى تكوين رجال تعلق عليهم الأمة آمالها.

وعليه ستكون هذه المداخلة المتواضعة متمحورة حول استعراض بعض أبعاد الخطة الإصلاحية لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مسلطين الضوء على من جهود واحد من أعلامها الكبار، ألا وهو الشيخ العربى التبسى.

معنى الإصلاح فى رؤيت جمعيت العلماء المسلمين الجزائريين:

الإصلاح تغيير اجتماعى، وحركة ايجابية واعية وشاملة أساسها المعرفة ومنطلقها تغيير ذات الإنسان بأسلوب الوعى والإقناع بغرض اكتساب تصور صحيح للحياة وبنائها من جديد.

الشيخ العربى التبسى وجنوده الدعويين:

لقد أدرك الشيخ العربى التبسى على غرار رفاقه من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واقع هذه الأمة من منطلق الدارس المحلل، ورسم على ضوء ذلك المنهج للخروج بها من هذا الوضع المؤلم، والعودة بها إلى ساحة الحضور والمشاركة فى صناعة التاريخ. ويكشف تتبع مسيرة الجهد الدعوى عند الشيخ العربى التبسى أهم المرتكزات التى تنهض عليها دعوته.

بدأ الشيخ رحمه الله نشاطه التعليمى الإصلاحى بممارسته لمهنتى التربية والتعليم مدرسا، والإمامة والوعظ والإرشاد فى جامع ومدرسة تبسة، ثم فى مسجد سيدي أبي سعيد لاحقا.

فبعد عودته من مصر عام 1927م كان ينظم فى مسجد سيدي أبي سعيد دروسا دينية دعوية يومية بعد صلاة العشاء فى : الحديث والتفسير والفقہ والسيرة والتاريخ الإسلامى، تناسب مستوى عامة الناس من سكان تبسة. كما لى الشيخ و الشيخ محمد البشر الإبراهيمى والشيخ مبارك بن محمد الميلى والشيخ الطيب العقي والشيخ السعيد الزاهري و الشيخ محمد بن خير الدين دعوة الشيخ ابن باديس فى سنة 1928م قصد تكوين جمعية دينية "جماعة الرواد" لىداية العمل الإصلاحى الجمعى فى الجزائر.

وظل الشيخ العربى تبسة مدرسا وواعظا ومرشدا بمسجد أبي سعيد متحمدا للعراقل الاستعمارية من جهة، وعراقل الطرفين، إلى أن دعاه الشيخ ابن باديس لإدارة مدرسة سيق الابتدائية أواخر سنة 1929م، فترك الشيخ العربى بلدته تبسة مكرها.

وقد شكل الشيخ العربى أثناء تواجده بمدينة سيق طلبة إصلاحية، قوامها جماعة إرشادية تعمل لصالح الدين والجزائر، وظل الشيخ معلما ومدرسا ومدبرا وواعظا وإماما وخطيبا وقاضيا بين الناس.

وفى هذه المدة تمكن من بث الدعوة الإصلاحية السلفية ليس فى مدينة سيق فحسب، ولكن فى أنحاء كثيرة من الغرب الجزائرى.

وفى عام 1933م عاد إلى مدينته تبسة بعد إلحاح أهلها عليه، وأسسوا الجمعية والمدرسة والمسجد الجامع الذى إشرطهم عليهم مقابل العودة.

وقد كان الشيخ العربى مرجعية دينية وعلمية وتربوية وأخلاقية لأهل تبسة، فبمشاركته حققت الجمعية الخيرية لأهل المدينة بناء مدرسة تهذيب البنين والبنات سنة 1934م، وفى سنة 1936م قام ببناء المسجد الجامع الحر، الذى صار قبلة لكل أهل الإصلاح من سكان المدينة والقادمين من الأرياف.

كما أسند للشيخ رحمه الله إدارة معهد عبد الحميد بن باديس (1947م- 1956م) طيلة عقد من الزمان، يعينه فى إدارته الشيخ محمد خير الدين البسكري، إلى حين غلق الإدارة الاستعمارية للمدارس الجمعية عامة والمعهد عبد الحميد بن باديس يوم 1956/11/21م، وتشتت طلابه، ومنها انتقل الشيخ إلى الجزائر العاصمة.

أما بالنسبة لعمله مع جمعية العلماء المسلمين، و مع تأسيسها سنة 1931م، عيّن نائبا للكتاب العام سنة 1932م، ليعيّن كتابا عاما للجمعية من سنة 1936م إلى 1946م والذي نال فيه منصب نائب الرئيس، و بقى الشيخ رحمه الله نائبا للرئيس حتى بعد رحيل البشير الإبراهيمى إلى المشرق العربى يوم 1952/03/07م.

ظل الشيخ العربى يشغل منصب نائب رئيس الجمعية حتى بعد جلستها الإدارية المنعقدة بالجزائر العاصمة أيام 29/28/27 سبتمبر 1954م لاعتبارات إصلاحية لها صلة بتداسك الجمعية أثناء غيابه فى موسم الحج إلى غاية حل الجمعية.

وكان الشيخ يرى أن التغيير الحقيقى لن يكون إلا بنشر الثقافة والعلوم وتهذيب النفوس والأفكار معا، وأن السياسة وحدها لا تستطيع الوقوف فى وجه الاستعمار. بعد سفر الشيخ الإبراهيمى إلى المشرق ترأس جمعية العلماء المسلمين مما جعله عرضة

للمضايقات من طرف المستعمر الذي عمل على إسكات صوته، ولما فشلت هذه المحاولات اختطف سنة 1957م واغتيل بعد ذلك في ظروف غامضة، ولا يزال قبره مجهولا إلى الآن.

منهجية الإصلاح عند الشيخ الشكيد العربي التبسي:

1- الإسلام قاعدة كل إصلاح:

بعد أن عملت جمعية العلماء على تحليل العلل والأمراض التي يعانيها المجتمع الجزائري وضعت نصاب عيناها هدفا نبيلًا يمثل في إعادة نشر لغته ودينه، وبناء مجتمع سليم وهو ما نجد الإشارة إليه صراحة في الفصل الرابع من قانونها الأساسي الذي جاء فيه: "القصود من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يجرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري العمل به"، وهذا ما سعى إليه رجالها.

وهذا فإن الجمعية: "عماضي الإسلام الزاهر قوية فهي تندرع بما فيه من صدق الإيمان بالله، والأسوة الحسنة برسول الله ﷺ وعبقورية أبطال نحجوا منهجه... إنها قوية بحاضر الإسلام وما فيه من شعور قوي عام تندفق به نفوس أدركت ما حل بهذه الأمة من عوامل مدمرة، سلبتها فضائلها وزلزلتها في عقائدها، وغيرت عليها أحوالها الحيوية كلها. إنها قوية بمستقبل الإسلام السعيد الذي هو محط آمال العاملين وقبلة المصلحين في كل زمان ومكان بما سيكون فيه من استعداد للخير وتلقي الهداية الإسلامية كما تلقاها الأولون بيضاء نقية".¹

من أجل ذلك يُعد الإسلام أساس كل إصلاح، ودعامة كل تجديد، ومن ثمة لا بد من بذل الجهد في سبيل بناء الأجيال وفق ما تقتضيه تعاليم الدين الحنيف، فعن طريق

¹ موسى معروش، المجتمع الجزائري في فلسفة جمعية العلماء المسلمين

<http://www.binbadis.net/research-and-studies/aoma/233->

aoma.html:26/4/2012 11:30

¹ عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج2، ص8. عدد فبراير، ص75.

الدين الصحيح يتم القضاء على الجمود والتقليد، وتهيأ المجتمع لتغيير الأوضاع، وتنقشع عنه غمامة القابلية للاستعمار، والخضوع للغزاة المحتلين. فلا نجا لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المتنوع الذي ندوقه ونفاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن، إلى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه.¹

وحتى يتهيأ للفرد المسلم أن يكون مادة للإصلاح، لا بد من تحرير الفكر الإسلامى مما علق به من أدران البدع والخرافات التي عمل المستدمر الفرنسى على تشجيعها وإذكائها، إمعانا في تخدير المجتمع الجزائري وإغائه عن مواجهة المحتل. ولن يتأتى ذلك إلا عن طريق بث الوعي بالدين الإسلامى، ونشر التربية الإسلامية في أوساط المجتمع. لأجل ذلك اقتحمت جمعية العلماء منذ تأسيسها ميدان حرب مخوفة بالمراق، تصدى لها أعضاء الجمعية ومنهم الشيخ الشهيد العربى التبسى، فحاربت أول ما حاربت أنصار الاستعمار فقاومت وحطمت البدع، والضلالات الدينية التي استغلها المحتل تحت ستار الطرقية، حتى تمكنت من تطهير الدين من الخرافات والبدع. لاسيما وأن المستدمر عمد إلى إنشاء جمعيات ألبسها لبوسا دينيا وسخرها لبث سموم دعايته المموججة في نفوس الناس، كذلك التي أنشأها في تيسة باسم الجمعية الدينية الإسلامية، ووضع على رأسها معمرا (كولون) يدير شؤونها ويوجه أهدافها، ومن جملة ما كانت تروجه أن العلماء المصلحين ينكرون وجود الأولياء، وقد جاءوا بدين جديد، ومنذ أن ظهرت الدعوة الإصلاحية انقطعت البركة، وأمسك الله عنا المطر... الخ.

وكان لهذه الدعاية - بطبيعة الحال - تأثير كبير على عقول العامة التي تعودت الخنوع لأرباب الزوايا الذين كانوا يعملون على وأد كل حركة مناهضة للمحمود وبالتالي للاستعمار.²

ومن مقولات الشيخ العربى التبسى المشهورة - رحمه الله - التي تحض على نبذ الخرافات ومروجيها من دعاة الفتنة والتجهيل: أستطيع أن أحدد - الإنحطاط - بظهور آثار التغيير في هذه الأمة، وأزعم أنه يتبدئ من يوم أضع الناس السنة المحمدية وركنوا

³ جريدة البصائر، عدد 199، تستطبة 24 جويل 1938.

إلى بدع الرجال التى صرفتهم عن التربية المحمدية والأخلاق الإسلامية، وظهر في الشعب رؤساء ينسبون إلى الدين، فكان وجودهم سببا في انقسام الوحدة واختلاف الكلمة وذبوع الأهواء، وتميز جماعات الأمة إلى نزاعات تفت عضد الوحدة المقصودة للدين، حتى أصبح الحب والبغض ليسا في الله كما هي القاعدة، واتخذ الناس رؤساء جهالاً بدعيين يعدونهم من أولياء الله وخواص عبادته المقربين عنده، ففتنت بهم جهلة الأمة وأشبه الجهلاء، فنصروهم على عمایة واتبعهم على غواية، وصار الدين ألعوبة في يد هؤلاء الرؤساء وأتباعهم.

من أجل ذلك وجب أن يُؤخذ الدين عن أهل العلم دون سواهم الذين يستمدون من عناصر الدين الأولية التى هي الكتاب والسنة على مقتضى فهم الأولين من علماء الإسلام الذين إذا تكلموا على العقائد بينها وبينوا مآخذها وأدلتها، وشرحوا ما أذن لهم شرحه وتوقفوا فيما لا مجال للعمل فيه أو رده إلى ما وضع معناه وظهر مغزاه.

2- المحافظة على الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري:

يقول ابن باديس مؤكدا دور العودة إلى القرآن في شفاء المجتمع من أسقامه الفكرية وأدوائه الاجتماعية: وقد جاء القرآن الكريم مبينا للأخلاق الفاسدة وذاكرا سوء أثرها وقبح مغبتها، مبينا كذلك الأخلاق الصحيحة وعظيم نفعها، وحسن عاقبتها فهذا شفاؤه للنفوس والعقول، وهو راجع إلى تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، وبها سلامة الأرواح وكمالها وعليها قوام الهيئة الاجتماعية وانتظامها على أن القرآن هو شفاء الاجتماع البشري، كما هو شفاء للأفراد فقد شمل من أصول العدل وقواعد العمران ونظام التعامل وسياسة الناس ما فيه العلاج الكافي والدواء الشافي لأمراض المجتمع الإنساني.

وهل بمستطاع أمة ظل الإسلام لحمتها وسداها على مر الأحقاب أن تنهض من جديد لتكسر قيود احتلال بغض رسفت فيها ردا من الزمان طويلا إذا هي لم تتخلق بأخلاق دينها معنصمة بعقيدتها القائمة على توحيد خالقها؟ هذا ما كان يتحلى بروبوضوح جلبي لا غش فيه- من منهج الشيخ العربى التمسى التغييرى الإصلاحى- وهو منهج -كما قلنا- يشترك في مقوماته و في مبادئه وأهدافه وفي سماته وملامحه

وخصائصه. مع الذي ظل ينهجه إخوانه في جمعية العلماء و يقوم على قاعدة ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد 11).

فالغاية المتوخاة من نشاط جميع أعضاء جمعية العلماء هي أن نهض بالإسلام ونعمل على تنقيته مما أصبى به، ولن يكون ذلك إلا بالرجوع لأصوله الأولى ومصادره الصحيحة حتى يرجع إليه جماله وجلاله وأن نعمل على إحياء لغة القرآن حتى يرجع إليها سالف مجدها وغابر عزها وحتى تصح منتشرة في المدن والقرى وبين الأفراد والجماعات... لنهض... أن الإسلام روح المسلم والعربية لسانه، وليس بالإمكان أن يعيش إنسان بلا روح ومن غير لسان. هكذا نجد أن جمعية العلماء اهتمت بتنقية شوائب المجتمع الجزائري وعملت على المحافظة على قيمه المتمثلة في لغته ودينه وتاريخه، وتمنيته ليقوم بنفض غبار الذل عنه والعيش وفق تصورات مستمدة من عقيدته. فحاربت الطريقة وعالجت الإلحاد وتصدت للتبشير وأيقظت شعب الجزائر من سباته الذي كاد يفقده الغالي والنفيس لولا فضل الله، ثم جهود ثلة من الرجال الخالص الذي وهبوا جهدهم في سبيل إيقاظ ضمير الأمة وتحفيزها للتصدي لهذا المستدمر البغيض.

وقد عمل الشيخ العربي التبسي إلى جانب إخوانه ضمن فريق الجمعية على جعل مشروع حماية الهوية واقعا عمليا من خلال نشر المدارس في كل القرى والمداشر والمدن، فأسست أكثر من أربعمائة مدرسة عربية تدرس علوم اللغة العربية ومبادئ الفقه الإسلامي، وتبث شيئا من الوعي السياسي، واليقظة الوطنية، والصحة الفكرية الإسلامية في أذهان المتعلمين.¹

3- العربية لغة رسمية للمجتمع الجزائري:

بتاريخ 08 مارس 1938م صدر مرسوم شوتان الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية، ولم تكن الجمعية غافلة عن مرامي المحتل الفرنسي الهادفة إلى تعييب الجزائريين عن لسانهم العربي، وطمس معلم راسخ من معالم شخصيتهم الوطنية وهويتهم الإسلامية وهذا ما يؤكد تصريح الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة

¹ تركي رابع، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الجزائر، 1970م.

سنة على احتلال الجزائر: «إننا لن نتصر على الجزائريين، ما داموا يقرأون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم ونقتنع اللسان العربى من ألسنتهم¹»، لذلك عمدت الجمعية من خلال مخططها الإصلاحى إلى الحرص على إتقان اللغة العربية من قبل الناشئة والمتعلمين وكل أبناء الشعب الجزائرى، وامتلاك ناصيتها باعتبارها عنوان النهضة الحضارية الفاعلة للأمة. لاسيما وأن العربية هي وعاء القرآن الكريم، ولن يكون للقرآن من سلطان إذا بقيت اللغة العربية مهجورة بين ظهرائي أبنائها، ولن تكون العربية وسيلة للتواصل فحسب بل أداة فعالية حضارية من خلال إقحامها فى سرورة التفكير والبحث والكشف العلمى بين الشعوب. يقول ابن باديس إن هذا اللسان العربى العزيز الذى خدم الدين، وخدم العلم، وخدم الإنسان هو الذى نتحدث عن محاسنه منذ زمان، ونعمل على إحيائه منذ سنين، فليحقق الله أمانينا².

4- الجزائر وطن للجزائريين:

يقول ابن باديس فى مجلة الشهاب: أما الجزائر، فهى وطنى الذى تربطني بأهله روابط من الماضى والحاضر والمستقبل بوجه خاص... وأنا أشعر أن كل مقوماتى الشخصية مستمدة منه مباشرة. ولم ير ابن باديس تناقضا فى دعوته إلى القومية الجزائرية مع عالمية الإسلام إذا قام كل مسلم فى وطنه بواجبه نحو دينه وبلاده: "ليس ما ندعو إليه، ونسير على مبادئه من الإصلاح، بالأمر الذى يخص المسلم الجزائرى ولا يتفجع به سواه، كلا، فإن صحة العقيدة، واستتارة الفكر، وطهارة النفس، وكمال الخلق واستقامة العمل وهذا هو الإصلاح كله مما يشترك فى الانتفاع به جميع المسلمين، بل جميع بني الإنسان وإنما نذكر المسلم الجزائرى، لإشعاره بوجوده، فيعمل لإسلامه وجزائريته، فيكون ذا قيمة ومثلة فى المجموع".

¹ حلال العالم، دار ابن تيمية البليدة، الجزائر، 1974م.

² مصطفى مازن صالح، عبد الحميد بن باديس: العالم الربانى والزعيم السياسى، عالم الأوكسار، الجزائر، 2005م، ص70.

ولاشك أن هذه الأبعاد الثلاثة تشكل مقومات الشخصية الجزائرية العربية المسلمة بكل ما تحمله من ميراث تاريخي وحضاري ونفسي يجعلها تعتز بأصالتها وتفتخر بانتمائها وتستعصي على كل محاولات الاندماج في غيرها.

كان الشيخ العربي التبسي أحرص ما يكون على ترسيخ مبادئ وحدة الصف ولم الشمل نابذا للفرقة لأنها عنوان الضعف ومما قاله وهو يتألم لحال الأمة المزري: بكائي على الإسلام ومبادئه الذي أمر بالجماعة وحث عليها، بل وجعل المنشق عنها في فرقة من الدين وعزلة عن الإسلام وعداء لأهله. والذي فلق الحب وبرأ النسمة لو أن امرءاً مسلماً مات أسفاً وحرزنا على حالة الأمة؛ لكان له عند الله العذر. أيطيب لنا عيش مع هذه الحالة؟

ويقول الشيخ الإبراهيمي - رحمه الله - عن الشهيد العربي التبسي رحمه الله - إن الأستاذ العربي التبسي إذا تكلم في الدين جاء كلامه تجلية حقائق في نصوص بيان وإذا تحدث في السياسة كان حديثه كنه حملات على الاستعمار ومكايده وإذا تحدث عن السياسيين والنواب جاء حديثه كحديث المخايد الحر الذي لا يتحيز لفريق دون فريق ولا يرضى لنفسه وللقامه أن يكون" بوق دعابة "لمبدأ دون مبدأ لأن مبدأه أسمى منها جميعاً. وكان حديثه عن العلم حديث العالم الذي يزن الرجال بأعمالهم وحيث لا أعمال فلا رجال ويزن الأحزاب بوضوح مبادئها وحيث لا وضوح في المبادئ فلا أحزاب... والأستاذ التبسي عالم عريق النسبة في الإصلاح بعيد الغور في التفكير سديد النظر في الحكم على الأشياء عزوف الهمة عن المظاهر والسفاسف.¹

فهو يرى أن الهوية الوطنية مجموعة من الأفكار المبنية حول مفهوم الأمة المتعدد الجوانب وحول الروابط التي يربط بها الأفراد والجماعات أنفسهم داخل المجموعة وتحتوي الهوية الوطنية على مكونات ثابتة وهي البيئة والتاريخ والسيادة والدين واللغة والمصير المشترك أو قل هي وعاء الضمير الجمعي.

¹ عثمان أمقران، مرجع سابق.

ومحتوى هذا الضمير في نفس الأنا، بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها الإنساني. ولعل مسألة ترسيخ مقومات الهوية الوطنية كانت من أكثر القضايا صعوبة و حساسية بالنسبة لأعضاء الجمعية، ومنهم الشيخ العربي التبسي، لأنها تنطوي بالضرورة على إغراءات أيديولوجية وعراقيل مادية قد تطيح بالبعد المنهجي والموضوعي للخوض في جوهر المسألة، لكن حكمته وتسلحه بالإيمان والصبر قادته إلى التغلب على الصعاب، ويتمكن من سبك المقومات الأساسية للهوية الوطنية الجزائرية، (الوطن اللغة والدين، والمصير المشترك...) { في إطار الثقافة العربية الإسلامية.¹

وفي سبيل تحقيق هذه الغايات السامية لجأت جمعية العلماء المسلمين إلى عديد الأساليب، لعل أهمها:

التعليم:

القيام بانقلاب جذري ولكنه هادئ يرتكز في المقام الأول والأخير على إعداد جيل صالح ينهض همزة إسلامية، بحيث يأخذ من عظمة الماضي، ومن يقظة الحاضر ما يعصمه من الزلل والانحراف. من أجل ذلك تبين الشيخ العربي التبسي مع رفاقه من أعضاء جمعية العلماء فكرة الإصلاح لتغيير ما بالنفوس - في تصوره - رحمه الله - على أن العلم - والشرعي منه بالخصوص - هو الأداة الفعالة للكفاح من أجل البقاء فطلبه فرض على كل مسلم ومسلمة كما صح عن الرسول الكريم ﷺ في ما يرويه مسلم في صحيحه وقد جعله هذا المبدأ يستخر جهده ووقته وأطوار حياته كلها ويتفان من أجل نشره في الأمة وتعليم وتربية نواشئها وسائر شبابها وكهولها. وكان شديد الحرص على قرن هذا العلم بالأخلاق لا اعتقاده أن العلم وحده لا ينفع صاحبه إذا لم يقترن بالأخلاق.²

¹ بوكحيل محمد، الشيخ عبد الحميد ابن باديس: مدرسة تربية ومنهج إصلاح

[http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid-244348\(13/02/2011\)13h47](http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid-244348(13/02/2011)13h47).

² عثمان أمقران، الإصلاح الديني ومنهجه التغيير في فكر الشيخ الشهيد العربي التبسي 1

وعن أهمية التعليم فى إعداد النشء وتحسينه يقول ابن باديس فى إحدى أعداد مجلة الشهاب الصادرة فى 1934م : فالتعليم هو الذى يطبع شخصية المتعلم بالطابع الذى يكون عليه فى مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره، فإذا أردنا أن نصلح العلماء فنصلح التعليم.

وترجمة لهذا الأمر واقعا عملت الجمعية على نشر دور التعليم وتأسيس المدارس الحرة وبدأ أعضاؤها ومنهم الشيخ الشهيد العربى التبسى بتعليم النشء بنفسه وحارب الآفات الاجتماعية التفسحية فى المجتمع، من قبيل ما تروج له الطرق الصوفية، ونقد المفاهيم الدينية الخاطئة التى كان ينشرها هؤلاء.

وقد حققت جمعية العلماء بهذه الخطوة المباركة تشييد مئات المدارس ووجدت من الشعب الاستجابة والحماس وكذلك من بعض الأعيان من داخل الجزائر وخارجها مثل المحسن محمد خطاب بالمغرب.¹

ثم تلاها تأسيس معهد ابن باديس وهى الخطوة الثانية ليحتضن المتخرجين من السنة الخامسة من الابتدائى محمدا لهذا المعهد أهدافا يجب أن يحققها:

- ✓ تقوية التلاميذ فى العلوم الدينية، علما وعملا.
- ✓ وفى القرآن حفظا وفهما.
- ✓ ترويض السنة الطلاب على القراءة والخطابة وأقلامهم على الإنشاء والكتابة.
- ✓ وتنشئة عقولهم على التفكير الصحيح.
- ✓ وصوغهم صياغة أخلاقية متقاربة.
- ✓ إعدادهم للإشراف على علوم الحياة من باب الرياضيات والطبيعات.
- ✓ تهيئةهم تهيئة صحيحة وقوية للتعليم العالى.²

أما أسلوب التعليم المعتمد من قبل الجمعية فيقول عنه الشيخ الإبراهيمي: كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة (عام 1913م) في تربية النشء هي: ألا نتوسع في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الحديث الذي أعددناه من تلامذتنا.

ورغم المضايقة التي كان يواجهها نشاط أعضاء الجمعية من قبل المستدمر إلا أن التصميم على اقتلاع جذور المختل الغاصب كان أقوى من آلة الطش، إذ نجد الشيخ العربي التبسي يباشر إثر عودته من القاهرة في إلقاء دروس تنفض غبار الجهل، وتشر الوعي بحقيقة المستدمر وما يسعى لبته من احتقار اللغة العربية وعلومها، مثراً-الشيخ التبسي- العزة في نفوس مستمعيه، فيتحسسن ثقل الاستعمار، ويعملون عن طريق إصلاح نفوسهم في إصلاح مجتمعهم وكان العربي التبسي يعتبر إصلاح النفوس هو الشرط الأول للمخلص¹.

والركن الأهم في المشروع هو المعلم الكفء :

وذلك بأن يكون قدوة لتلامذته " وإن رأس مال التلميذ هو ما يأخذه من معلمه من الأخلاق، أما ما يأخذه من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة، ويوصي المعلم بتقوى الله وبالصبر وبالرفق والأناة وخفض الجناح للناس كلهم واجتنب مصارع الفضيلة ومراع الغيبة وقطم النفس عن أمراض اللغو والحجاج وغير ذلك من سوء الأخلاق، التي هي مفتاح الشر وثقاب نار العداوة والبغضاء². وبما أن المعلم هو صورة مصغرة من جمعية العلماء ومرآة تنعكس عليه سلوكها ورسالتها فعليه أن يكون فوق الأحزاب والحزبية وأن يتعد عنها لاسيما وأن هذه الأحزاب كالميزاب جمع الماء كدرا وفرقة هدرا فلا الزلال جمع ولا الأرض نفع³، وأن يكون مظهرا ومخبرا أمثلة صحيحة منها،

¹ أحمد الخطيب، جمعية العلماء وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص170.

² عيون البصائر 22، ص283.

³ نفسه، ص284.

ويجب أن يعلم المعلم: " أن كل زلة منه ولو صغرت محسوبة على جمعية العلماء منسوبة إليه"¹.

ومهمة المعلم:

- ✓ أن يدير نفوس تلامذته على الدين وحقائقه.
- ✓ ويدير أرواحهم بالفضيلة والخلق الثمين.
- ✓ وألستهم على اللسان العربي ودقائقه.
- ✓ ويسكب في آذانهم نغمات العربية.
- ✓ وفي أذهانهم سر العربية.
- ✓ ويروضهم على الاستعداد للحياة الشريفة.
- ✓ ويقودهم بزمام التربية إلى مواقع العبرة من تاريخهم ومواطن القدوة الصالحة من سلفهم ومنابت العز والمجد من مآثر أجدادهم الأولين.² وهو يركز على السلف الصالح الذين بنوا هذه الأمة وأما أولئك المتأخرون الذين ضيعوا الأجيال المتعاقبة فإنه يلومهم على تفریطهم وضعفهم، لذلك قال مرة إن المسلمين كانوا يعيشون بين علماء يضلونهم وأمراء يذلونهم، وذلك عندما أصبح الملك عضودا والطبقة العلمية مناصرة لهم ومعضدة لظلمهم واستبدادهم بالإمارة دون شورى المسلمين.
- ✓ ويريههم على استخدام المواهب الفطرية من عقل وفكر وذهن، وعلى صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة والوقوف عند حدود الواقع.
- ✓ ويريههم على بناء الأمور على أسبابها والنتائج على مقدماتها علما وعملا.³
- ✓ وعلى تحصيل ملكة التحليل والتعليل ومزج العلم بالحياة والحياة بالعلم.
- ✓ ويلح على تربية التلاميذ على الروح الإسلامية وهذا من اللامرات التي تكثر في وصايا الإمام في هذا المجال.

1 نفسه، ص 289-290.

2 - نفسه، ص 283.

³ نفسه ص 291.

قال الشيخ العربى التيسى -رحمه الله- يوما مخاطبا أعضاء جمعية العلماء المسلمين: فلتنكن الأخوة رائدنا، وليكن الإخلاص رابطنا، ولتنكن النزاهة شعارنا، وليكن نكران الذات القاسم المشترك الأعظم بيننا. إنه لا يمكن إرضاء الإسلام والوطن، وإرضاء الزوج والأبناء فى وقت واحد، إنه لا يمكن لإنسان أن يؤدي واجبه التام إلا بالتضحية، فلتنس من ماضى الآباء والأجداد كل ما يدعو إلى الفتور وإلى الموت، ولتأخذ من ماضيهم كل ما هو مدعاة قوة واتحاد.

لا غرور فحين أمام رجل انصرف عن كل المغريات ووقف نفسه لصالح قضية وطنه وأمنه غايته تخلصها من براثن العدو:

الصحافة:

استحدث ابن باديس وسيلة جديدة للاتصال بالجمهير متمثلة فى الصحافة الإصلاحية، فمنذ صدور جريدة النجاح فى 1919م، وعلى صفحاتها ظهرت العناية بوحدة الصفوف بغرض تحقيق الهدف المشترك. وبعدها جريدة المنتقد التى تتناول شؤون المجتمع بالنقد من خلال الإشارة إلى الجوانب السلبية فى المجتمع والتنبية لآثارها ومخاطرها، والدعوة إلى معالجة الخلل بهدف التقويم والإصلاح، ثم نزلت مجلة الشهاب تحت شعار الحق والعدل والمساواة فى التكليف بالواجبات وإعطاء الحقوق. وبذلك يعد ابن باديس من بناة الصحافة العربية الحديثة، حيث أرسى دعائمها وجعلها فى خدمة المبادئ الوطنية. وعلى العموم يمكن رصد عدد من الأهداف توخاها ابن باديس من خلال مشاركته فى الحركة الصحافية الجزائرية نوجزا فيما يلى:

- ✓ المشاركة فى هذه الحركة بالكتابة فى القضايا التى هم الشعب الجزائرى
- ✓ تأكيد الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين وذلك بالقيام بنشر الوعي الدينى، والذب عن العقيدة الإسلامية مما خالطها من المعتقدات الباطلة.

✓ جعل الصحافة منبرا حرا لتبادل الآراء والأفكار، وفتح المجال أمام الناشئة وتعويدهم على الكتابة السليمة الهادفة¹.

و بالتالى فإن رؤية ابن باديس في التجديد والاصلاح لم تكن منحصرة في الراهن بل كانت تمتد إلى المستقبل بنظرة واثقة تقوم على إعداد الأجيال وتأهيلها لكي تتبوأ مكان الريادة في صناعة الحضارة، ويؤكد ذلك بقوله: هذه مبادئنا هي مبادئ الصحافة الحرة التي هي قوة لا غنى لأي أمة عنها، ولا رقي لأمة ناهضة بدونها.

و تنفيذ الكثير من الشواهد أن الشيخ العربى التبسى قدم إسهامات بينة عبر منابر الجمعية الإعلامية، بحث فيها المجتمع وخاصة الشباب على السعي لكسب العلم النافع، والتوحد من أجل حماية الوطن ضد أطماع الغاصبين، وتقويت الفرصة على كل المتربصين بالجزائر.

لقد كانت نتائج جهود رجالات جمعية العلماء ومنهم الشيخ العربى التبسى، أن احتفظت الجزائر بشخصيتها الإسلامية العربية، في حين كانت أهداف فرنسا الصريحة بأن تحطم هذه الشخصية ولكن الجزائريون استطاعوا تجنب ذلك وتقاديه².

لقد كان الشيخ العربى التبسى يعلق آمالا عريضة على الأجيال الناشئة، لأنها هي التي تحمل مشعل النصر، وتتحقق فيها معاني استمرار الثقافة وتتجسد بها الحضارة، ولذلك فقد راهن في تنفيذ مشروعه الدعوي الإصلاحى على عنصر الشباب لحمل أفكار الإصلاح والانتصار لها ونشرها في مختلف الربوع. لأنه ما من مشروع نهضة أو إصلاح أو تجديد يمكن أن يرى النور إذا لم تكن وراءه همة الشباب، وطموح هذه المرحلة المفعمة بالطاقة الخلاقة، لذلك يجعل من الشباب الأداة المنفذة لما كان يريد من أفكار.

¹ عبد الحميد بن باديس، جريدة البصائر، ع 171، ص 04، قسطنطينة، 1939م.

من أجل ذلك كرس جل وقته لتكوين جيل مستقيم متشبع بقيم القرآن وكل غايته أن يكون القرآن منهم رجلا رجلا كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وبجهودهم المخلصة تبصر مستقبلها.

وعلى عمود من أعمدة الشهاب أطلق الشيخ العربى التبسى رحمه الله سنة 1935م صرخة مدوية لتنبية الغافلين، وإيقاظ الضمائر جاء فيها:

إن كل أمة ابتليت ببدء التقليد قد أضاعت رشدتها وضلت سواء السبيل وتركت أعظم ميزة مُنحها الإنسان ألا وهي العقل فيطرقها الخلل في أعمالها المادية والأدبية وتصبح مملوكة للغير. علينا أن نطلق للفكر سراحه ليصوب و يجول و على دعاة الإصلاح العاملين لإنقاذ الأمة الجزائرية من ربة التقليد أن يجعلوا فكرة الإصلاح على قاعدة الدين أولا و أخيرا مرتكز و منطلق حركة التحرير و التغيير.¹

وفي هذه الدعوة منه إلى نبذ التقليد دليل قوي على صواب منهجه و سداد فكره و رشاد سعيه و بعد نظره و هو يجوب طول الجزائر و عرضها لتعبئة الجماهير و صب حركتها في بوتقة " الحرية الحقيقية " التي تقوم -أول ما تقوم- على الاعتزاز بالذات الحضارية و تحقيق مراد الله و رسوله بتحسيد هدايات الدين في الواقع الحيوي - وحدة صف و هدف- و - اتحاد كلمة و مواقف- في مواجهة الصليبية العاتية و الصهيونية العابثة الباغية و عبيدهما من أشباه المفكرين و المنقُفين.

أخلاصة

يظل الإنسان وفق الرؤية الإصلاحية الباديسية أساس كل نهضة و مرجعيته تتحدد في الإسلام والعربية.

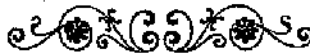
لقد بقي الشيخ الشهيد العربى التبسى منافحا عن العروبة والإسلام، ثائرا ضد المستعمر، شديد الحرص على محاربة الشرك ومظاهره، ونبذ الخرافات ساعيا لتطهير عقول أبناء المجتمع منها.

¹ الشهاب، الصادر عام 1936م .

وقد أثر عن الشيخ العربي التبسي قوله لقد كان الشيخ ابن باديس هو الجزائر، فلتجاهد الجزائر أن تكون هي ابن باديس.

لقد كان الشيخ العربي التبسي رجلا متجردا لله لا يخشى لومة لائم في قول الحق، وقد زادت محاولات العدو الفرنسي لثنيه عن هذا النهج، عزيمته على التمسك به، وتصميما على مواصلة السير فيه.

وقد أثر البقاء إلى حوار شعبه ناصحا ومعلما، واعظا ومجاهدا بفكره وقلمه وبالنظر للتفوذ المعنوي الذي ظل يتعاطم للشيخ العربي التبسي في نفوس الناس، حاولت سلطات فرنسا التأثير عليه بكل الوسائل، إلا أن خطابه الثوري ومنهجه الجهادي ضد فرنسا ماقتى يتصاعد، مما حدا بفرنسا إلى انتهاج أسلوب الغدر فاختطفته من بيته في 17 فبراير 1957م، ومنذ ذلك التاريخ اختفى وعُد من الشهداء، رحم الله الشيخ العربي التبسي وأدخله فراديس جناته.



المراجع

1. عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج2، م8، عدد فبراير، ص75.
2. العالم جلال، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، أيدوا أهله: دار ابن تيمية البليدة، الجزائر، 1974م.
3. عبد الحميد بن باديس، جريدة البصائر، ع171، م04، قسنطينة، 1939م.
4. عثمان أمقران، الإصلاح الديني ومنهجه التغييري في فكر الشيخ الشهيد الشيخ العربي التبسي 1
5. <http://www.binbadis.net/research-and-studies/advocates-of-reform/269-tebessi.html>. 25/3/2012.14h20.
6. مطبقاني مازن صالح، عبد الحميد بن باديس: العالم الرباني والنزعم السياسي، عالم الأفكار، الجزائر، 2005 م، ص70.
7. الشهاب، الصادر سنة 1936م.
8. عبون البصائر 22 ربيع الأول 1355/12 يوليو 1936م/29 ربيع الأول 1355 /19 يونيو 1936م.
9. أحمد الخطيب، جمعية العلماء وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص170.
10. Dirlik, Abd al Hamid Ben Bedis, Ideologist of Islamic, reformism and Leader of Algerian National Movement, ph.DThegis.p20.

العمل الدعوي في تصور الشيخ العربي التبسي

د. زكيث مزور خرايت

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والشيخ العربي التبسي واحد من أعلام جمعية العلماء المسلمين، كرس حياته في سبيل النهوض بالأمة الجزائرية والسير بها إلى بر الأمان، يشهد له كل من عاصره أو تابع مساره النضالي والدعوي، وهو بهذا يعتبر بحق أحد الرواد الذين كانت لهم بصماتهم في خلق جيل واع بوجوده وبقوماته العربية الإسلامية التي حاول الاستعمار الفرنسي طمسها، وبالرغم من الجهد الفكري والدعوي والثوري الذي قام به الشيخ العربي التبسي إلا أننا مازلنا في كثير من الأحيان نجهل هذا الميراث الحي الذي تركه هذا العلم الشامخ، ومن ذلك الجانب الدعوي، فقد حاول الرجل أن يضع بين أيدينا تصورا عمليا حول العمل الدعوي وأهميته، فما هو مفهومه للعمل الدعوي؟ وما هي معانياته من حيث وسائله ومواصفات الداعية الناجح كما يتصورها الشيخ العربي التبسي؟.

أولا : مفهوم العمل الدعوي (الإرشاد) عند الشيخ العربي التبسي

والأهميته.

يتعرض الشيخ العربي التبسي في تحديد مفهومه للعمل الدعوي أو الإرشادي من قواميس اللغة، فلفظ الدعوة أو الإرشاد كما يسميه "مصدر أرشد، إذا نصح ودل على خير وهو ضد أغوى"⁽¹⁾، ويبدو من هذا أن الرجل كان منهجيا في أفكاره دقيقا في طرح مصطلحاته، وهو بهذا الاعتبار يختلف عن الكثيرين، فقد حاول أن يضع

(1) العربي التبسي، "الإرشاد العام"، ضمن كتاب مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، القسم الثاني، جمع وتعليق، أحمد الرفاعي الشرقي، دار الشهاب، بتاف، الجزائر، ص 24.

القارئ أو المستمع أولاً أمام صورة واضحة للمفهوم المرتبط بالموضوع الذي سيتناوله (وهو الدعوة أو الإرشاد) قصد تمكينه من فهم الموضوع بشكل سليم ودقيق.

قول النبي ﷺ "الدين النصيحة" فلنعتبر أن لفظ الإرشاد يساوي النصيحة، والنصيحة في المفهوم الاصطلاحي للدعوة أو الإرشاد اسم يدل على ما يفهمه قول النبي ﷺ "الدين النصيحة" فلنعتبر أن لفظ الإرشاد يساوي النصيحة، والنصيحة قد حصر الدين فيها حصراً يكاد يكون حقيقياً، فيكون الإرشاد إذن متناولاً لكل ما ينفع وأنواع النفع كثيرة تتناول ما ينفع البدن في إقامة الحياة وطرق المعاش وما يقدم العقل وينوره وينصحه ويزكيه وفي زكاء العقل زرع للأخلاق الفاضلة وبث للآداب الطاهرة⁽¹⁾، ويفهم من هذا أن الدعوة أو الإرشاد في المفهوم الاصطلاحي عند الشيخ العربي التبسي إنما يطلق على كل ما يعم جميع المنافع والخدمات الإنسانية، وهو بهذه النظرة يعتبر عمل شمولي لا يقتصر على جانب دون آخر وإنما يرتبط بكل مجال يجلب النفع والخير للإنسان ويسهم في بناء منظومة اجتماعية سليمة خالية من كل ما يعكر صفوها ويشوه نقاها.

وإذ يدعو الرجل إلى ضرورة القيام بالدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى ما فيه نفعهم في الدنيا والآخرة فمن منطلق أن هذا العمل هو "الذي يهز القلوب ويحرك الأرواح إلى الصالحات ويطيع الشعب وأفراده بأخلاق إسلامية فأى أمة ذهب منها الإرشاد والمرشدون فعدوا من أموات الأمم وإن كانت حية تأكل كما تأكل الأنعام"⁽²⁾.

والظاهر أن ما ساءه من الواقع الأليم الذي يعيشه المسلمون والجزائريون على وجه الخصوص هو الذي دعاه إلى الدعوة إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه، ويؤمله في كل ذلك أن غير المسلمين يركبون الصعاب في سبيل التمكين لدينهم فالأولى بنا نحن الذين نمتلك الحق أن نقوم بهذا العمل يقول: "كلكم يعلم أن دعاة الأديان الأخرى من غير المسلمين يقومون -دعوة لدينهم- بالرحلات لأقصى الجهات وأبعد الأمم عنهم لفة

(1)-العربي التبسي، "الإرشاد العام" المصدر السابق، ص24.

(2)-العربي التبسي، "سعادة وشقاء" المصدر السابق، ص26.

ودينا لعلهم يدخلون في دينهم، من لم يكن يسمع بهم وهم في سبيل الدعوة إلى دينهم يؤسسون الكليات العلمية ويشيدون المستشفيات الضخمة وينون الملاجئ والمطاعم وينفقون على ذلك الملايين ويركبون الصعاب ويقتحمون المهالك كل ذلك دعوة إلى دينهم وأملا منهم أن يكسبوا ربحا جديدا هو دخول بعض الأفراد إلى دينهم، أفلا يكون قيام علماء المسلمين في أمتهم الإسلامية ووطنهم الجزائري بالإرشاد إلى دينهم مما يوجه التشريع السماوي ويعترف به التشريع البشري أيضا إذا كانت العدالة موجودة!!؟⁽¹⁾

ويستند الشيخ العربي التبسي في مشروعية العمل الدعوي والإرشادي إلى نصوص الوحي من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة/122] وقوله ﷺ: "بلغوا عني ولو آية"⁽²⁾.

ولم يكن الشيخ صعبا عليه أن يؤسس لفكرة الدعوة إلى الإصلاح والإرشاد فقد وجد في ميراث النبوة ومن جاء بعده دليلا عمليا لذلك ويعطي مثلا بنبيينا محمد ﷺ بأنه قدوتنا في كل ذلك يقول: "إن الإرشاد كان وظيفة نبينا، ذلك أن تاريخه ينطق بأنه كان ﷺ عقد مجالس الوعظ ومحادث الناس ويبعث بالوعظة إلى نفوسهم ويلقي بالحكمة في أذهانهم فإذا عقولهم التي شبت في الجاهلية قد زكت بذلك الإرشاد فينولد عن ذلك الذكاء استقامة في الأعمال وحسن في الأخلاق وطيب في الآداب كان ربك القادر وقد خلق أرواح أولئك خلقة جديدة تبتدئ من وعظ رسول الله ﷺ ويكون وعظه بالنسبة إليهم كفاصل حاجز بين تاريخهم الجاهلي وتاريخهم الإسلامي"⁽³⁾.

وإذا يتحدث الشيخ العربي التبسي عن ضرورة القيام بهذا الواجب وأهميته في إصلاح المجتمع والارتقاء به، فإنه إنما يعني في كل ذلك جمعية العلماء المسلمين باعتبارها المؤسسة التي تبتت القيام بتصحيح عقائد الناس وإصلاح أحوال المجتمع، ومن أجل أن يكون العمل الدعوي والإرشادي مثمرا بينه الرجل الجمعية إلى ضرورة أن تسطر

(1)-العربي التبسي: "وجوب القيام بالإرشاد شرعا"، المصدر نفسه، ص31.

(2)-أسرحه بخاري، "باب ما ذكر عن بني إسرائيل"، نظر البخاري، صحيح البخاري، ج3، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1987م، ص1275.

(3)-عربي التبسي، "معادة وشقاء"، المصدر السابق، ص25.

برنامجاً تسيراً وفقه "ولكون النظام يزيد الحق تمكناً ويعطي للقائمين به سهولة وقوة في تنفيذه أرى أنه يجب على رجال الجمعية أن يضعوا برنامجاً للوعظ يسرون على وضعيته ويصرون بضوئه ويهتدون بحكمه ويأخذون أنفسهم على العمل به، وذلك البرنامج للإرشاد الديني إذا وضع وضعاً محكماً وحوفظ على السر على تعاليمه لا نشك أنه يأتي بالفائدة"⁽¹⁾.

ثانياً : وسائل العمل الدعوي (الإرشادي) عند الشيخ العربي التبسي:

العمل الدعوي والإرشادي لا ينطلق من فراغ وإنما يحتاج إلى وسائل عملية لتنفيذ خططه وتحقيق أهدافه، بل إن الاعتماد على وسائل لتحقيق المشروع الدعوي يساهم إلى حد بعيد في استثمار الجهد وتجاوز العقبات وقد أدرك الشيخ العربي التبسي قيمة الوسائل في تسريع العمل الدعوي، ومن هنا فهو يعتقد أن أهم الوسائل التي يجب الاعتماد عليها تتمثل في الآتي :

1- المدرسة: تعتبر المدرسة أحد الوسائل المهمة في العمل الدعوي الإصلاحية، وقد وصفها أحد الباحثين بأنها "حارس القيم"⁽²⁾، والمدرسة واحدة من المؤسسات التي أوجدتها المجتمع من أجل المحافظة على ثقافته وتراثه، ويعرفها المختصون بأنها «وحدة اجتماعية» تتكون من مدرسين وتلاميذ وعملية تربوية تشمل التعلم والتعليم⁽³⁾، ويعتمد عليها المجتمع في نقل مهاراته وعاداته ومثله وقيمه ومعارفه من جيل إلى جيل والعمل على استمرار ثقافته ونموها وتجديدها⁽⁴⁾، وهي الخطب الاجتماعي الأول الذي ينتقل إليه الناشئ بعد مؤسسة الأسرة، وفيها يتلقى مختلف المعارف والمهارات، ويكتسب القيم والمبادئ التي تساعد على شق طريق شريف

⁽¹⁾ العربي التبسي، "ما ينبغي أن يكون عليه الإرشاد"، المصدر نفسه، ص35.

⁽²⁾ -أبصفت الوفاي، "علاقة المدرسة بالنفوس في مرحلة العولة"، مجلة اتجاه الإذاعات الدول العربية، تونس، ع2، 2005م، ص38.

⁽³⁾ مراد بوقطاية، "مقومات التربية الحديثة في المدرسة"، مجلة العلوم الإنسانية، بسكرة، الجزائر، ع3، أكتوبر 2002م، ص47.

⁽⁴⁾ 30/370، ص118. أمال حمزة نوروزي، النظرية التربوية الإسلامية، الملكة العربية السعودية، جدة، 1982م، ص118.

لحياته المستقبلية، والناشئ في كل ذلك يتأثر بما يتلقاه في الجانبين المعرفي والقيمي والسلوكي.

ولأن الشيخ العربي التبسي كان رجلا عمليا فإنه تجاوز فكرة الحديث عن أهمية المدرسة وأبعادها على المجتمعات إلى ممارسة التدريس بنفسه إدراكا منه أن المدرسة هي النوع والوسيلة المثلى لحماية جيل الجزائر من المسخ الفرنسي الذي يسعى إلى تكريسه بين أبناء الوطن، وتشير الكتابات التاريخية أنه في سنة 1932م ألح عليه سكان مدينة "تيسة" بأن يرجع إليهم فاشترط عليهم تأسيس مدرسة ومسجد فوافقوا على شرطه، فرجع وأسس «مدرسة هديب البنين والبنات» التي جهزت تجهيزا عصريا، وبلغ عدد تلامذتها عام افتتاحها 1934م خمسمائة تلميذ⁽¹⁾.

وعندما نقلت جمعية التربية والتعليم نشاطها إلى تيسة سنة 1942م عين العربي التبسي مشرفا عليها، وبعد افتتاح معهد عبد الحميد بن باديس عام 1947م انتقل إلى قسنطينة بعد أن أسندت إليه مهمة إدارته وقد بقي على رأسه إلى يوم غلقه سنة 1956م.

وقد استطاع الشيخ التبسي أن يسير المعهد بحرص شديد من حيث طريقة تنظيم التدريس به تؤكد كتاباته التي كانت تنشر على صفحات البصائر من ذلك هذه العناوين:

- ✓ "معهد عبد الحميد بن باديس"
- ✓ "المعهد الباديسي في سنته الرابعة"
- ✓ "افتتاح الدراسة بالمعهد وشروط قبول التلاميذ"
- ✓ "خطاب في الاحتفال بحتم الدروس بالمعهد"

وكان من الآثار ذلك التعليم المبارك الذي دام عدة سنوات في مرحلته الانتقالية، أن تشجع الشباب على الإقبال على العلم والرحلة في طلبه، فرحل المئات منهم إلى "الزيتونة" بتونس، والعشرات إلى "القرويين" بالمغرب وبعضهم إلى "الأزهر"

⁽¹⁾ - محمد حاج عيسى، " حياة الشيخ العربي التبسي وأصول دعوتة الإصلاحية "، عمن موقع :

وكان من تلاميذ الشيخ التبسي في ذلك العهد رجالا كانوا زينة مدارس الجزائر، ومنهم من هاجر إلى الشرق ليكمل علمه فأوفى وبرز⁽¹⁾.

2- المسجد:

تعد دور العبادة أو المساجد أظهر بقاع الأرض وأفضلها على الإطلاق، فضلا عن كونها المكان الأقرب إلى نفس الإنسان⁽²⁾.

مما تقدم فإن المسجد ومن خلال تعدد وظائفه، يمتلك دورا لا يستهان به في غرس القيم وتدعيمها لدى أفراد المجتمع صغارا وكبارا، وذلك من خلال ما يقدمه إمام المسجد عبر اللقاءات المختلفة التي تجمعهم بالمصلين من موضوعات تمس الفرد بشكل مباشر أو غير مباشر، والمواضيع في ذلك متنوعة وكثيرة، فهناك القضايا التي تهدف إلى ترسيخ قيم العقيدة، كالإيمان بالله، والرسول والملائكة واليوم الآخر، وهناك المواضيع التي تهدف إلى ترسيخ القيم الاجتماعية، كبر الوالدين والإحسان إلى الجار، واحترام الكبير، ومنها ما يهدف إلى ترسيخ الأخلاق، كالصدق، والوفاء وحسن الخلق، والاستئذان... الخ.

إن المسجد في كل الأحوال والظروف يمتلك القدرة على «تنقية فكر البشر وتطهير قلوبهم وتصحيح نفوسهم وإيقاظ ضمائرهم، وضبط سلوكياتهم بما يتلى عليهم فيها من آيات الذكر الحكيم وبما يتدارسونه من القرآن والسنة، وبما يحكى لهم من السيرة النبوية المطهرة»⁽³⁾.

بناء على هذه الاعتبارات فإن الشيخ العربي التبسي يعتقد اعتقادا جازما بأن المسجد هو من الأمكنة التي تسهم في تنوير عقول الأفراد والجماعات بكل ما يتعلق بأمور دينهم، ومن ثم فلا يحق لأي كان أن يعطل دور هذه المؤسسة الدينية عن أداء

(1) - إمام حسين الشهيد: أعلام جزائرية مميزة - عن موقع: <http://www.tbessa.net>، تاريخ التعديل: 2012/4/15م.

(2) - صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2000م، ص 240.

(3) - ماهر محمود عمر، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، دار لغزوة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1992م، ص 84.

وظائفها. يقول في ذلك "والمساجد إنما أسست لمصلحة الإسلام ووجدت لإقامة شعائره بنيت لنشر علومه، فمن عطل المساجد عن أداء بعض وظائفها إشباعاً لشهوته وإرضاءً لشيطنه فقد رضي بتعطيل بقية وظائف المساجد إذ ما جاز على المثل يجوز على المماثل" (1).

والواقع أن العربي التبسي قد استغل هذه الوسيلة أشد استغلال خلال نشاطه الإصلاحية والدعوية، فليس غريباً أن ينطلق عمله الدعوي من المسجد وبالتحديد في مدينة "تبسة" التي أصبح ينسب إليها، وذلك في مسجد صغير يدعى "مسجد ابن سعيد" حيث بدأ الناس يلتفون حوله ويزدادون يوماً بعد يوم حتى ضاق بهم هذا المسجد، فانتقل بعدها إلى الجامع الكبير الذي تشرف عليه الإدارة الحكومية، لكن سرعان ما جاءه التوقيف عن النشاط من الإدارة بإيعاز من الطرفين، فعاد إلى المسجد العتيق "ابن سعيد" ليواصل نشاطه بالرغم من ضيقه بالناس الذين استجابوا لدعوة الإصلاح واقتنعوا بها. ويصف أحد المهتمين في هذا السياق مدى إقبال الناس على دروس الشيخ التي كان يلقيها في المسجد بالقول: "وكانت دروس الشيخ للامة تلقى بعد صلاة العشاء فترى الناس يسرعون من معاملهم ومنازلهم لأداء الصلاة وسماع الدرس فيمتلئ بهم المسجد، وكانت طريقة الشيخ أن يختار نصاً قرآنياً أو نبوياً يناسب موضوعه، فيفسره تفسيراً بارعاً يجلب ألباب السامعين، فيريهم حكمة الشرع ومعانيه السامية، ثم يتدرج إلى بيان الأمراض الاجتماعية فيشرحها ويبين أسبابها وعواقبها في الدنيا والآخرة" (2).

واستأنف دروس التفسير للامة في مسجد "حي بلكور" الذي كان يحتفظ بالمستمعين على الرغم من ظروف الحرب، وبقي في العاصمة إلى أن اختطف رحمه.

3- النوادي:

مثلما العربي التبسي بالمدرسة والمسجد كوسائل لا يستهان بها في الدفع بحركة الإصلاح فإنه كان يؤمن من جهة أخرى بأن النوادي وسائل مهمة تضاف إلى ما سبق

(1)- العربي التبسي: "إعداد الوسائل للعناية بالمجتمع"، الشباب: مج: 8، ج: 8، ص: 1932، ص: 420.

(2)- محمد حاج عيسى: مرجع سابق.

إذ تعتبر من أهم المراكز الثقافية التي تساهم في تسريع عجلة العمل الدعوي والإرشادي، ففيها تتضح الرؤى وتتلاحق الأفكار وتساعد الشباب على تكوين علاقات جديدة من خلال تبادل الآراء ومناقشة القضايا المختلفة خاصة لمن لم تسمح له ظروف الحياة استكمال مشواره الدراسي.

وقد أدرك العربي التبسي أهمية النوادي في الارتقاء بالأفراد ذلك أنها حسب اعتقاده "يمكن بسببها للأمة أن تتعاون في تبادل الآراء وتعارض الأفكار وتبادل المعارف"⁽¹⁾.

ولكن الشيخ إذ يؤمن بأهمية النوادي في اعتبارها أماكن لتلاحق الأفكار وتبادلها يرى أنها كي تكون كذلك لا بد أن تديرها الأيدي الشريفة وحين ذاك تكون "وضعية ملائمة لتبليغ الدين وتلقي علومه وتصوير فضائله وتعليم أصوله وفروعه بعقد المحاضرات"⁽²⁾.

والحق أن الجزائر عرفت تواجدا معتبرا للنوادي منها نادي الترقّي الذي تأسس في عام 1926م ونادي التقدم بالبلدية ونادي الاتحاد بقسنطينة ونادي النجاح بمدينة بلعباس والنادي الإسلامي بالجزائر⁽³⁾.

4- الصحافة :

تعتبر الصحافة من الوسائل المهمة في تسريع العمل الدعوي لما تتميز به من سرعة الانتشار ووصولها إلى شرائح واسعة في المجتمع، وانطلاقا من إيمانه بدور الصحافة في التوعية العامة للأمة وتعبئة الجماهير فإن الشيخ العربي التبسي وإن لم ينشئ كأقرانه من رجال الإصلاح والدعوة صحيفة فإنه في كل ذلك قد ترك بصمات واضحة من خلال إسهاماته الجادة عبر صفحات الجرائد والصحف المختلفة مثل الشهاب والبصائر والسنة وغيرها والتي كان لها الأثر البالغ في العمل الدعوي من خلال مساهمته في معالجة الأوضاع التي مر بها المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية.

(1)- العربي تبسي "إعداد الوسائل للعناية بالمجتمع"، الشهاب، مصدر سابق، ص 421.

(2)- نفس المصدر والصفحة.

(3)- أنظر: عبد الملك مرناض، فنون البتر الأدي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، 1983م، ص 279.

وفي هذا السياق يقول علي ديوز حول نضال الشيخ العربي التبسي الصحفي "كان الشيخ العربي جادا في مقالاته متقنا لها معنى لا يكتب إلا في المواضيع المهمة التي تشغل باله وبال الأمة، وإلا في قضايا الإصلاح، وما يعم نفعه"، وقد شرح في مقالاته أمراض الأمة النفسية وبين أسبابها وعللها، فكانت دروسا عظيمة في التربية والأخلاق وعلم الاجتماع. إن الشيخ العربي لم يولف لنا كتابا لأنه أعطى نفسه للإصلاح، فوقته في ليله ونهاره عامرا بما يشغله عن التأليف، ولكنه ترك لنا مقالاته الكثيرة التي لو جمعت لنا كتابا لكانت في أجزاء، إنها أصلح وألذ غذاء تقدمه للأمة وإلى مدارسنا وجامعاتنا فيصحبون⁽¹⁾.

ثالثا : من مواصفات القائم بالعمل الدعوي والإرشادي ومؤهلاته.

1- أن يكون ذا اطلاع واسع بأصول التشريع :

لأن هذه الصفة تمكن القائم بالدعوة والعمل الإرشادي من السير بالمدعوبين إلى صورة من الكمال الروحي، ولهذا يؤكد الشيخ العربي التبسي على هذا المبدأ بالقول "إن هذا الإرشاد (العمل الدعوي) الذي يجب القيام به تبليغا للدين نيابة عن النبي ﷺ يجب أن يكون مستمدا من أصول التشريع الإسلامي التي هي الكتاب الحكيم والسيرة النبوية والسنة المطهرة وهدى السلف الصالح ومفهوم أئمة الإسلام الذين يحكمون أصول الدين في أقوالهم وآرائهم"⁽²⁾.

ويؤكد كلامه هذا موضع آخر فيقول "فبحكم السنة شارحة للقرآن لا يصح لمرشد أن يستغني أو يجهل هذه السنة فمن لا اطلاع له على كتب السنة ولا خيرة له بأقوال علماء السلف لا يصح أن يعد من ورثة الأنبياء لأن الإرث إنما يدخل فيما قائمين به"⁽³⁾.

2- أن يتعهد الداعية نفسه بالخاصية:

(1)-محمد علي ديوز، إعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1976م، ص55.
(2)-العربي التبسي، "ما ينبغي أن يكون عليه الإرشاد"، ضمن مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، مصدر سابق، ص36.
(3)-نصير نفسه، ص37.

تعد محاسبة النفس من الصفات المهمة التي يجب أن يكون عليها الداعية، لأنها تشير في اعتقادنا إلى الصورة العملية للداعية القدوة بكل ما يحمله من مبادئ وقيم تدعو إلى الخير وتحث على الفضيلة.

ولإدراكه العميق بقيمة هذه الصفة في إحداث التغيير المطلوب يدعو الشيخ العربي التبسي الداعية والمرشد أن يتعهد النفس بالمتابعة والمراقبة بضرورة ردع نفسه وذلك بأن "يهذب نفسه ويحاسبها في يومها وليلتها وتعرض أعماله وأخلاقه على أصول الدين وفروعه وسيرة أئمة الإسلام الذين بهم وصلنا هذا الدين وعنهم أخذت أحكام الإسلام"⁽¹⁾.

وإذ يؤكد الشيخ العربي التبسي على هذه المبدأ فليقينه أن ذلك سيكون له وقعه العملي لدى المدعويين ذلك أن الداعية كلما حاسب نفسه وراقبها "كانت مرعظته للعامة ولغيرهم لها الأثر الحسن ونتائجها الطيبة ومفعولها العاجل ولم يكن لأحد أن يقول له: داو نفسك المريضة قبل أن تداوي غيرك"⁽²⁾.

3- ضرورة مخالطة الناس:

وهو جانب مهم على الداعية أن يوليهِ اهتماما كبيرا إذا ما أراد تحقيق المطلوب، إذ يمكن اعتباره أحد المؤهلات التي يجب أن تتحقق في الداعية ذلك أن الاقتراب من الجمهور يسهم إلى حد كبير في كسر الحواجز النفسية بين الداعية والمدعويين، وانطلاقا من ذلك ناشد الشيخ العربي التبسي رجال جمعية العلماء المسلمين - باعتبار الجمعية حاملة لواء الإصلاح - بضرورة أن يتخذ الداعية منهم كل وسيلة لتحقيق هذا الغرض يقول في ذلك "وليكن من رجال الجمعية من يحيي في قلوب هذا الجمهور بكل وسيلة تمكنهم كالاختلاط بالجمهور سواء كان الاختلاط بواسطة المحاضرات في النوادي والجمعيات أم بشد الرجال إلى الجهات التي يمكن أن يسافر إليها الوعاظ"⁽³⁾.

⁽¹⁾ -المصدر نفسه، ص 38-39.

⁽²⁾ -العربي التبسي، "ما ينبغي أن يكون عليه الإرشاد"، مصدر سابق، ص 39.

⁽³⁾ -المصدر نفسه، ص 38.

4- ضرورة فهم أولويات العمل:

فهم أولويات العمل أمر يعد في غاية الأهمية وأحد المؤهلات التي تساعد على تحقيق أهداف العمل وحفظ الجهد التبدي والوقت من الضياع ولذلك ينظر الشيخ العربي التبسي بعين الاعتبار والأهمية، ولأنه كان رجلاً عملياً فإنه يستعرض في أحد تقاريره عن الإرشاد وكيفية القيام بالعمل الدعوي الذي يجب أن تسير عليه جمعية العلماء المسلمين بضرورة أن تضع الجمعية في برنامجها هذه الأولويات⁽¹⁾:

✓ ضرورة أن يكون العمل الدعوي والإرشادي موافقاً لما كان عليه الرسول ﷺ.
 ✓ أن يقوم العمل الدعوي على رؤية سليمة تنطلق من المعرفة والفهم العميقين
 لمكن الفساد المراد علاجه وفي هذا السياق يقول الشيخ: "فكما نعد طبيياً جاهلاً بالطب أحرق لا يحسن الصنعة إذا استعمل دواء لا يناسب داء المريض. كذلك طبيب الأديان والعقول إذا استعمل إرشاده من غير موضعه وعمد إلى سطحيات المظاهر ليقاومها وترك منشأ الشر ومبعث الضلال فإنما نعهده جاهلاً بالإرشاد أعمى عن مقاصد الدين"⁽²⁾.

هذه صورة مصغرة عن بعض رؤى الشيخ العربي التبسي حاولنا من خلالها فهم جانب من جوانب جهد وفكر الرجل وهو جانب الدعوة والإرشاد، ولا لجانب الصواب إذا ما قلنا بأن الرجل كان بحق أحد الرموز التي حق للجزائر أن تفتخر بهم، وتصنع له مجداً يبقى نبراساً يقتفى أثره واسماً للدفعة من خريجي جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية تظل رمزا على جبين كل من أراد بالعلم المجد والعلا.



(1)-المصدر نفسه، ص35 وما بعدها.

(2)-العربي التبسي، "ما ينبغي أن يكون عليه الإرشاد"، مصدر سابق، ص 37.

...the ... of ...
...the ... of ...
...the ... of ...

...the ... of ...
...the ... of ...
...the ... of ...

...the ... of ...
...the ... of ...
...the ... of ...

...the ... of ...
...the ... of ...
...the ... of ...

...the ... of ...
...the ... of ...
...the ... of ...

...the ... of ...
...the ... of ...
...the ... of ...

من معالم الإصلاح عند الشيخ العربي التبسي (1957 / 1895)

٥ / كمال جديش

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

كان اهتمام جمعية العلماء المسلمين بمختلف جوانب الإصلاح الاجتماعي شغلها الأساسي الذي أنشئت من أجله، ذلك أن الاستعمار بمكائده مكن للتخلف بجميع أبعاده، وأمعن في إفساد المجتمع الجزائري، بأن سعى إلى قطع صلته بدينه وماضيه بغية إلحاقه بفرنسا، وكان أخطر أمر سعى من أجله هو قطع السند العلمي، وعزل الأمة الجزائرية عن ميراثها العلمي والأدبي، غير أن الاهتمام بإبراز مجهودات هؤلاء العلماء في إحياء الأمة مازال قاصرا، ذلك أن الإفادة من مجهوداتهم تحتاج أول ما تحتاجه إلى إعادة قراءتها وقراءة واعية مستحضرة لتحديات المرحلة التي مرت بها الجزائر قبل أن يؤذن مؤذن الثورة والتحرير.

ولعل من بين الرجال العظماء الذين كان لهم جهاد مشهود في إعادة ربط السند العلمي والأدبي للأمة بجذورها، والسعي من أجل إحيائها وتوعيتها بأمر دينها، الشيخ العربي التبسي، الذي يعد بحق واحدا من العلماء الذين حملوا هم الأمة بجميع أبعاده، حيث كان لهذه الشخصية نشاط موصول سواء على مستوى العمل الجماهيري العام المتمثل في التدريس في المساجد ومدارس الجمعية، أو على مستوى الصحافة بما كان يكتبه، وغيرها من الأنشطة التي لا يقدر على النهوض بمهامها إلا من هم في مستوى التبسي وابن باديس والإبراهيمي وغيرهم، ومن هنا تدعو الحاجة إلى تبيين معالم الطريق الذي سلكه التبسي في أداء مهمته، وهو أمر نزوم من ورائه تحقيق هدفين: أولهما التعرف على هذه الشخصية وبيان فضلها، وثانيهما محاولة استخلاص مفاصل

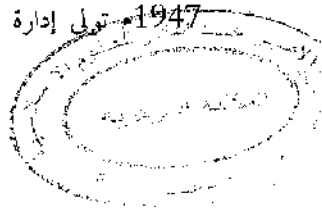
الإصلاح الاجتماعي عنده بقصد الاستفادة من هذا الرصيد الكبير واستلهامه من جديد.

العربي التبسي من التحصيل إلى الجهاد :

كان ميلاد العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات سنة 1895م في بلدة إسسطح النموشية (نسبة إلى قبيلة النمامشة الأمازيغية)، وهي بلدة تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تبسة، نشأ في أسرة فلاحية فقيرة، كان أبوه يقوم على تحفيظ القرآن لأبناء القرية في الكتاب، الذي التحق به الطفل ليتلمذ على والده، غير أن هذا الأخير توفي سنة 1903م، و كان سن الولد آنذاك لا يتجاوز الثماني سنوات، واستمر في حفظ القرآن الكريم في قريته إلى أن بلغ سن الثانية عشرة حيث قصد زاوية الرحمانية "بمخقة سيدي ناجي" الواقعة قرب بسكرة، ومكث هناك ثلاث سنوات، وبعدها انتقل إلى زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز في مدينة نفطة بتونس، وفي 1913م انتقل إلى الزيتونة ليكمل دراسته، وهناك حصل على الشهادة الأهلية(1915م)، ثم شهادة التحصيل(1917م)، وفي سنة 1919م فضل الانتقال إلى القاهرة قبل أن نيل شهادة التطويع من الزيتونة، وفي القاهرة التحق بالأزهر، وتابع دراسته إلى أن حصل على شهادة "العالمية". وكان للأجواء التي عاشها في القاهرة تأثير كبير على شخصيته، حيث تعمقت لديه فكرة الإصلاح، وهذا بعد احتكاكه بالجيل الذي تشكل وعيه في المدرسة الإصلاحية، ونعني بها مدرسة محمد عبده وجمال الدين الأفغاني.

وبعد سبع سنوات قضائها في القاهرة قرر العودة إلى الجزائر سنة 1927م، وفي طريق عودته حصل على شهادة التطويع من الزيتونة.

وبرجوعه إلى الجزائر بدأت مرحلة جديدة في حياته، وهي مرحلة الجهاد، حيث بدأ بالتدريس في تبسة، وبسبب مضايقة المحتل له انتقل إلى سيق بالغرب الجزائري بناء على اقتراح من ابن باديس، حيث زرع بذرة الإصلاح هناك، ثم عاد ثانية إلى تبسة سنة 1933م، وأنشأ فيها مدرسة سنة 1934م تعنى بتعليم البنين والبنات، وفي 1947م تولى إدارة معهد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، وفي 1952م وبعد



رحيل الشيخ البشير الإبراهيمي إلى المشرق تولى العربي التبسي رئاسة الجمعية بالنيابة إلى أن تم حظر نشاطها من قبل المحتل.

أما عن وفاته فقد كانت في ظروف غامضة حيث اختطف من بيته في العاصمة ليلة الخميس 04/04/1957م، ولا يعرف له قبر إلى الآن¹.

حال المجتمع الجزائري كما يشكصت العربي التبسي:

نظر العربي التبسي في حال المجتمع الجزائري فرآه على أسوأ حال، وهو ما كان له شديد الوقع على نفسه، وملاًه غيظاً، ويمكن تبين هذا من خلال العيوب التي أشار إليها وتب عليه في معرض حديثه عن واجب العلماء تجاه الأمة، فالمجتمع الجزائري في رأيه استبدت به الغفنة عن دينه وسيطر عليه الجهل بشؤون الدين والدنيا؛ وقد رأى آثار كل هذا بادية أمام عينيه، وكان هذا تملأ جوارحه غيظاً، خاصة وهو يرى التناقض الموجود بين الجمهور وبين المبادئ الإسلامية والتعاليم الدينية²، فكان يرى ذلك مؤذناً بذهاب ربيع هذا المجتمع، فالمبادئ الإسلامية التي يفترض فيها أن تكون منيرة لطريق الأمة إن أحسنت التمسك بما "استحالت في لغة الجمهور كفرضيات لا حقائق لها وخيالات لا محصول لها في أعماقها ولا مظهر لها في تصرفات جمهور الأمة، وبانت صلة الجمهور بالتعاليم الإسلامية الحقيقية صلة يستحق عليها هذا الجمهور في حكم العقل والدين والعلم جزاء من اختار الغي على الرشد وآثر الضلال على الهدى، ولا بد للعلم أن يحكم على هذه الجماهير بأنها جماهير حائدة عن دينها بعيدة عن مصادر الرشد وموارده، جافية طباعها مستهينة بكرامتها، معينة للدهر على اضمحلالها وفنائها من سجل الأمم"³، والعربي التبسي إذ يبدي استغرابه من هذا الخفاء الذي رآه بين المبادئ الإسلامية وبين الجماهير فإن استغرابه من بعد الجماهير عن العلم واستهانته به

¹ - محمد علي دوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، نقلا عن أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 167 وما بعدها.

1985م

² - الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، جمع وإعداد أحمد الرفاعي الشرفي، دار البين 2005م،

ص 146

³ - نفس المصدر والصفحة

بلغ أيضا مداه، وحق للعلم في نظره "أن يقول هذه الجماهير، إنك لجماهير جهلت وما علمت، ونسيت أن الإسلام دين دعائمه التي يقوم عليها بنيان العلم، وأنت أمة لم تستضع بالعلم ولم تسيري في حياتك على ضيائه، ولو سرت مستترة بشعاعه لبصرك من حياتك وإعراضك عن دينك الإسلامي حسن ما تركت وفاتك، وشوم ما قبضت عليه بيديك واخترته لنفسك من فوضى اجتماعية دينية يتخبط أبناؤك في شرورها يوم جهلوا ما في دينهم من ترغيب في المكارم وتحبيب للفضائل وزجر وتحذير وترهيب عن موبقات ومهلكات ومبيدات"¹.

والذي عمق هذا الجهل، وكان السبب في زرع بذرته في الجزائر هو المحتل الذي لم يقف عند التحهيل والتفقير، واستمر في عملية المسخ المنظم، بل وبالغ في الظلم حين سن جملة من القوانين الجائرة، كمصادرة الأوقاف ومنع التعليم العربي، وضيق على كل ما له صلة بالديانة الإسلامية واللغة العربية، حيث إن فرنسا تبنت فصل الدين عن الدولة منذ سنة 1905م، لكنها لم تطبق هذا فيما يخص المسلمين، وأبلغ من ذلك أن فرنسا لم تعامل الجزائريين بالقانون أصلا، وهذا مبالغة منها في إذلالهم، كل ذلك أثر سلبا على محاولات الإصلاح.

غير أن هذه الحال لم تدفع بالعربي التبسي إلى اليأس، والعزلة عن الجماهير ومخافتها، ولم يكن حديثه عما حل بالأمة إلا من قبيل تشخيص الواقع، حيث رأى بعد هذا التشخيص أن كل من "امتألت نفسه بمثل ما امتألت به نفسي ودب إليه مثل ما دب إلي من هذه الآراء وقام في نفسه ظل هذا الشعور الذي ملك علي تفكيري... أحوال أن عيشه بين هذه الجماهير يكون في نظره عيشا منفصا بغضاً مملولا يحاول الخروج عنه بتعديل عوج هذا الجمهور"². كان هذا الشعور الذي ملأ نفسه وأفض مضجعه هو الذي حمله على مكابدة الصعاب وتحمل مشاق الجهاد بشئى ضروبه، ويمكن إجمال أهم معالم الإصلاح عند الشيخ العربي التبسي من خلال ما يأتي:

¹ - نفس المصدر والصفحة

² - المصدر نفسه، ص 147

1. **التطهير العقدي:** يمكن القول إجمالاً بأن أهم الدعائم التي قام عليها المنهج الإصلاحى عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو السعي في تطهير عقيدة الشعب الجزائري مما علق بها من انحرافات أفسدت عليه حياته الدينية والدنيوية، وهذه الانحرافات في مجملها ناتجة عما أشاعه بعض المتصوفة المتأخرين من طقوس لا تمت بصلة إلى التحرية الروحية، التي هي صميم الممارسة الصوفية، وساعد على ذلك تشجيع الاستعمار لكل من يشیع هذه الانحرافات، حيث قام بتوجيهها لصالحه، حتى يتمكن من إبعاد المجتمع عن عقيدته وتاريخه وهويته.

ولم يكن العربي النسبي بعيداً عن هذا المسلك، بل إنه سار فيه وعمقه، وسار على دربه منذ أن انخرط بجهده وجهاده في ميدان الإصلاح مع إخوانه من رجال الجمعية، واستمر عليه إلى حين استشهاده، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن العربي النسبي أرجع مظاهر الانحراف العقدي التي شاعت في المجتمع الجزائري إلى ما كان يروجه الطريقون من صور الابتداع المختلفة التي يراها في نهاية الأمر مفسدة لعقائد الجمهور من جهة، وموطدة لأركان الاحتلال من جهة أخرى، بما تشيحه من جهل يعمي عن إدراك حقيقة المحتل الأجنبي، هذا فضلاً عن إشاعتهم لعقيدة القدر التي هي في نهاية الأمر خادمة لسياسة المحتل أيضاً، ويمكن إيضاح تحديده من الوقوع في شرك الطريقين وشركهم من خلال تناول جانبين رئيسيين هما:

أ- **التحذير من انحرافاتهم العقديّة:** وذلك أن الطريقين تسللوا إلى قلوب العامة من الناس من باب الدعوة إلى محبة الله وتطهير النفس من الأمراض الباطنة، غير أن أغلبهم انحرفوا عن هذا الطريق، فوقعوا في كثير من المظاهر الشركية بما أحدثوا من طقوس غريبة عن العقيدة الإسلامية الصافية، غير أن خطرهم على عقيدة المجتمع ازداد، وشرهم استطار، وهذا حين زينوا للناس الباطل وحملوه على إتيان أمور لا علاقة لها بالدين، وسنوا لهم أذكارا أنزلوها منزلة الشرع، وبنوا هذه الأذكارا على أوضاع وهيئات وألقوا بها ادعية أحدثها من أسس الطريقة¹، وفرضوا على الأمة عهدوداً، وعقدوا البيعات العامة الشاملة للذكور والإناث، عقداً تغلغل في نفوسهم فحرسوها

- انصدر نفسه ص 419¹

بكل ما أوتوا من قوة حتى أن الزمان ودوراته لم يستطع أن يغالبها ولا أن يقبل من أمرها شيئا، بل ما ازدادت الأيام تأخرا والدين غربة إلا زادت صولة وقويت شوكة مغايرة لكل سبب من أسباب الدين وال عمران، وتمتيزة عن كل ما جاء به صاحب الملة، ولو كانت حيرا نقلت (كما قل الخير كله)¹. وزادوا على هذه البدعة بدعة أخرى تمثلت في إعطاء مشايخ الطرق للدعوات، فجعلوا بها لأنفسهم رئاسة على سائر عوام المسلمين، وادخلوها دين الإسلام، ذلك الدين الذي لا يعرف ولا يبيح لمخروق أن يضع نفسه في هذا الموضوع المملوء بالشك والريب في الدين²

وكل هذه البدع التي أحدثها وأشاعها متصوفة الزمان في أوساط العامة إنما يزداد شرها مع قلة العلم وشيوع الجهل، وتعويل هذه النابتة في إدامة سلطانها واتمكين لبدعها على ترك الأمة على ما هي عليه من الجهل والضلال، حتى تبقى الجماهير أسيرة لأكاذيبها، ذلك أن العلم من شأنه أن يحرر النفوس من سلطان مشايخ الطرق، ويمنعهم من أكل أموال الناس بالباطل.

ويميز العربي التبسي بين مشايخ الطرق في هذا الزمان ومشايخ التصوف الحقيقي، "فمتصوفة الزمان ومن تقدمهم بزمن كانوا وصمة عار لا تمحي، ونقطة سوداء في جبين الإسلام البريء من النقص، والمسلمين الذين فهموا الإسلام كما أراده صاحبه وأهل التصوف الحقيقي أمثال الجنيد والقشيري والخاصي الذين كانوا خلاصة أهل السنة في زمانهم، فانتسبت إليهم هذه النابتة المتأخرة وصيرت طريقتهم كاملة المستقلة عن ملة الإسلام، وكل أمورهم جاءت على خلاف طريقة القوم، ولم يحتفظ بغير الاسم، فحاء تصوفهم خلقا جديدا مشوه الصورة بشع المنظر سيء المثال"³.

ومما ينبغي التذكير به هنا أن الشيخ العربي التبسي ومعه إخوانه من رجال الإصلاح لما رأوا أن الأمة وخاصة دعاة الإصلاح في حاجة إلى رسالة جامعة لأهم النقاط التي يدخل منه ليل البدع على نور السنن انتدبوا للقيام بهذا الفرض الكفائي

- المصدر نفسه ص 127¹

- من ص 433²

- من ص 438³

الأستاذ المحقق مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك الملي، حيث " جمع رسالة تحت عنوان: رسالة الشرك ومظاهره، خدم بها الإسلام ونصر بها السنة وقام العوائد الضالة، والخرافات المفسدة للعقول"¹. وقد جاءت هذه الرسالة سائرة على الخط الذي تبناه التبسي، ومعبرة عن مواقفه ومواقف رجال الجمعية، في رفض ومقاومة كل أشكال وصور البدع المختلفة التي روج لها أديعاء التصوف.

ب_ التنبيه على عمالة الطرقيين للاستعمار وتآمرهم على الشعب ومحاربة دين الله: لا يخفى أن هذه القضية من أمهات القضايا الخلافية التي شابت العلاقة بين رجال الإصلاح من جهة وبين رجال الطرق من جهة ثانية، وقد كان العربي التبسي صاحب مواقف واضحة في هذه القضية، حيث كان ربطه واضحا بين العمالة للاستعمار والكيد للأمة في دينها وديناها، وهما أبرز ما كان عليه الطرقيون، وعد هذين العملين الشنيعين من قبيل مشاققة الله ومحاربة دينه، ويرى أن تأمر الاستعمار والطرقية إنما هو تأمر على دين الله، فهما يحيطان مؤامرة للقضاء على الإسلام بوصفه الخصم الألد للاستعمار والطرقية في هذه الديار². ومن ثم فإن "العربي التبسي" ينظر إلى عمالة الطرقية للاستعمار نظرة عقديّة تجرم هذا الفعل عقديا قبل أن يكون موقفا سياسيا، ولقد كان الربط فضلا عن كونه موقفا شرعيا طريقا لسحب مشروعية تواجد الطرقيين في أوساط العامة، وتنبهها على تلبسهم التي تمكنوا بواسطتها من كسب ود الجمهور في الظاهر، مع معاداتهم له في الباطن، وهذا من جهة وإظهارهم الحرص على مصالح الأمة من جهة، مع ممالأتم للاستعمار من جهة أخرى.

2. التبعة الروحية والتوجيه الأخلاقي:

لم تكن أهمية التبعة الروحية غالبية عن تفكير رجال جمعية العلماء، بل إنها كانت حاضرة بقوة، وأولوها عناية كبيرة، وتبعاً لذلك فإنها كانت حاضرة في مجهودات العربي التبسي، وقد كان غرس القيم الدينية الإسلامية بما تنطوي عليه من أبعاد روحية وقيم أخلاقية يتخذ من الوعظ المباشر في المساجد وسيلة لذلك بوصفه

¹ - ن، م ص 203، 204

² - ن، م ص 310

أحد أجمع الوسائل في تثبيت الالتزام بقيم الإسلام في نفوس الجمهور بما يمثله من احتكاك مباشر به، وقد كان العربي التبسي واحدا من القائمين على الوعظ في المساجد، ولعل دروسه التي شرع في إلقائها في تبسة بعد عودته من رحلة التحصيل تمثل نموذج العالم الملتزم بأداء واجب التوعية تجاه الأمة، هذا فضلا عن دعواته المتكررة لإخوانه في جمعية العلماء بأن يؤديوا واجبهم في بذل النصح للأمة حيث يقول لهم مخاطبا "أيها الإخوة: تقدموا لأداء وظيفتكم الدينية، فأنتم أصحاب الحق، وأنتم ورثة نبيكم وخلفاء أمتكم، وتحملوا في ذلك الأذى كما تحمل نبيكم، وكل ذي مبدأ في الحياة وعقيدة في الدين والمبادئ، وإن ما يصيبكم من وصب وأذى فلن يضع عند من لا يضع أجر المحسنين المخلصين، والله معكم"¹.

وهذه الوظيفة التي يطالب بأدائها هي وظيفة الإرشاد، ذلك "أن الإرشاد هو الذي يحيي القلوب الميتة، ويزرع الفضائل في الأمة، ويكثر العاملين بالدين الحق، فإذا ترك أو أهمل أو استعمل بغير لغته، أو استمد من غير أصوله وعناصره، أو تولاه من لا يعرفه فإن الدين الإسلامي الذي نزل به جبريل وتلقاه محمد صلى الله عليه وسلم من ربه تطوى محاسنه وتبدل أخلاق أهله، ويترك الناس العمل بالدين، وهذا ما جرى لهذه الأمة إلا من رحم ربك"². وهذه الوظيفة لا بد أن ينهض لها علماء الأمة الحقيقيون "إن الواجب على علماء الأمة الحقيقيين لا الغاصيين لهذا الاسم يقضي عليهم بأن يحيوا الإرشاد، ويعيدوه إلى سابق عهده حتى يأتي بثمراته الطيبة، ونتائجه المحمودة"³، وإذا كان الإرشاد على هذه الدرجة من الأهمية، فإن الواجب يقتضي أن ينهض له كل من قدر عليه من العلماء، وفي هذا الشأن يرى التبسي "أن الدين يطلب منا تنصيب عدة آلاف من العلماء ذوي المقدرة على الإرشاد للقيام بالإرشاد وتبليغ الإسلام بعقائده وأخلاقه وأصوله وفروعه"⁴.

¹ - ن، م 194

² - ن، م ص 196

³ - ن، م ص 197

⁴ - ن، م ص 199

ومن مواصفات هذا الإرشاد الذي يدعو إليه التبسي، وهذا زيادة على كون من يتصدى له ينبغي أن يكون من العلماء لا من المحسوين على العلم، أن يكون هذا الإرشاد موجهاً إلى أفراد الأمة كبيرهم وصغيرهم، وذكرهم وأئناهم، مستهدفاً تبليغ دين الله الذي هو مجموعة عقائد وعبادات ومعاملات، وأخلاق وآداب¹.

ولقد كان التبسي يهيب بإخوانه العلماء، ويدعوهم إلى القيام بواجب الوعظ والتوجيه خاصة في ليالي رمضان، حيث تنهياً ظروف لا تنهياً في سائر أيام السنة، ومن ثم فإنه من المناسب الإكثار من دروس الوعظ، حيث تلقى الإقبال من الجمهور بصورة تفوق إقبالهم في سائر الأوقات، ومن ثم "فلا عذر لأحد من العلماء أو من غيرهم في التخلف عنها، والبقاء بعيداً منها ما دام باب الدخول فيها مفتوحاً لكل مسلم جزائري"². وهنا يظهر حرص التبسي على انتهاز جميع الفرص التي من شأنها أن تمهد الطريق أما إيصال المعاني الإسلامية الصحيحة إلى عامة الناس.

3. التوعية السياسية:

وهي واحدة من أكبر الاهتمامات التي كان لها حضور قوي في مجهودات العربي التبسي، ولا يخفى أن جهاده السياسي كان السبب المباشر في اختطافه واستشهاده، على أن العربي التبسي لم يشتغل بالسياسة على طريقة أصحاب الأحزاب السياسية التي كانت آنذاك تتهارش فيما بينها على ما يلقيه المحتل إليهم من فئات، إنما كان اشتغاله في هذا الباب بتوعية الجمهور بوضعه المزري تحت الاحتلال وتذكيره بوجوب السعي إلى الخلاص منه، خاصة وأن المحتل ضيق على الشعب الجزائري جميع السبل، بل وسدها في وجهه، سواء كان التضيق عليه في معيشته وقوت يومه، أو كان التضيق متعلقاً بالناحية العلمية والأدبية، حتى أصبح كل من يريد أن يحصل شيئاً من العلم من الجزائريين مجبراً على الانتقال إلى الزيتونة أو القرويين أو الأزره، ويؤكد التبسي على الربط بين الاحتلال وبين خلو القطر الجزائري من معاهد لتعليم النشء مرجعاً ذلك إلى سعي المحتل الخنثيث من أجل تعقيم المواهب الإنسانية، ومحو الغرائز

¹ - ن، م، ص 198

² - ن، م، ص 323

والفطر الأدبية، وإعاققة الشعوب عن الإنشاء والتقدم¹، وبنه التبسي إلى النية المبيتة من قبل المحتل في تنفيذ خطة التجهيل حين سلب من الأمة ما أنشأه الأوائل من دور للعلم قبل الاحتلال، فالأمة " اغتصبت أوقافها، ونزعت منها مساجدها، ومنعت حق التصرف فيه ان وفرضت عليها قوانين من شر ما يعرفه البشر في عالم التشريع الإنساني، فالتعليم الديني والدنيوي سلطت عليه قوانين لا إنسانية، وكلف سنها وتنفيذها أولئك الذين كلفوا بتشريع وتنفيذ قوانين الجرائم"²، حتى أصبح محارب الأمة يحاكم مع القتلة والمجرمين³.

ولا يكفي العربي التبسي في منازلته للمحتل وفضح سياساته في باب التصديق على التعليم وحسب، بل إنه لا يفتك يذكر مجرائم المحتل ومغالطاته المناقضة للتاريخ والجغرافيا، حيث يبين بأن " سياسة الاستعمار في الجزائر وضعت قاعدة هي آية الآيات في قلب الحقائق والوضعيات، ومعجزة المعجزات في إنكار حق الأمم. هذه الآية هي أن الجزائر ثلاث مقاطعات من فرنسا، ولا يكون في هذه المقاطعات إلا ما يرضي الاستعمار الأسود مثل هذه الآية، والقادر على اختراع الأغلوطات، وإن غضبت الأديان وسخطت العدالة، واحتجت الجغرافيا، وأنكر ذلك كل مبدأ من مبادئ الحقوق والعدالة. والاستعمار كما هو معلوم جريء في إنكار الحقائق كفور بحقوق الضعفاء..."⁴. ولغة التبسي هنا واضحة وصریحة في تشديد التكرير على الاحتلال وفضحه، وهي لغة لا تعدلها في وضوحها وقوتها إلا لغة ابن باديس حين قال: " إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها"⁵.

¹ - ن، م ص 212

² - ن، م ص 212

³ - ن، م ص 213

⁴ - ن، م ص 213

⁵ - الشهاب، عدد نوفمبر 1937م، نقلا عن أحمد الخطيب، مرجع سابق ص 128.

لقد كانت هذه اللغة القوية التي استخدمها التبسي في توصيف طبيعة المحتل، وبيان مخالفته لمقتضيات العمران وسيلة لبث وعي سياسي في أوساط الجماهير من شأنه أن يعجل في إحداث ثورة عارمة تقلب الموازين وتحمر الأرض والإنسان، وذلك ما وقع فعلا، وساهم فيه حتى استشهد.

وما يجدر التذكير به هنا أيضا أن موقفه من التجنيس كان موقفا واضحا وصريحا مثله مثل مواقف إخوانه من العلماء، وقد تناولها التبسي في سياقها الذي جاءت فيه، حيث تناولها مع ثلاثة مسائل أخرى وبين أبعادها السياسية والدينية والقومية، حيث يقول: "أربعة مسائل حدثت بحدوث استعباد بعض الشعوب الإسلامية يوم أن تسلط الغرب القوي على الشرق الضعيف. وهذه المسائل أحدثها مبتدعوها لإخراج المسلمين من أحكام دينهم وإدماجهم في تلك الأمم حتى يكثر سواد المغرب، ويقل عدد المسلمين، فهؤلاء المبتدعون للتجنيس على علم بتلك الحقيقة الاجتماعية الدينية: من كثر سواد قوم فهو منهم فيكون التجنيس غزوا للعقائد الإسلامية ومحاولة لتكفير المتجنس بطريق يستهوي الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة¹.

والتبسي كان يسير على خط جمعية العلماء التي سعت إلى سد الأبواب أمام المحتل، تلك الأبواب التي أراد أن يدخل منها إلى المجتمع الجزائري ويخترقه ويجهض مشاريعه، خاصة إذا علمنا أن سلطات الاحتلال قامت بعملية تجنيس واسعة بعد حوادث 8ماي 1945م محاولة منها لإسكات صوت دعاة الحرية.

¹ المصدر السابق، ص 443

الثامن

من خلال هذا الاستعراض الموجز لبعض معالم الإصلاح عند الشيخ العربي التبسي، يمكن القول بأن هذه التجربة الإصلاحية جديدة بأن تعاد قراءتها من جديد، وأن تستلهم في عملية سد الفراغ الذي أصبح علامة بارزة في مجال التوجيه العقدي والأخلاقي للمجتمع، كما أن الوعي بالمرحلة التاريخية الذي دلت عليه تجربة التبسي، توجب أيضا قراءة هذه التجربة لاستلهامها في مجابهة تحدي العولمة والاستجابة لمتطلباته بما يحفظ للأمة هويتها.



.....

.....

إصلاح البنين وبناء الأسماع في خطاب جمعيت علماء المسلمين

أ. نوال يومعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النماذج

• ملامح التجديد الإصلاحي في خطاب الإمام عبد الحميد بن باديس.

• الوعظ والإرشاد في خطاب الإمام العربي التبسي.

• قراءة تحليلية في الخطاب الإصلاحي للإمام البشير الإبراهيمي.

ملامح التجديد الإصلاحي في خطاب الشيخ الإمام عبد الحميد

بن باديس:

يقف دارس نصوص الفكر الإصلاحي الجزائري في هذه المناسبة الكريمة وقفة تقدير وإجلال لكل علم من أعلامها، فكل ما قدم من طرف هؤلاء انصب في موضوع الإصلاح، وتقتسم السبل السليمة لإصلاح المجتمع الجزائري، خاصة في الفترة الاستعمارية التي استفحلت في الجزائر العشرينات والثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر.

كان لا بد من ظهور حركة إصلاحية تنصدي لهذه المخاطر، فبرزت الجمعية ممثلة في رؤادها المعروفين، الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ العربي التبسي، والشيخ البشير الإبراهيمي. فقد واجه هؤلاء الأئمة والعلماء من العديد المخاطر والصعوبات إلى حد قول أحدهم: حمل سلاح أهون علي من قول كلمة. إنها عبارة تعكس صعوبة المهمة في ظل الجهل والأمية وانتشار السحر على طمس الهوية الجزائرية بإغراق شعبها في الجهل وإبعاده عن كل ما يحقق له المعرفة والعلم.

إذن، فمهمة المصلح شاقة، ورحلة مغامراته طويلة، قال ورقة بن نوفل لمحمد صلى الله عليه وسلم حين عرض عليه دعوته: ما جاء أحد بمثلك ما جئت به إلا وأوذي. وقد أصاب المصلحين ما أصابهم من الأذى، فمنهم من نفى ومنهم من سجن، ومنهم من قتل، ولا يكون المصلح مصلحا حقا حتى يؤمن الإيمان العميق بدعوته، وحتى تكون مبادئه أحب من نفسه، فيصير على الأذى، ويتحمل العذاب في ثبات حتى تنشر أفكاره، وتعرف الطريق إلى مجتمعه.

شهد تاريخ الأمة الإسلامية أسماء أعلام مشهورة عاشت تحت وطأة الاستعمار الفرنسي الغشيم، ووقفت في وجهه متحدية سياسة الاستيطانية، والهادفة إلى محو الهوية الوطنية قرابة القرن والرابع قرن، محاربة مقوماتها الأساسية المتمثلة في الدين واللغة. فقد عمل إلى سلخ الأمة من كل ما يربطها بتاريخها وحضارتها، بدم المساجد، وعبارة الأئمة والعلماء. إلا أن علماء الجزائر لم ييسوا أو يستسلموا، ففي 1930 قام المستعمر الفرنسي بالاحتفال بمرور مئة سنة على احتلال الجزائر، وظن أن هذه الأرض

أصبحت فرنسية إلى الأبد، إلا أن أحد أعلام الأمة كذبه، وأعلن مطلع 1931م عن ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وجعل شعارها:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة يتنسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

فهو إذن، الإمام عبد الحميد بن باديس المجدد، صاحب الإنجازات العظيمة التي عجلت بانتهاة فترة الاستعمار الفرنسي. بمجرد اندلاع ثورة التحرير المباركة. إن محاربة الجهل والتخلف والانحرافات العقائدية والأخلاقية التي غرسها المستعمر الفرنسي من المهام الأولى التي أخذها على عاتقه الإمام عبد الحميد بن باديس ورفقائه. لذلك هيأ نفسه منذ الصغر في حفظ القرآن، ثم كانت دراسته لعلوم الشريعة سببا في تكوين شخصيته ليكون مُصلحاً مجدداً، وبعد أن أنهى دراسته في الزيتونة وتحصل على أعلى الشهادات في زمانه، كان الإمام عبد الحميد بن باديس يُلقى عشرة دروس مسجدية في اليوم الواحد. ويتنقل بين المساجد لنشر العلم والتوحيد، وكانت له مواقف جريئة وشجاعة تجاه قادة الاستعمار الفرنسي من غير ذل ولا خضوع وكان يُنادي في خطبه ودروسه بقوله: " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا"¹.

وبالتالي فالجهل هو العدو الأكبر الذي واجهه ويواجه وسواجه الأمة الإسلامية عبر مسارات ارتحالهما التاريخية. ولو أردنا تحديد أهم ملامح التحديد الإصلاحي الباديسي. فيمكن إجمالها في النقاط التالية:

1. الإسلام قاعدة أساسية في مفهوم الإصلاح عند عبد الحميد بن باديس:

لقد أدرك العلامة عبد الحميد بن باديس أن مفهوم الإصلاح الذي يُعدّ حركة إيجابية واعية وشاملة لا يتأتى إلا عن طريق التمسك بمبادئ الدين الإسلامي، فالإسلام هو أساس كل إصلاح يقول: " لا مجال لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المتنوع الذي ندوقه ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن إلى عمله وهديه وبناء العقائد والأحكام

¹ - سورة النساء، الآية 141.

والآداب عليه"¹. لذلك كان من الضروري تأسيس جمعية علماء المسلمين 1931م التي كان شعارها الإسلام، العروبة، القومية، فحارب رجاله جميع أنواع الخرافات وأساليب الشعوذة والسحر، وبالتالي تطهير الفكر الإسلامي وإخراجه المخرج الخالص بواسطة الوعي بالدين الإسلامي ونشر التربية الإسلامية. فكان الجهاد العلمي والتربوي لهذه الجمعية مسجداً في خطابات الإصلاح للإمام ورفقائه.

2. القاعدة الثانية: العربية لغة رسمية للشعب الجزائري:

ظهرت هذه القاعدة في الفكر الإصلاحية الباديسي كرتة فعل على مرسوم شوتان الذي صدر في 08 مارس 1938م، والذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية بالنسبة لجميع سكان الجزائر. ولم يكن ابن باديس غافلاً عن أهداف فرنسا الاستعمارية والمهادنة إلى نحو الهوية العربية باعتراف الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مئة سنة على احتلال الجزائر" إننا لن ننتصر على الجزائريين، ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم"². فرد العلامة ابن باديس بوضع مخطط إصلاحية عمل على إتقان اللغة العربية للناشئة والمتعلمين يقول: "إن اللسان العربي العزيز الذي عذب الدين، وخدم العلم، وخدم الإنسان هو الذي نتحدث عن محاسنه منذ زمان، ونعمل على إحيائه منذ سنين، فيحقق الله أمانينا"³.

3. الجزائر وطن لكل الجزائريين:

حاول ابن باديس في خطباته جعل الجزائر موطن لكل جزائري بغض النظر عن المناطق التي ينتمي إليها وذلك بالقضاء على الجهوية والتمييز، يقول: "أما الجزائر، فهي وطني الذي يربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص.. وأنا أشعر أن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة.. ليس ما ندعو إليه ونسير على مبادئه من الإصلاح، بالأمر الذي يخص المسلم الجزائري ولا يتنفع به سواه، كلاً، فإن صحة

¹ - عبد الحميد بن باديس، النيهات، ج2، م08، عدد فبراير، ص75.

² - العالم جلال، قادة العرب يقولون، دمروا الإسلام، أهدوا أهلنا، دار ابن تيمية، البيضاء، الجزائر، 1974، ص 33.

³ - عبد الحميد بن باديس، جريدة البصائر، ع 171، ص4، قسنطينة، 1939، ص05.

العقيدة واستنارة الفكر، وطهارة النفس، وكمال الخلق، واستقامة العمل وهذا هو الإصلاح كله، مما يشترك في الانتفاع به جميع المسلمين، بل جميع بني الإنسان وإنما نذكر المسلم الجزائري لإشعاره بوجوده، فيعمل لإسلامه وجزائريته فيكون ذا قيمة ومنزلة في المجموع¹.

4. الاهتمام بالتعليم وإصلاحه:

شكّل التعليم وإصلاحه الهاجس الأول للإمام عبد الحميد بن باديس، وزعماء الإصلاح من جمعية العلماء المسلمين فالحلّ الوحيد للشعب الجزائري للتخلص من الاستعمار هو محاربة الجهل، ونشر العلم في عامة الشعب، فاعتمد آليات تعليمية مبنية على الخطوات التالية:

• محاربة البدع والخرافات.

• الاعتماد التعليم المسجدي الإرشادي.

حيث ركّز ابن باديس على دور المساجد في ضرورة إقامة الصلاة والشعائر الدينية، وفتح أبوابه لمجالات التعليم، فأنشئت دور الطلبة ومعاهد التخرج التي سُميت باسمه بتسنطينة وغيرها. ففي مؤتمر المعلمين الأحرار شجّع ابن باديس تعليم المرأة المسلمة. كما طرح إشكاليات التعليم بصفة عامة كمن يتعلّم؟ ومن يُعلّم وكيف تجري العمليّة التعليمية؟ وما هي الإستراتيجية والأساليب التي يستعملها المدرس؟ ومتى تُقدّم المادة التعليمية؟ وأين يتعلّم المدارس اللغة؟

5. الاهتمام بالصحافة:

عدّ عبد الحميد بن باديس الصحافة آليّة من آليات توعية الشعوب والنهوض بها، لذلك قيل: " الجرائد مدارس متجولة ليست محصورة بين جدران، ولا يختص بها مكان دون مكان، وهي أوسع دائرة للإرشاد من كل دوائر التعليم، تهدّب العامة، وترتّب أفكار الخاصة، وتنهض المهتم القاعدة وتصلح الألسن الفاسدة وتقرّب الأمم المتباعدة، وهي سجلّ الأخبار ووعاء التاريخ وتقويم الزمن"². تتسم الجرائد والصحف التي اهتمّ بها

¹ - م، د.

² - أبو اليقظان، الصحافة الأهلية في القطر الجزائري، جريدة الأمة، ع 106، ص 3، اجرائد 19/01/1937، ص 03.

الإمام عبد الحميد ابن باديس بالطابع الإصلاحية، فظهرت جريدة النجاح 1919م، وجريدة المنتقد التي تتناول شؤون المجتمع بالتقدم من خلال الإشارة على الجوانب السلبية في المجتمع، والدعوة إلى معالجة الخلل بالتقويم والإصلاح. ثم ظهرت مجلة الشهاب التي كان شعارها الحق والعدل والمساواة، وبالتالي تحوّلت الصحافة إلى منبر حرّ لتبادل الآراء والأفكار.

ومحصول الحديث، فرؤية الإمام عبد الحميد بن باديس رؤية إصلاحية واعية انطلقت من الماضي وامتدت إلى المستقبل نظرة ثابتة تقوم على مواجهة الاستعمار وإعداد الأجيال لهذا الخطر. صلاح الإمام: " هذه مبادئنا هي مبادئ الصحافة الحرة التي هي قوة لا غنى لأي أمة عنها، ولا رقي لأمة ناهضة بدونها."

فهو المصلح الشاعر الوطني القومي صاحب الأبيات الشعرية:

المجد لله ثم المجد للعرب	من أنجبوا لبني الإنسان خيرني
ونشروا ملة من الناس عادلة	لا ظلم فيها على دين ولا نسب
وبذلوا العلم مجانا لطالبه	فإن رغباه ذو فقر وذو نسب
وحرّروا العقل من جهل ومن هم	وحرّروا الدين من غشّ ومن كذب

الوعظ والإرشاد في خطاب الشيخ العربي التبسي:

1. تمهيد:

في مطلع سنة 1931م وبالضبط يوم 05 ماي 1931 سطعت إلى النور جمعية علماء المسلمين، وقد أُنخب عبد الحميد بن باديس رئيساً لها، انضمت تحت لوائها مجموعة من خيرة العلماء الجزائريين أمثال: مبارك الميلي، والعربي التبسي، الطيب العقبي، وإبراهيم بيوض، محمد خير الدين، وآخرون، وكان شعار الذي وضعه ابن باديس للجمعية هو « القرآن إماننا، والسنة سبيلنا، والسلف الصالح قودتنا، وخدمة الإسلام والمسلمين وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا». أما الشيخ الإمام البشير الإبراهيمي فذكر: «جمعية العلماء المسلمين جمعية علمية دينية تهادنية، فهي بالصفة الأولى تُعلّم وتدعو إلى العلم، وتُرغّب فيه، وتعمل على تمكينه في النفوس، وهي

بالصفة الثانية تُعَلِّم الدين والعربية، وتدعو إلى مكارم الأخلاق، وتحارب الرذائل الاجتماعية، وتعمل على ترقية فكر المسلم بما استطاعت، وتُرشدته إلى الأخذ بأسباب الحياة الزمنية..»

يُعدّ الشيخ العربي التبسي من المؤسسين الأوائل لجمعية العلماء المسلمين؛ حيث تميّز بقوة الشخصية وصلابتها وبالشجاعة في إبداء آرائه التي "يكون مقتنعا بها، والدفاع عنها والثبات عليها مهما كانت الظروف"¹. كما يُعدّ أحد أعمدة الإصلاح في الجزائر، وُلد سنة 1895م في ولاية تبسة، حفظ القرآن في قريته، ثم انتقل إلى تونس لتلقي العلم في زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز، وفي عام 1913م التحق بجامعة الزيتونة ليستكمل دراسته الثانوية، حيث نال شهادة الأهلية في تونس، فضلًا الانتقال إلى القاهرة عام 1920م، حيث التحق بجامعة الأزهر الشريف، فتأثر بالجو الفكري والثقافي والسياسي في مصر؛ حيث أطلع على مكتباتها الزاهرة، وفي عام 1927م عاد إلى الجزائر وأخذ من مسجد الشيخ سعيد مركزًا له. التفّ حوله الكثير من الرجال، مُنغ من تقدم الدروس في المسجد الكبير بسبب تدخل السلطات الفرنسية. في عام 1932م ساعد على إنشاء جمعية تهذيب البنين والبنات. هذه الجمعية تمكنت من تأسيس مدرسة كبيرة بلغ عدد تلاميذها 500 تلميذ وتلميذة.

قال الإمام عبد الحميد بن باديس:

" الأستاذ العربي بن الزيتونة والأزهر، مشارك مشاركة قوية في علوم الشريعة والأدب، ذكي الفؤاد، صحيح الفكر والعلم، فصيح اللسان، محجاج قوي الحجة، حلو العبارة، شديد الحب لدينه ووطنه، شديد في الدفاع عنهما، هذا الأستاذ نعمة من نعم الله على تبسة"² وقال فيه الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي:

" الأستاذ الجليل الشيخ العربي التبسي عالم القطر ومفتيه وداعي الرشد ومؤتبه، وهو يمتاز بشعور حاد ملتهب، واهتمام عام بشؤون المسلمين وحالتهم الخائرة"³.

¹ - سليمة كير، الشيخ عبد الجعيد بن باديس باعث النهضة العربية الإسلامية في الجزائر، المكتبة الخضراء، الجزائر، صص 24، 25.

² - عبد الحميد بن باديس، مجلة الشهاب، ج 10، م 05، نوفمبر 1929، ص 531.

³ - أحمد طالب البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ج 02، ص 387.

2. الوعظ والإرشاد في خطاب الشيخ العربي التبسي:

اعتمد خطاب الشيخ العربي التبسي على دعائم الإسلام وتعاليمه نلمح ذلك في العديد من خطاباته الداعية إلى ضرورة التمسك بالعتيدة والإيمان. وللوقوف عند هذه الأهداف ارتأينا اختيار نموذج من خطبه الإصلاحية الهادفة المعتمدة على أسلوب الوعظ والإرشاد لإرسال الأفكار للشعب الجزائري بشيخ طرق الإقناع.

قال الشيخ العربي التبسي في خطبة عنوانها بـ: «موعظ ليلي رمضان»: " وحدثت جمعية العلماء يوم وجدت لتذكّر المسلمين بما في دينهم من خير وتقوى، ولتعلّم الجاهل، بما في دينهم من خير وتقوى، ولتعلّم الجاهل بما فرض الله عليه من واجبات وآداب وأخلاق، تُهدّب نفسه، وتُهديه للتي هي أقوم، وتُرغّب المتكاسل، وتُحبّب الإيمان إلى النفوس، وتُكره الفسوق والعصيان إليها.

وقد قامت جمعية العلماء في ذلك بما في استطاعتها، تعتنم القرص وتتنسب الظروف المناسبة في حضر رحاها وأسفارهم، وعودت نفسها أن تفرّغ في شهر رمضان من جميع أشغالها الكثيرة، وتُجدّ المربين من أفراد جمعيتها، وتبعث بهم إلى مراكزها القريبة والبعيدة، لتعمر ليالي رمضان بدروس الوعظ والإرشاد، مستعينة بما في رمضان من خصائص وفضائل امتاز بها بين شهور السنة، إذ هو الشهر الذي تغلّب فيه الحسنات على السيئات وتكثر فيه الطاعات، وتقلّ فيه المعاصي.

يقوم علماء الجمعية بهذه الدعوة الصالحة ليتمكنوا في نفوس المسلمين ما ينبغي تمكنه ما منها من علم نافع، وعمل صالح، وإخوة صادقة، واستقامة دينية، واجتماعية، يغفر بها الله هفوات الماضي، وتعود إلى مرضي الله فيما يستقبل. وقد أعان الله الجمعية على قصدها الديني، فضع الله بهذه الدروس جماعات لا تُحصى، وأحياها نفوس كانت ميتة، ونشر بها الصالحات، وأيقظ الأمة: إلى الاشتغال بكثير من منافعها العامة، فكم من مدرسة أنشأت بتأثير إحياء ليالي رمضان، وكم من نفوس خالية اهتدت، وكم من مفسدة اجتماعية اجتنّت من نفوس أصحابها، ببركة حلقات ودروس رمضان، وكم من سيئات أرتكبت على أنها أعمال دينية واجتماعية وأخلاقية وقومية، ثابت منها الجماعات والأفراد. فشهد رمضان، موسم التوبة، وموعد الخير، وميقات الاستكثار من

طاعات الله، تُفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتُقيّد فيه شياطين الإنس والجن عن إضلال العباد، تمتلئ فيه المساجد بالعباد والمصلين، وتقفل فيه الخمارات ومساكن الذين ظلموا أنفسهم بشيء من المعاصي الفردية والاجتماعية، شهر رمضان جدير بجمعية دينية تهذيبية، أن تحتنم لياليه، وأيامه، وتدعو إلى الله، وتدلّ عياده على ما يصلح معاشهم ومعادهم بما في استطاعتها من علم وهدى، وجدير بالمسلمين أن يتاجروا فيه مع الله بالتكثير من العلم والعمل الصالح، وبالتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر والرحمة، وأن يتذكروا أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن بهدایتهم وحياتهم ليحتصموا ذلك الكتاب الذي ضمن للذين آمنوا وعملوا الصالحات العزّ في الدنيا والكرامة في الآخرة، إنّ الله لا يُخلف الميعاد، فهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وهو الذي صدق عبده ونصر جنده، وهزم الأحزاب وحده.

كم يحسن بنا أن نتأثر بشهر نزل فيه القرآن فتتوب فيه، ونعود إلى العمل بالكتاب والسنة ليفي لنا وعده، ويتم لنا ما أتم لسلفنا الصالح، الذي جمع بين عقائد الدين، وأعماله وأقواله، أولئك الذين استوت ظواهرهم مع بواطنهم، أولئك الذين ظهر إسلامهم أينما كانوا، فهم في المساجد والمنازل، والأسواق، في المنشط والمكروه، في العسر واليسر، في الإقامة والسفر، تفوح روائح إسلامهم من أعطافهم لا يختلف إسلامهم مع أحوالهم وأطوارهم.

هذا شهر رمضان أيها المسلمون، جددوا فيه إيمانكم وإسلامكم، وعاهدوا الله فيه على أن تستقبلوا حياة أخرى غير حياتكم الذليلة الفاجرة، وتستبدلوها بحياة أخرى يرضاها الله لكم، وتشرفوا في هذه الملة ومن اتبعها. فيا أيها العلماء، أدّوا الأمانة وانشروا فيه ميراثكم من نبيكم، الميراث العلمي والخلقي. ويا أيها المسلمون استمعوا لما يقوله لكم علماءكم الصادقون مع الله ومعكم، وكانوا جميعا من الذي بشرهم الله بقوله: ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ﴾.

ولا يفوتني أن أوصي كلا من الوعاظ ورجال الإصلاح في مراكز الوعظ، بأن على كل منهم نصيباً من القيام بالمهمة، فعلى الوُعَاظ اختيار المواعظ، وعلى رؤساء الشعب ورجال الإصلاح استقبال الوُعَاظ بما يشرح صدورهم الوعظ¹.

يعتمد هذا الخطاب على قاعدة متينة أساسها الإصلاح الديني الذي وبالضرورة يتبعه إصلاح اجتماعي وثقافي، فالإصلاح بمفهومه الواسع يُعدّ تحدياً حقيقياً واجهه وسيواجهه العالم الإسلامي، خاصة مع بداية القرن التاسع عشر، أين وجد المسلمون أنفسهم في مواجهة مع الحضارة الغربية، فقرّر الخطاب الإصلاحية العربي، وخاصة الجزائري.

مواجهة هذا المدّ الاستعماري بتحمّل المهام والمسؤوليات، فمسؤولية المثقف تتلخّص في المقاومة بالفكر والفن والأدب. أمّا في خطاب الإمام الشيخ العربي التبسي فتنبصّ عملية الإصلاح في أمور العقيدة وتطهيرها من الانحرافات والبدع مع التركيز على الأمراض الاجتماعية المنتشرة آنذاك..

تعدّ هذه الخطبة الإصلاحية الوعظية الإرشادية نموذجاً من نماذج كثيرة خطب قدّمها الإمام في العديد من المناسبات الوطنية والدينية. فرأى في حلول شهر رمضان ولياليه المباركة مناسبة دينية لبداية العمل الإصلاحية لعلماء الجمعية، الذين سَطّروا برنامجاً خاصاً ليتمكّنوا من نفوس المسلمين.

يعمل ذلك البرنامج على النقاط التالية:

- ✓ نشر العلم النافع.
- ✓ الدعوة إلى العمل الصالح.
- ✓ الدعوة إلى الإخوة الصادقة.
- ✓ استقامة الدين.

يُحاول المنجز الإصلاحية للإمام الشيخ العربي التبسي استغلال المناسبات الدينية كشهر رمضان مثلاً لتوعية الشعب الجزائري بمخاطر الاستعمار الفرنسي. لمواجهة

¹ - أحمد الرفاعي الشرقي، الأعمال الكاملة لشيخ العربي التبسي، دار اليمن للنشر والتوزيع والإعلام، قسنطينة، الجزائر،

شروع النفس التي سلكت الطريق الخاطيء، ويرى الشيخ العربي التبسي أن مهمة المصلح الأساسية تتجسد في توجيه الناس أولاً إلى الدين الإسلامي وفهم تعاليمه الصحيحة يقول في معرض هذا الطرح: «أيها الإخوان إن من يُنكر علينا إرشاد أمتنا وتعليم أبنائنا لغتهم ودينهم وعوائدهم الإسلامية فقد أراد بهذا المنع في نفس الأمر ومنطق القول أن نترك ديننا يضيع وأمتنا جاهلة وأخلاقنا فاسدة، وإنا لا يمكن أن نترك ديننا وعلومه مادام الإسلام في عروقتنا».

إذن، يمكن تلخيص المنهج الإصلاحي للشيخ العربي التبسي في النقاط التالية:

- ✓ ضرورة تنمية مهارة الحفظ، وذلك بتحفيظ القرآن الكريم وترتيله
- ✓ والتحضير على الاهتمام والعمل به.
- ✓ تحفيظ الأحاديث النبوية الشريفة، باستغلال المناسبات الدينية كشهر رمضان.
- ✓ تفسير القرآن الكريم وتلقيه للناشئة.
- ✓ تعلم أصول الدين واللغة من صرف ونحو وبلاغة وأساليب، قصد تمكين الجزائريين من اكتساب اللغة العربية، لمواجهة المد الفرنسي المسيحي.
- ✓ استغلال المناسبات الدينية لإحياء الدين في قلوب الجماهير بكل وسيلة.
- ✓ من القضايا الدينية والفقهية التي اهتم الشيخ العربي التبسي بإحصائها نجد: مسائل الفقه، القياس، مسالك العلل، دلالات الألفاظ الدينية، سد الذرائع، المصالح والمفاسد، تحقيق المناط، السلف والسلفية، الفقيه، طبقات الفقهاء ودرجاتهم.

هذا وقد جمع الإمام الشيخ العربي التبسي بين الفقه والقرآن من جهة وبين الشعر والحكمة من جهة أخرى، فلا يكاد يخلو له مقالا أو بحث، أو دراسة، أو خطبة، أو إعلان إلا تجده مليئا بالاستشهاد من القرآن والسنة فهو مفكر إسلامي موسوعي واسع الاطلاع، صاحب نظرة ثابتة واعية، له نظرة توافقية في مسائل الإصلاح مع باقي رواد جمعية علماء المسلمين.

قراءة تحليلية في بعض مقالات الإمام محمد البشير الإبراهيمي الإصلاحية:

من هو البشير الإبراهيمي؟

وُلد عام 1889م في قرية سيدي عبد الله، من نواحي سطيف التابعة لمدينة قسنطينة آنذاك. تلقى تعليمه على يد والده وعمّه، فحفظ القرآن ودرس بعض المتون في الفقه واللغة. تابع تعليمه في المدينة المنورة وتعرّف على الشيخ ابن باديس عام 1913م، اشتغل بالتدريس، وشارك في تأسيس الجمع العلمي في تعريب الإدارات الحكومية، مما سمح له بلقاء علماء دمشق وأدبائها، غادر البشير الإبراهيمي دمشق عائداً إلى الجزائر عام 1920م، وفي عام 1924م زاره ابن باديس وعرض عليه الانضمام إلى جمعية العلماء المسلمين . اعتلى منصب نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين وأوكلت له مهمة الإصلاح في الغرب. فكوّن المدارس الحرّة التي امتدت إلى مدينة تلمسان. وفي عام 1939م كتب مقالا في جريدة الإصلاح فنفته فرنسا إلى بلدة آفلو الصحراوية. أُنتخب بعد وفاة ابن باديس رئيسا للجمعية وهو لا يزال متفيا حتى 1934م، وفي عام 1947م عادت مجلة البصائر للصدور، وبلغت مقالات الإبراهيمي فيها الذروة العليا في البلاغة ومن الصراحة ما يغيض فرنسا وعملائها، تُوفي رحمه الله يوم الخميس في العشرين من أيار (ماي) عام 1965م، بعد عمر من العطاء والتجربة والعلم.

1. قراءة في مقال: "الإسلام والمسلمون، شجون من الحديث عن الإصلاح

الديني"

يُعدّ محور الإسلام من أبرز المحاور التي ميّزت كتابات جمعية علماء المسلمين. فبالسلوب فني متميّز قدم الإمام البشير الإبراهيمي الإسلام ومدى أهميته كمكوّن أساسي من مكونات الوحدة العربية بقوله "فالأمم الإسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها ما برحت تفاخر أمم الأرض بذلك الدين وهذا اللسان، وإن كان بعضها ضعيف الحظ فيها أو في أحدها، تفاخر بالإسلام لأنه في حقيقته الأصلية يجمع للفضائل الإنسانية، تفاخر باللسان العربي لأنه ترجمان هذا الدين وكتابه المبين، وهو بعد ذلك

مستودع الحكم ولسان الشعر والخيال¹. نلمح من خلال هذه الفقرة تأكيد الإمام على العلاقة القوية بين اللسان الذي يقصد به اللغة العربية والدين الإسلامي، فموطن الإعجاز في القرآن الكريم يكمن في اللغة التبليغية فهي غاية في الدقة، نلمس في مقاله تأثيراً واضحاً بأساليب القرآن الكريم وصيغته، فالمقال استعراض واضح لتسرّس في اللغة، ودقة التعبير في قوله: " فأما اللسان العربي فهو لسان هذا الدين الذي نزل به كتابه، وهو يُعدُّ ترجمانه الحاذق الذي نقل الإسلام وما فيه من عقائد سامية وحكم غالية، وأخلاق عالية، وأسرار جليلة، وآداب قيّمة إلى أمم أجنبية عن لغة هذا الدين، وأخذهم بما أخذت السحر بكيفية تريهم أنّ الدين هو اللغة وأنّ اللغة هي الدين فينما هما دين ولغة إذا هما شيء واحد وإذا تلك النفوس التي كانت بعيدة عن مزاج هذا الدين وعن مزاج لغته تعتقد أنّ معنى العربية جزء من معنى الإسلام، وإذا بهذا الدين وبهذه اللغة يقربان البعيد من تلك الأهواء مؤلفان بين المتنافر من تلك الميول"². كم كان الجزائري في فترة الاستعمار الفرنسي بحاجة إلى هذه الأقوال التي تعيد للذات هويتها، وتنقلها من عوالم الثقافة الفرنسية ومبدأ طمس الهوية، إلى ضرورة الرجوع إلى العلم واللغة العربية، " فالعربية هي لسان العروبة الناطق بأبجديتها، الناشر لمفاخرها وحكمها، فكل مدّع للعروبة فشا هذه لسانه. فجمعية العلماء هي التي حققت للجزائري نسبة العربي الصريح، بريثاً من شوائب الإقراق والمُحنّة، وأحيت في نفسه شعور الاعتزاز بنفسه، وفي لسانه شعور الكرامة للغته، وفي ضميره شعور الارتباط بين المقومات الثلاثة: الجنس واللغة والوطن"³. كما يُقرّ الإمام البشير الإبراهيمي أنّ جمعية علماء المسلمين هي التي أثبتت للاستعمار أنّ الدماء البربرية التي مازحت الدم العربي أصبحت عربية بحكم الإسلام"⁴، فالعالم العربي بهذه العروبة المكيّنة

¹ - أحمد طائب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص

² - المرجع نفسه، ص 109.

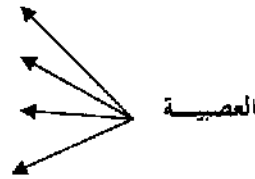
³ - المرجع نفسه، ص 110.

⁴ - أحمد السقاف، حواظر في العروبة والقومية، مجلة العربي، العدد 493، ديسمبر 1999، ص 25.

كالجسد الواحد إذا ألمّ بجزء من أجزائه حادث، أو نزلت به مصيبة، تداعت له سائر الأجزاء بالنصرة والغوث.

كما تعرض البشير الإبراهيمي في محور التربية الإسلامية والنقائص البشرية، إلى عدّة أمراض كثيرة يتعرّض لها المجتمع الجزائري المسلم كالتفاليد والوهم، والاسترقاق والعصية يقول "إنّ العصية لأصل البلاء كلّهُ، فنشأت فيهم العصية إلى الجنس وإن لم يعمر من التاريخ صفحة، والعصية إلى الرأي وإن لم تتعلق به من السداد نفحة، والعصية للآباء وإن لم يكن في الصالحات أثر، والتعصب للأشياخ حتى فيما زاغ فيه الفكر وعثر"¹. حدد الإمام أنواع العصية في:

- العصية للجنس (لا فرق بين عربي وعجمي).
- العصية إلى الرأي (مجالات الفكر والفقّه...).
- العصية للآباء.
- العصية للأشياخ .



تعكس مثل هذه الآراء خبرة واسعة، ونظرة ثاقبة بالفكر والإيديولوجيا، بالرغم من محدودية منابع الثقافة التي اعتمدها أعضاء جمعية العلماء المسلمين، فالإمام يركّز على فكرة محاربة هذه الأمراض التي حاول الاستعمار الفرنسي تثبيتها في المجتمع الجزائري، وباقي المجتمعات الأخرى بزرع فكرة أنّ الإسلام يحمل بذور التخلف والانحطاط والاستسلام والخرافات، وللدّ على هذه الحملات يقدّم الإمام منهاجاً استدلالياً يعتمد الحجج والبراهين، فالإسلام سبب تقدّم العمران، وهو محرّر العقل من قيوده العبودية، فالإبراهيمي قرّر اتخاذ هذه السبل قواعد للإصلاح" فليتخذها بُناة الإصلاح قاعدة يُقيمون عليها هيكل الإصلاح"².

2. قراءة في مقال: يوم الجزائر

¹ - أحمد طاب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 110.

² - المرجع نفسه، ص 112.

تمتاز مقالات البشير الإبراهيمي باللغة الشعرية والشاعرية التي تعتمد الكلمة السلسة، والميل نحو استعمال مفردات اللغة العربية الفصحى، التي تفيض رونقا وجمالية، فأرور ما قاله في الجزائر تلك الكلمة التي ألقاها بمناسبة المؤتمر الإسلامي الجزائري في مدينة قسنطينة، وردت هذه الكلمة في شكل بيان مطوّل حمل من الترحيب للوافدين إلى الجزائر ما حمل من عبارات تكتسب قوتها وجزالتها في ترابطها مع بقية العناصر الأخرى، يقول "من الوفود؟ تتراعى بهم قطر جديد من كل فجّ سحيق؛ وتتهادى بهم السيارات، من مختلف النواحي والجهات، تهوى أفئدتهم إلى مدينة الجزائر، ولو كان وراء البحر مطلب لخاضوا البحر إليه، أو كان في أعماقه مأرب لخاضوا في لجّه عليه؟ من الوفود؟ يعلوا وجوههم السرور والابتهاج، وتلوح على قسماقم أمارات الفرح والسرور، وتُرسَم على أساريهم سمات الطرب والارتياح، لم يزدادوا على النصب إلا نشاطا، ولم يورثهم اللغوب إلا عزمًا ومُضادا، لم يعقهم شغل، ولم تشبّطهم حاجة، ولم يتبهم بعد مشقّة"⁽¹⁾. تحدد هذه المقدمة الاستهلاكية التي تلفت الانتباه عند قراءتها إلى الفئات المشاركة في المؤتمر، فلم يرد ذكرهم مباشرة، بل ورد في شكل استفهام غير حقيقي مثل:

✓ مَنْ الوفود؟

✓ مَنْ العلماء؟

✓ مَنْ النواب؟

✓ مَنْ الشبان؟

فحملت هذه الاستفهامات شعرية الكلمة ودقة مراميها، حيث تكتسب اللغة قسطا من شعريتها من خلال توظيف الأسلوب الإنشائي لاسيما الاستفهام، إذ يطرح عليها جانبا حيويا ويصعد من إمكاناتها الجمالية، فالاستفهام يجسّد التجربة الإنسانية ويمتخ من عمقها الفلسفي، ويقف بالقارئ على حافة الذهول والانهيار، لاسيما وهو يتوجّه إليه بأسئلة لا تتطلب إجابة معينة، وإنما تتطلب مشاركته الوجدانية في تجربة عليه قدر المستطاع أن يعيشها ويتفاعل معها، فيغدو جزءا منها.

فالإبراهيمي بهذه الأساليب اللغوية يحاول جذب الشباب الوافد إليه، وسماع نصائحه القيّمة، يقول: "مهلا فلذات الأكباد وثمرات الأفتدة، وتزوّدوها نصيحة خالصة مخصتها التجربة ومخصها الاختبار، قد مضى أمسكم بخيره وشره، وسينطوي يومكم هذا على غره، وإنما أنتم أبناء الغد والغد محجوب، فتدرّعوا له بالأخلاق الفاضلة، تمكّنوا أزمته واتقوا مذمته، وإنما أنتم موكلون إلى العمل والعمل محسوب، فأعيدكم أن يقول التاريخ عنكم ما قال عنا وإنما أنتم أبناء العروبة والإسلام فكونوا للعروبة والإسلام"¹. تعمل اللغة العربية عملها في مثل هذه المقاطع الثرية، فهي تتمتع بالقوة والجزالة، وأبرز تمثيل لها التناص القرآني. فمقالات البشير الإبراهيمي وخاصة النصيحة السابقة الذكر، تدكرنا بوضايا لقمان لابنه، فيقع الإمام موقع المتطّلع لقضايا الشباب ومشاكلهم، "فكما لكلّ جيل مشاكله التي تنجم من نوع حياته، فلكل جيل مُصلحوه الذين يتناسبون وزمانه، فلا بدّ أن يكون المصلح عارفاً لأمته، مُطلعا على خفاياها، واقفا على أسرار نفسيتها، خبيراً بطرق توجيهها، يعرف كيف يخاطبها بلغتها، وكيف يمتلك زمامها، كيف يكون موضع تقريرها وإجلالها"². فالإبراهيمي عرف كيف يكسب ثقة الشباب بالتركيز على نقاط قوتهم، "فيحطّئ من يعتقد أن العروبة وقف على العرب المنحدرين من عدنان وقحطان وغسان، فالعربي ذلك الإنسان الذي اتخذ اللغة العربية لغة له، واعتز بالثقافة العربية، وأخلص لها، واندمج في مجتمعات العربية سواء أكان في الأساس من أصول عربية أو لم يكن"³. فالتومية العربية عاطفة، لا تعني غير التضامن مأخوذة من القوم، والقوم أهل الإنسان وعشيرته وبنو أمته، وقد "ألهب طغيان الاستعمار الشعور القومي لدى العرب، ودفعهم نحو الثورة، وكان لثورة عبد الكريم الخطابي في المغرب، وثورة عمر المختار في ليبيا أثر كبير في إيقاظ ذلك الشعور في مشرق الوطن الكبير ومغرب"⁴.

3. قراءة في مقال الأمية:

¹ - المرجع نفسه، ص 244.

² - أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1989، ص 349.

³ - أحمد السقايف، حواطر في العروبة والقومية، ص 24.

⁴ - المرجع نفسه، ص 25.

هذا المقال عبارة عن تقرير حول الأمية، أُلقي في مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي أُنْعِد بنادي الترقّي بالعاصمة في سبتمبر 1935، يقدم الإبراهيمي بأسلوب المتوسر في اللغة العربية قضية هامة وحساسة ألا وهي ضرورة إتيان سبل المجد والعلم ومحاربة الأمية والجهل، يقول "أيها الإخوان: نحن نريد من الكمال المكتسب الذي في مُكنة الإنسان الوصول إليه بالتعمّل والتهمّم والمزاولة، ولسنا نعني الكمال الخُلقي التكويني الذي لا بد للمخلوق فيه، ذلك الكمال الذي يتفاوت فيه العاملون حتى يكونوا كما قال الشاعر:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا إلى المجد حتى عُد ألف بواحد

ويغوص الإبراهيمي في شرح هذه المعضلة فيعرفها كالآتي: الأمية بمعناها اللغوي العربي هي " الجهل بالقراءة والكتابة، مرض فتاك، ونقيصة محتاجة، ورذيلة فاضحة، وشلل وزمانة في جسم الأمة التي تتلى بها لا تفسو الأمية في أمة إلا أفقدتها معظم خصائص الحياة"¹. لقد درس علماء جمعية المسلمين كل القضايا التي تسبّب في تخلف المجتمع الجزائري، وعرفوا كيفية تشخيصها، فالإمام مثلاً يعتمد على أساليب التشبيه لتقريب الصورة أكثر لمن تصله هذه الرسالة، فيشبه الأمي بالطائر الذي يعيش في قفص من أميته " وهو كالتائر قُصّ جناحاه فلا يُغنيه مع ذلك أن يكون اسمه طائر"². طبعاً لم يقف الإبراهيمي وغيره من علماء هذه الجمعية المباركة عند طرح المشاكل والقضايا، بل راحوا يجهدون ويكدّون للبحث عن علاجها الفعّال، فالأمية ظاهرة رُسخت التأخّر والانحطاط، وشجعت المستعمر على نشر فكرة التنصير، فتقدم اخضارات واجتماعات القديمة وتخلّفها كان سببه درجات العلم والمعرفة التي كانت تمتلكها تلك الشعوب، وتغنّى الإمام الإبراهيمي بدور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ورائدها عبد الحميد بن باديس، فهي أول هيئة علمية دعت لمحاربة هذه الظاهرة كتعليم الصغار مبادئ القراءة والكتابة من الصغر، ثم تعميمه قدر المستطاع بإقامة النوادي. وفي معرض حديثنا عن الإصلاح التربوي، بذل الشيخ العربي النسي

¹ - نوال بومعرة، طالب الإبراهيمي، نثر الإمام محمد الشنفر الإبراهيمي، ص 202.

² - المرجع نفسه، ص 203.

بجهودات مضيئة في سبيل إرساء مبادئ العلم ومحاربة الجهل فكان المسجد فضاء لنشر هذه القيم، ومنيرا تنطلق منه الخطب والدعاوى المحاربة للجهل، حيث أسس العربي التبسي نادي الشباب المسلمين يجتمع فيه الأهالي، وتتم فيه عملية التعليم والإرشاد، وفي هذا السياق قال الشاعر إبراهيم مزهودي مهاجما الجهل وداعيا للعلم والتعلم:

يا فتية التادي السعيد تحية	من نازح قاص عن الأوطان
جم الأسي ما بين شوق لاعج	متواصل الأنسات والأشجان
أر بين تذكّار ممض مزعج	يا شدّ ما قد جّح في الطفيان
يتملق الزمن الضنين سوية	بل لحظة تُقضى مع الأخدان
جمعية الشبب أهلا مرحبا	أفديك يا جمعية الشبان

إذن ومن خلال هذه الإطالة الموجزة على بعض مقالات الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، نقف وقفة اعتزاز وإكبار لهؤلاء العلماء الذين بذلوا جهدا مضنيا في سبيل تحقيق الحرية، وتثبيت الدين الإسلامي والهوية العربية. ماذا عسانا أن نقول وقد زرع المصلحون من سلفنا فحصدنا، فليزرع من يأتي بعدهم ليحصدوا تطورا وازدهارا.



فكر المهربي والمصلح العربي التبسي من خلال مقال "هذه جريدة السنة يا أهل السنة"

الكتورة : سعاد بيطاط

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وإن أصدق الحديث
كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾¹
أما بعد فهذه ترجمة موجزة للسيرة العلمية والعملية للشيخ المصلح تبين ما يحمل
صاحبها من علم وفكر.

ترجمة الشيخ:

ولد العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات التبسي بناحية (اسطح) قرب مدينة
تيسة سنة 1308 هـ / 1891م. حفظ القرآن خلال ثلاث سنوات بداية من سنة
1320 هـ / 1903م. ثم انتقل إلى زاوية مصطفى بن عزوز جنوب غرب تونس في
سنة 1327 هـ / 1910م وفيها أتمن رسم القرآن وتجويده وأخذ مبادئ النحو
والصرف والفقه والتوحيد، التحق بعدها بجامعة الزيتونة سنة 1331 هـ / 1914م
فنال منه شهادة الأهلية ثم انتقل إلى الأزهر بالقاهرة سنة 1340 هـ / 1921م ثم عاد
إلى جامع الزيتونة وحصل على شهادة التطويع (العالمية).

¹ - الأحراب/70، 71.

رجع إلى الجزائر سنة 1347 هـ / 1927م فاشتغل بالتعليم العربي الإسلامي في تبسة وغيرها من المدن وشارك في حركة الإصلاح التي قادها الشيخ عبد الحميد بن باديس بكتابة المقالات وإلقاء الدروس. لإنقاذ هذا الشعب من الجهل وذل الاستعمار. اختير كاتبا عاما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1355 هـ / 1935م. ثم نائبا لرئيسها الجديد الشيخ البشير الإبراهيمي سنة 1360 هـ / 1940م. وفي سنة 1371 هـ / 1952م تولى الشيخ التبسي رئاسة الجمعية إلى أن توقف نشاطها. و سجن الاحتلال الفرنسي الشيخ عدة مرات لمواقفه الصريحة ضد الاستعمار، وفي 4 رمضان 1376 هـ 4 أبريل 1957م حطفه الفرنسيون واقتالوه. رحمه الله رحمة واسعة¹.

جمع الدكتور أحمد الرفاعي الشرفي مجموعة مقالاته في طبعين، الأولى تحت عنوان "مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر" نشرت في جزئين أحدهما طبع سنة 1402 هـ والآخر سنة 1404 هـ، بدار البعث. والثانية بعنوان "الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي" بدار اليمن.

وقد اخترت الحديث عن إحدى مقالاته المعنونة "هذه جريدة (السنة) يا أهل السنة" مساهمة مني في إبراز الفكر الديني الإصلاحى للشيخ، ودفاعه عن السنة والدعوة للتمسك بها، بتحليل محتواها واستخراج أهم أفكارها وإبراز ما يميز به من سمات ومزايا كالاتي:

عرض وتحليل محتوى المقال: (من خلال هذه العناصر)

- توطنة
- هتنة أهل السنة بصدور الجريدة .
- وصف حال زعماء الأمة الإسلامية .
- ابتهاج أهل الحق بجريدة شعارها السنة علما وعملا .

¹ - بدعة الطرائق في الإسلام، محمد شايب شريف، 1 / 2، 3 (بصرف) . ومقدمة الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، أحمد الرفاعي الشرفي، 44 .

- أعداء الجمعية هم أعداء الحق .
- الخاتمة .

الاستنتاجات:

عرض وتحليل محتوى المقال:

نشر هذا المقال في جريدة "السنة" العدد الثاني بتاريخ 17 أبريل 1933 م .
ورثه أحمد الرفاعي الشرفي ضمن القسم الأول؛ أي المقالات التي أهتم الشيخ
فيها بقضايا جزئية محدودة، تحت رقم (20) وجاء المقال في ست صفحات (من
صفحة 171 إلى صفحة 177) .
وبالنسبة للأحاديث التي وردت في المقال؛ فقد تعددت ذكرت نص المتن كاملاً
وأبرزت بخط عريض العبارة التي استشهد بها الشيخ، وخرجتها بالإشارة إلى المرجع
المطابق للفظ وصيغة الحديث .

1. توطئة:

شكر الشيخ الله أن أعان الجمعية على تجاوز الصعاب لإصدار صحيفة "السنة"
لنبل غايتها ألا وهي نشر السنة النبوية.

2. كنهنة أهل السنة بصدور الجريدة:

إن هذه الجريدة بمثابة مدرسة تنقل العلم إلى منازل القراء، وتوافيهم بدروس
أسبوعية، وبهذا توفي الجمعية دين وحب عليها في حق طلاب العلم، والعامه، و
امثالاً لأوامر نبينا ووصيته بالتبليغ عنه، بعد أن تلقى أعضاء الجمعية السنن والآثار
بالفهم وحسن التخريج والشرح .

لحديث عبد الله بن عمرو : أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا
عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»¹ .

¹ - صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم 3274، 3/ 1275 .

ولحديث عبد الله بن مسعود قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع»، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح¹.

ووجه الاستدلال في الحديثين ظاهر من صيغة الأمر الواردة مطلقة قال الشيخ العربي "ومعلوم بالبداهة أن الأمر المستفاد من الحديثين مطلق غير مقيد بأمة ولا بوقت ولا بأرض ولا بحالة دون حالة ولا بوسيلة دون وسيلة".

ويعضد هذا الفهم للسنة القولية ما عنده ﷺ من بعث الرسل للدعوة للإسلام، وكذلك فعل خلفائه من بعده. حتى أن عمر بن عبد العزيز كلف ابن شهاب الزهري بتولي جمع حديث رسول الله ﷺ للعمل به.

فالغاية من إصدار صحيفة "السنة" إحياء السنة ونشرها، وهو واجب على رجال الإسلام الدعوة لدينتهم .

3. وصف حال زعماء الأمة الإسلامية:

إن من الأسباب الرئيسة لتخلف وضعف المسلمين ما غلب على الزعماء والملوك الذين حكموا الشعوب الإسلامية الانشغال بشهواتهم بدل من رعاية مصالح العامة وخدمة الدين، بل مناهضة السنة واضطهاد الدعاة إليها، فانطبق عليهم قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدَفَوْهُ فِيهَا» .

وهو حديث طويل لحذيفة بن اليمان يقول كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ: «نَعَمْ» فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَحْنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَحْنُهُ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُونَ بِغَيْرِ سُنِّيٍّ وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُكْرَهُ». فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدَفَوْهُ فِيهَا». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: «نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ حِدَدِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِالْحَسِينَاتِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ

اللَّهُ فَمَا تَرَىٰ إِنَّ أَدْرَكْنِي ذَلِكَ قَالَ: «تَلَزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». فَقُلْتُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا قَالَ: «فَاعْتَبِرْ! تِلْكَ الْفِرْقَةُ كُلُّهَا وَكَلَّوْا أَنْ تَعْصَىٰ عَلَيَّ أَصْلَابِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَيَّ ذَلِكَ»¹.
 قال: العلماء هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال².

4. ابتهاج أهل الحق بجريدة شعارها السنة وعملها:

إن صحيفة عنوانها "السنة" يعني السير على منهاجها وبيان ما حوته من علوم، وهو ما عاهدت عليه هيئة إدارة الجريدة قراءها. وسيكون دائما شعارها المميز حديثين.
 الأول: عن ابن عباس أوثق عرى الإيمان: "الموالاتة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عز وجل"³. وعن البراء بن عازب «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»⁴

الثاني: حديث العريضي بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنننا وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»⁵ قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

ولكن للحق دائما أعداء، هم أصحاب الشهوات الذين يجارون أهل الحق وأنصاره، وما تعرض له رجال الجمعية من هجوم لهُم اختيار لإيمانهم قال تعالى: ﴿أَلَمْ

¹ - صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب 13 الأمر بِلَزْمِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَتَحْدِيدِ السُّعَاءِ إِلَى الْكُفْرِ، رقم 20/4890,6.

² - شرح النووي على مسلم، 237/12.

³ - تخرجه السيوطي (طب) عن ابن عباس رقم 4304. تحقيق الألباني (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير، 10 / 251/.

⁴ - (صحيح) الإيمان لابن تيمية: 1 / 119.

⁵ - سنن الرملي، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة وانحساب البدعة، رقم 2676، 5 / 44.

أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ»¹. وقد تحملوا بالصر لأهم أحبوا تعلم السنة والعمل بما ليقى الدين محفوظا، وهو ما أحبوه لسائر المؤمنين عملا بحديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»².

5. أعداء الجمعية هم أعداء الحق:

لقد أسس الإمام عبد الحميد بن باديس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م على مبادئ تحملها في عبارة؛ القرآن إمامنا، والسنة سبيلنا، والسلف الصالح قدوتنا، وخدمة الإسلام والمسلمين غايتنا.

و تدرجت الجمعية في تحقيق أهدافها على مراحل منها؛ محاربة الآفات الاجتماعية كشرب الخمر وترك الصلاة، ونشر التعليم الحر؛ للصغار لمعرفة مبادئ الدين واللغة، وللكبار الوعظ والإرشاد، ومحاربة الطريقة، ... حتى يمكن الشعب الجزائري المسلم من العقيدة الواضحة والأخلاق الطيبة والعلم النافع.

فراح يلقي دروس التفسير والخطب ويكتب المقالات، "وأيده في حملته فحول العلماء والمفكرين في الجزائر وتونس والمغرب وكان من أشدها عنفا على الطريقة العلوية وشيخها المتهم بالحلول ووحدة الوجود "أحمد بن عليوة" شيخ الطريقة العلوية في مستغانم، لسوء أديه مع النبي ﷺ وعلى بعض شطحاته الحلوية المناقبة للعقيدة الإسلامية"³.

ولقد انظم بعض الصوفية والمشايخ المتعاونين مع إدارة المستعمر إلى الجمعية ثم خرجوا منها عام 1932م.

فناهضوا جمعية العلماء وعارضوا الإصلاح وعملوا على إفساد صلة العلماء المصلحين بالأمة بإنشاء جمعية مضادة وجريدة "البلاغ" الأسبوعية بإشراف الطريقة

¹ - العنكوت/1، 2.

² - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم 13، 14/1.

³ - خلفيات الجريمة بقلم عبد الحق عباس، موسوعة البحوث والمقالات العنمية (مفهرسة في الشاملة ومرتبة ألف بانيا)،

العلوية لنشر الشرك والبدع والمتكرات. وهم بهذا يعادون السنة والدين والإنسانية. حتى أنهم اجتمعوا واتفقوا أن يعتالوا الشيخ ابن باديس، وأرسلوا من ينفذ هذه الخطة، ولكنه فشل وقبض عليه. وتبين أن للعلويين والطرقية المنحرفة يد في الحوادث فظهرت حياتها و ففقدت شعبيتها¹.

6. خاتمة:

ختم الشيخ المقال بتشجيع الجمعية ودعوة الشعب للإقبال على قراءة الجريدة لنشر الوعي الديني والآداب الإسلامية ورفع الهمة بالعلم والثقافة .

الملاحظات والنتائج:

رغم أن المقال يعني بقضية جزئية إلا أنها تضمنت آراء قيمة نستخرج منها بعض الملاحظات والنتائج.

1. التعريف بالمصطلحات:

اعتنى الشيخ العربي ببيان المفاهيم فنجده يعرف بلفظ السنة باعتبارها محور موضوع مقاله فقال: "سنته تشمل أقواله وأعماله وتقاريره وشأله"².

2. الاستدلال بنصوص من القرآن والسنة:

عضد الشيخ أقواله بأدلة من المصدرين الرئيسيين؛ القرآن والسنة الصحيحة، فاستشهد بثلاث آيات؛ منها قوله تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)³. وستة أحاديث صحيحة بصريح اللفظ مثاله عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه». وأشار إلى السابع، حديث جرير في السؤال عن الإيمان،

¹ - نفسه.

² - الأعمال الكاملة للشيخ العربي النجدي، أحمد الرفاعي الشري، مقال 20، 172.

³ - العنكبوت/45.

ولعله أكثر من نصوص السنة مراعاة لموضوع المقال. وأيضاً شاهداً من السيرة النبوية "أن رسول الله كان يبعث الكتب في الدعوة للإسلام"، وآخر من سيرة الخلفاء الراشدين "وكان خلفاؤه من بعده يبعثون بكتب إلى ولائهم يحثوهم على الدين ويوصوهم بالسنن".

3. الاقتباس من القرآن والسنة:

يظهر بوضوح اعتماد الشيخ العربي على القرآن والسنة ليس استدلالاً فقط بل واقتباساً مثاله: قوله "لا يبيغون عليها جزاء ولا شكورا"، مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطَعْنَكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ لَكُمْ أَجْرًا وَأَلَا تُشْكُرُونَ﴾¹. وقوله أيضاً: "وطبعوا على عبادة الله على حرف"، (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ)².

وقوله "ههنا أن يبقى الدين غصاً طرياً.."، مقتبس من الحديث « من أحب أن يقرأ القرآن غصاً طرياً فليقرأ بقراءة ابن أم عبد»³.

يقول أحمد الرفاعي عن الشيخ العربي "كثير الاعتماد على القرآن والسنة في كتاباته، اقتباساً وتضميناً واستدلالاً...، مما أضفى على كتاباته سمة جيدة تتمثل في جزالة أسلوبه، ووضوح وعمق عرضه للقضايا التي تناولها".

4. النظر في التاريخ وأخذ العبر:

اعتنى الشيخ العربي بالنظر في التاريخ ومناقشة القضايا التي كانت سبباً في تحلف أمته بالوعى والاعتبار لبعث النهضة من جديد في الشعوب الإسلامية ومن ضمنها الشعب الجزائري.

وأيضاً نفده للواقع وربطه للأحداث الصغيرة في السياق العام بما يخدم الحاضر والمستقبل في شجاعة أدبية تتم عن شخصية قوية. يقول عنه الإبراهيمي: والأستاذ

¹ - الإسناد/9.

² - الحج/11.

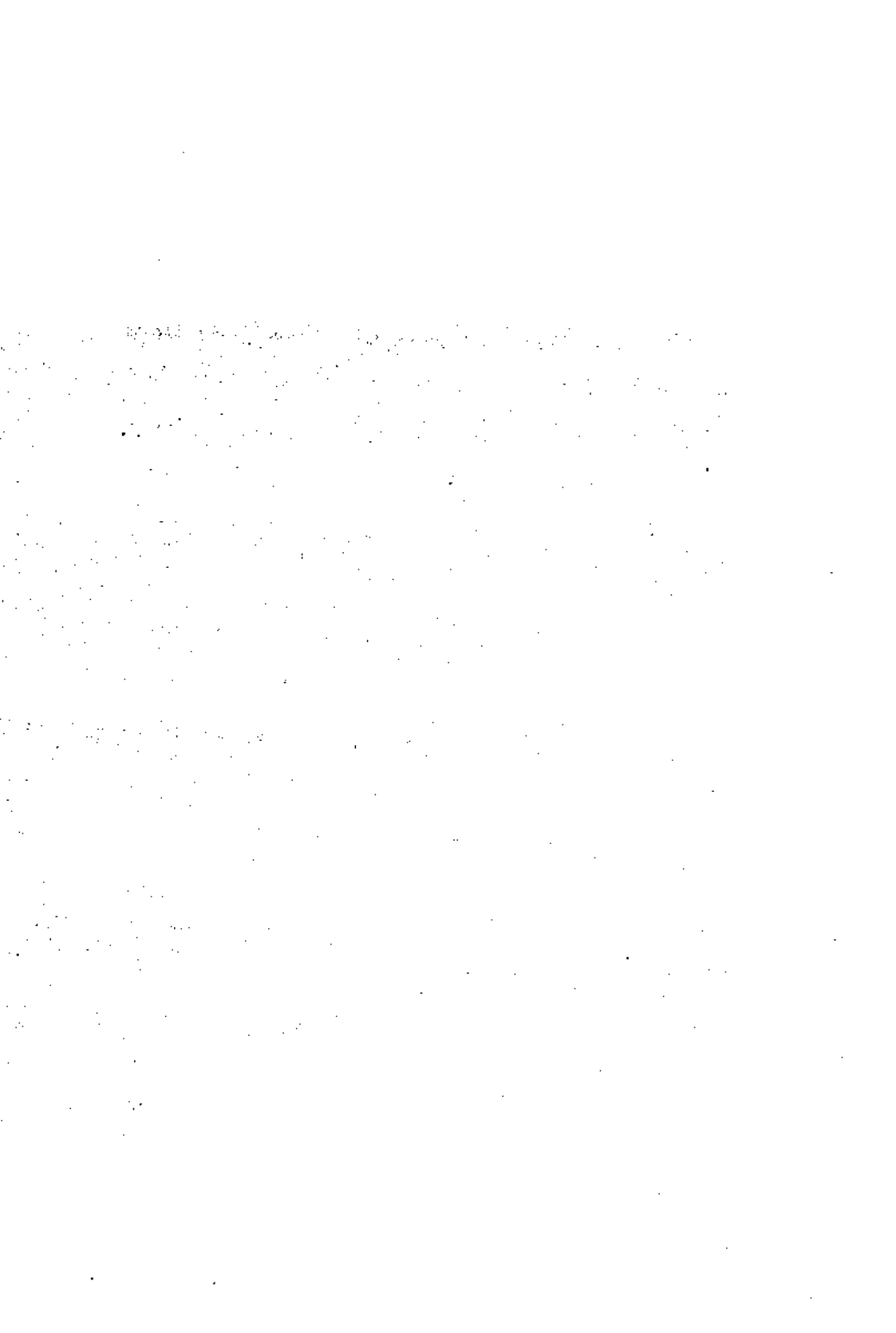
³ - دليل القاصين لطرق رياض الصالحين، رقم 51008، 323/6.

التبسي مدير بارع ومربٍ كامل خرجته الكليتان الزيتونة والأزهر في العلم وخرجه القرآن والسيرة النبوية، فحادت هذه العوامل في رجل يملأ جوامع الدين وبجامع العلم ومحافل الأدب.

وأخيرا نستخلص العبرة من مقالة الشيخ العربي بما يخدم الشعب الجزائري العربي المسلم والأمة المسلمة كافة، أن حاجة المسلمين اليوم ماسة إلى فهم السنن النبوية وفقهها، وحسن العمل بها، حتى يستعيدوا قدرتهم على التغيير والإصلاح.

ويكون ذلك بالقضاء على التفسير (الخرافي) للوقائع والأحداث، ورفع أسباب الخمود والركود، التي عطلت العقول عن الإدراك الصحيح للسنن الشرعية والكونية، والعمل بها فيتحقق صالح الفرد والجماعة. ويتم نشر الدعوة الإسلامية في العصر الحديث.







جهوده في الفتوى

1875

1876

1877

فتاوى الشيخ العلامة العربي التبسي وأثرها في نشء الوعي الوطني ومقاومة الاستعمار الفرنسي

أ.د. كمال لدرج

كلية الشريعة والاقتصاد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

إن ثقل المحمة الاستعمارية على الجزائر كان كبيرا وخطيرا، وجبهاتها التي استهدفتها كانت واسعة ومتعددة، هذه المحمة التي مست كل مجالات الحياة في عمقها الديني والوطني، وهددت كل مقومات الشخصية الوطنية والوجود التاريخي العريق للمجتمع الجزائري الذي انساق وراءه للأسف بعض المثقفين والسياسيين الجزائريين، واعتبرت الجزائر امتدادا جغرافيا لفرنسا.

ونظرا لخطورة السياسة الاستعمارية الحاكمة فقد تطلّب ذلك من المجتمع الجزائري مقاومة مخططاته بكل الوسائل الممكنة العسكرية والسياسية والعلمية والدينية، فقامت الثورات المتتالية والحركة الوطنية بكل اتجاهاتها المختلفة التي أثمرت فيما بعد ثورة نوفمبر الخالدة وكان بطلها الوحيد هو الشعب الجزائري الذي استعاد حريته وانتزع استقلاله.

ولقد كان للعلماء الجزائريين دورهم البارز في مواجهة الاستعمار البغيض الذي هدد الوجود الجزائري في دينه وقيمه ولغته وتاريخه، فراحوا ينشئون المدارس والكتاتيب القرآنية، وينشرون العلم ويعلمون اللغة العربية ويلقون الخطب والمواظع في المناسبات المختلفة، وفي النوادي والمساجد والأماكن العامة.

وكان للفتوى الشرعية دورها المؤثر في تحصين المجتمع الجزائري ومنعه من سياسة الاستدراج التي انتهجها المستعمر للتمكن من الجزائريين في شؤونهم الأسرية وأحوالهم الشخصية ليقضي بعد ذلك على شخصيتهم الوطنية. ومن هؤلاء العلماء البارزين الذين عرفوا بالصلاة في الدين والشجاعة في العمل والقوة بالجهر بكلمة الحق الشيخ العلامة العربي التبسي رحمه الله تعالى. الذي كانت له فتاوى جريئة وقوية كانت لها تأثيرات دينية وسياسية واجتماعية شكلت سدا منيعا ضد مكر المستعمر وخداعه.

أولا : التكوين العلمي للشيخ العربي التبسي.

1 - حفظه للقرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية:

تلقى الشيخ العربي التبسي⁽¹⁾ منذ صغره مبادئ اللغة العربية والقرآن الكريم، وهو عادة غالبية الأسر الجزائرية في تربية أبنائها وتنشئتهم. وذلك ابتداء من سنة 1895م حيث تلقى تعليمه الأول في عشيرته "الجدور" التي حفظ فيها القرآن الكريم على يد والده أولا، ثم على يد عمه عمار ثانيا وهو دون سن العاشرة، الذي لاحظ فيه علامات النجابة والذكاء والنبوغ المبكر والحرص على التعلم فأرسله إلى الشيخ الطيب بن الحفناوي الرشاشي الزواوي في زاوية (أولاد رشاش بالزوّي) بولاية خنشلة ليحفظ على يديه القرآن الكريم فمكث عنده سنتين كاملتين، ليعود بعدها إلى بلدته "اسطح"، وقد حفظه كاملا وسنه تقارب الثالثة عشرة في أواخر سنة 1904م⁽²⁾.

¹ العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات التبسي ولد سنة 1312 هـ الموافق 1895م بقرية "اسطح" النوشية نسبة إلى قبيلة النمامشة الأمازيغية الكبيرة جنوب غرب مدينة "تيسة". عالم مجاهد من الأعضاء البارزين بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأحد رجالاتها الأوفياء. وقد أدركت الإدارة الفرنسية خطورة وجود وبقاء مثل تلك الشخصية العنمية البارزة إلى جانب الثورة، فقررت تصفيته والتخلص منه. حيث احتطف من بيته من قبل المظليين وقيل على يد مجموعة مما تسمى بـ "اليد الحمراء" في الساعة الحادية عشر ليلا من اليوم الرابع من رمضان الموافق لليوم الرابع من شهر أبريل 1957، واغتيل بعد تعذيب وحشي ولم يُعلم قبره إلى اليوم.

² - أحمد الرفاعي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، دار اليمن، قسنطينة، الجزائر، ط سنة 2005م، ص: 45

2 - تلقيه العلوم الشرعية واللغوية:

بزواوية "الحنقة" المعروفة بزواوية "حنقة سيدي ناجي"، أو "بحنقة الليانة" بالقرب من مدينة بسكرة، التي أخذها إليها الشيخ الطيب الرشاشي، ومكث فيها ست سنوات أقتن خلالها القراءات القرآنية، وتعلم أيضا مبادئ العلوم العربية والدينية، وبقي في الزاوية طالبا للعلم إلى نهاية سنة 1909م، ومن الشيوخ الذين تلقى عنهم في زاوية الحنقة: الشيخ سيدي حامد مدرس الفقه والعربية، والشيخ سيدي سالم مدرس القراءات.

وبعد سنة 1909م وتوصية من أساتذته في زاوية الليانة انتقل ليواصل دراسته في زاوية سيدي مصطفى بن عزوز النفطي الجريدي الرحماني سنة 1910م بالجنوب التونسي. وبها حفظ متون العقيدة وعلم الكلام والمنطق وتوسع في علوم اللغة العربية والأدب شعره ونثره وبلاغته والفقه المالكي وعلم الأصول. فدرس على يد كبار علماء الزاوية أمثال الشيخ إبراهيم بن الحداد والشيخ محمد بن أحمد النفراوي والشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ النابعي بن الوادي، وغيرهم. فقتضى الشيخ العربي بزواوية "نقطة" ثلاث سنوات وبضعة شهور ليعود بعدها إلى "دوار اسطح" في صيف سنة 1912م وهو يحمل معه تركيبة من شيوخه في تلك الزاوية للالتحاق بجامعة الزيتونة بتونس، لما رأوا فيه من علامات الفطنة والنباهة والذكاء والاستقامة وحب العلم والإرادة في طلبه⁽¹⁾.

3 - الانتقال إلى جامع الزيتونة:

ابتداء من سنة 1913م التحق العربي بجامع الزيتونة بتوصية من شيوخه النفطيين الجريدين الرحمانيين أواخر سنة 1913م-1332هـ، وانظم إلى طلبته فنال شهادة الأهلية سنة 1915م-1334هـ بعد سنتين من الدراسة والتحصيل، ثم نال شهادة التحصيل سنة 1917م 1336هـ، واستمر في دراسته لينال بعدها شهادة التطويع ثم ترك تونس سنة 1919م-1338هـ بسبب هجرته إلى

1 - أحمد الرفاعي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي النبسي، ص: 45 وما بعدها.

مصر. ومن زملائه الذين درس معهم في تونس الشيخ مبارك المليبي ومحمد السعيد الزاهري السنوسي⁽¹⁾.

4 - انتقاله إلى جامع الأزهر:

انتقل الشيخ العربي من تونس إلى مصر سنة 1919م، وهو على أبواب اجتياز امتحان شهادة التطويح العالية بالجامعة الزيتونية، على متن باخرة تجارية فرنسية قديمة متجهة إلى مصر متخفيا فيها، ونزل في ميناء الإسكندرية، ليس معه شيء ليلتحق بالجامع الأزهر برواق الطلبة المغاربة الذين كانوا يعيشون من أوقاف المسلمين الجزائريين ومن بعض المحسنين المصريين. فأقبل على الدراسة بانتظام وكان ضمن الطلبة المتفوقين². وفي سنة 1927-1345هـ تحصل على شهادة العالمية الكبرى من جامع الأزهر.

هكذا تلقى الشيخ التبسي تكوينه العلمي من ثلاث مدارس: المدرسة الجزائرية والمدرسة الزيتونية والمدرسة الأزهرية هذه المدارس الثلاث التي أثرت في شخصيته العلمية وتكوينه العلمي ليخرج بعد ذلك عالما مجاهدا سخر علمه وقلمه في خدمة أمته وقضية شعبه.

ثانياً : ثناء علماء أجمعين عليه.

مما يدل على قيمة الشيخ التبسي العلمية هو كثرة ثناء العلماء عليه، والمعلوم أن العلماء لا يجاملون ولا يثنون إلا على من يستحق الثناء.

يقول فيه الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس: (الأستاذ العربي بن بلقاسم التبسي، هذا رجل عالم نفاع قصر أوقاته ببلدة تبسة على نشر العلم الصحيح وهدي العباد إلى الدين القويم، فقد عرف قراء الشهاب مكانته بما نشرنا له، وخصوصاً مقالاته

¹ - أحمد الرفاعي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، ص: 49.

² - أحمد الرفاعي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، ص: 50 - أحمد عيسوي، مآثر من شهاب البصائر

للشيخ العربي بن باديس التبسي.

الأخيرة "بدعة الطرائق في الإسلام" ولأول مرة زار هذا الأستاذ قسنطينة فرأينا من فصاحته اللسانية ومحاچته القوية مثل ما عرفناه من قلمه، إلى أدب ولطف وحسن مجلس طابت له المنازل ورافقته السلامة حالاً ومرتحلاً¹.

ويقول فيه الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي: (مدير بارع ومرب كامل، خرجته الكليتان الزيتونة والأزهر في العلم، خرجته القرآن والسيرة النبوية في الدين الصحيح والأخلاق المتينة، وأعانه ذكاؤه وأمعينه على فهم النفوس، وأعانه عفته ونزاهته على التزام الصدق والتصلب في الحق وإن اغضب جميع الناس، وألزمته وطنيته الصداقة بالذوبان في الأمة والانقطاع لخدمتها بأففع الأعمال، وأعانه بيانه وبقينه على نصر الحق بالحجة الناهضة ومقارعة الخجة باخجة ومقارعة الاستعمار في جميع مظاهره، فجاهتنا هذه العوامل مجتمعة منه برجل يملأ جوامع الدين ومجامع العلم ومحافل الأدب ومجالس الجمعيات ونوادي السياسة ومكتب الإدارات ومعاهد التربية)². وقال فيه أيضا العلامة الإبراهيمي: (والأستاذ التبسي عالم عريق النسبة في الإصلاح، بعيد الغور في التفكير، سديد النظر في الحكم على الأشياء، عزوف الهممة عن المظاهر والسفاسف)³.

وقال فيه أيضا: (والأستاذ التبسي كما يعرفه الناس مثل شرود في صحة العلم، وثبات العمل، وفي الإخلاص والجد والصرامة ومثانة الخلق وقرطسة الغرض، وفي الانقطاع لخدمة هذه الأمة التي قل خادموها، وكثر هادموها... وكان الأخ التبسي عاهد الله أن يلقاه مقبلا غير مدير في ميدان الجهاد العلمي، فهو ما اضطراب صحته ومع اضطلاع الأخ خير الدين بما حمل من شؤون المعهد يتعهد المعهد بنفسه، ويشارك برأيه في كل شأن مجيد، وفي كل حادث يلم)⁴.

1 - الشهاب، ج: 10، جلد: 5، ص: 531، نوفمبر 1929.

2 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيم، دار الغرب الإسلامي، ط 1 سنة 1997، بيروت، ج: 2، ص: 218.

3 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيم، ج: 2، ص: 272.

4 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيم، ج: 2، ص: 357.

وقال الشيخ فيه أحمد حماني: (وقد كان عالماً محققاً ومدرساً ناجحاً ومربياً مقتدرًا وكاتباً كبيراً يمتاز بأسلوبه العلمي بالعمق والمتانة ودقة المعلومات، لكنه لم يترك آثاراً كثيرة لاشتغاله طول حياته بالتدريس، وما تركه من آثار يبرهن على مكانته العالية في الكتابة، وكما كان كاتباً كان خطيباً مصقعا، ومعدنا لبقا ومحاورا ماهرا، يمتاز بحضور البديهة والمقدرة على الإقناع القلبي والفكري وحسن البديهة، وله فيها أمثلة رائعة)¹.

ثالثا : مذهب الفقهي ونبذه للتعصب المذهبي.

الشيخ العربي النبسي فقيه مالكي تلقى الفقه المالكي على مشايخ المالكية في عصره في الجزائر وتونس، فتراه يستدل في فتاواه واجتهاداته بأراء علماء المذهب المالكي من المصادر المعتمدة، ويفرغ على أقواهم المسائل والفروع. ولم يكن مقلدا للمذهب المالكي تقليدا ينعلم فيه فكره ورأيه، بل كان ينظر في أقوال المذهب ويوازن بينها ويرجح ويجهتد وفق ما ثبت عنده من الأدلة بما يتناسب مع ظروف بلده ويحافظ به على وحدة وطنه دون الخروج عن أصول مذهبه وقواعده العامة، يقول فيه أحمد توفيق المدني: (فقد كان راوية لمذهب الإمام مالك لا يجاريه في هذا الفن مُجَارٍ مع اطلاع واسع على المذاهب الأخرى دون تعصّب مذهبي، فإذا استفتي في مسألة يذكر أقوال غيرهم وأدلتهم من المذاهب الأخرى دون تعصّب ولا تزمت).

ففي فتوى عن سؤال وجه إليه في حكم أداء صلاة عيد الفطر في اليوم الثاني وردده على من أنكر أداءها، قال: (وللد عليهِ نسوق الحديث من رواية النسائي بسنده إلى ابن عمر أنّ قوماً رأوا الهلال فأتوا النبي ﷺ فأمرهم أن يقطروا بعدما ارتفع النهار وأن يخرجوا إلى العيد من الغد⁽²⁾ وهذا المعنى وهو: أنّ الإفطار في يوم، و الصلاة في يوم

¹ - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج:2، ص:56 و57.

² - ونص الحديث عن عن أبي شمر بن أسير عن عُمومةَ له أن قوماً رأوا الهلال فأتوا النبي ﷺ فأمرهم أن يقطروا بعدما ارتفع النهار وأن يخرجوا إلى العيد من الغد، رواه النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب الخروج إلى العيدين من الغد، رقم: 1557.

نص أكثر الروايات، وظاهر البقية، وكل من أخرج هذا الحديث من أئمة الفقه، أو الحديث إنما أخرجه ليستدل به على جواز الصلاة في اليوم الثاني. وإلى هنا نكون قد بينا قول هذا الزاعم في رواية ابن ماجه أو رواية غيره ممن زاد على غيره في متن الحديث هو ما يقوله العلماء الراسخون من المحدثين و الأصوليين من أن هذه زيادة عدل من غيره، وهي مقبولة بشروطها عند علماء الحديث و الأصول. وقد أخذ بهذا الحديث اللّخمي من المالكية كما نقل ذلك عنه المواق في شرح خليل وأخذ به أيضاً الشيخ محمود خطاب المالكي شارح مجموع الأثر وسنن أبي داوود، وهذا نصه في شرح هذا الحديث: "وفي الحديث دلالة على أنه إذا فات وقت صلاة العيد أول يوم صلّيت في اليوم الثاني قبل الزوال"، ثم ذكر مذاهب الفقهاء في المسألة من وافق الحديث منهم، ومن خالفه، ثم نقل كلام الإمام الخطابي الشافعي، وهذا نصه: "سنّة النبي ﷺ أولى بالإتباع، وحديث أبي عمر صحيح، فالصير إليه واجب". ولعلك أيها القارئ على علم من أن اللّخمي مالكي أكثر من مالكية هذا المفتي الذي رددنا فتواه، وأن اللّخمي ما أخذ بهذا الحديث إلا لعلمه بأن من أصول مذهب مالك العمل بالحديث إذا صحّ سنده أو حسن لعمله بأن من أصول مذهب مالك العامل بالحديث إذا صحّ سنده أو حسن وسلم من العلة، وهذا الحديث كذلك، ولا تضروه الأغلوطات التي جاء بها هذا الزاعم في رده للحديث و تشغيه عليه بمشاعبات كثيرة يعلمها من قرأ فتواه^(١).

ومع ذلك كان يذم التعصب للمذهب والانتصار إلى بعض آراء علمائه ولو كانت خطأ، دون الاعتماد على الأدلة الشرعية، وصحيح الأحاديث النبوية، فقد رد عنى أولئك المنعصين المبالغين فقال رحمه الله: (وقد رأينا هذا الزاعم يقول إن الأخذ بظواهر أقوال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأعماله اجتهاد، والاجتهاد قد تقضت أيامه وماتت رجاله وبذلك يجب على المسلمين أن يتركوا كل آية من الكتاب وكل قول وعمل من رسول الله، ولا يهتدون بشيء من كتاب ربهم ولا من سنة نبيهم وعبيهم أن يقتصروا على ما كتب في الفروع، يخلون ما أحلت، ويحرمون ما حرمت

^١ - المصادر: عدد: 102، 04 مارس 1938م - أحمد الرفاعي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي النبسي، ص: 457، 458.

ويوالون من والت ماداموا غير مجتهدين. هذه هي مقالة هذا المفتي المزهدة في كتاب الله، الصادة عن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهي باظلة بإجماع المسلمين من يوم أن بعث نبيهم إلى اليوم، ذلك أن العوام والعلماء يعمنون بأقوال النبي وأعماله من غير توقف على منهم على وصولهم إلى رتبة الاجتهاد، وهذا أمر معلوم من عصر الصحابة إلى اليوم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل¹.

كما أنكر على من رد السنن الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم بدعوى مخالفتها للمذهب المالكي، وعد ذلك محادة للرسول ﷺ وعصيانا أيضا لوصايا أئمة المذاهب وعلى رأسهم الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى الذي كان يوصي تلاميذه بإتباع السنن، علما أن علماء المذهب المالكي ابتداء من إمامه وأصحابه ومتبعيه يستدلون في كل المسائل بأدلة من القرآن والسنة النبوية وينبذون كل ما خالفهما، وفي ذلك يقول: (لو قدر لمالك رضي الله أن يبعث حيا من قبره لقال في نسبة هذا الرهط إليه المخالفين لوصايا المعطلين لروح مذهبه ما قال عيسى صلوات الله عليه في أولئك الذين كذبهم بقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾²، والله يشهد، وأولوا العلم يشهدون أن مالكا بريء من كل نابذ لسنة عملية وقولية بدعوى المتمذهين بمذهب مالك... وحاشا مالكا أن يقول: صدقوا ما يقوله ابن شاس⁽³⁾. في الجواهر، واكتفروا بصحيح الحديث الذي يرويه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وابن حبان، و البيهقي، و الدارقطني، و الطحاوي، ومالك الذي يذهب إلى أن حكم الله في كل مسألة من مسائل الدين واحد، و أن الحق لا يجوز تعدده، وأن لا، ونعم، لا يكونان صوابا. لا يمكن أن يقول: إن الأهواء والآراء و الخيالات الوهمية التي اعتمدها من يزعم أن صلاة العيد لا تجوز في اليوم الثاني حتى يعد من مذهبه وأن يقول: إن حديث رسول الله صلى الله عليه و

¹ - البصائر، عدد: 102، 04 مارس 1938 - أحمد الرفاعي، الأعمال الكاملة، ص: 460 و 461.

² - المائة: 117.

³ - عبد الله بن محمد بن أحمد بن شاس بن زيار الجندابي سعودي نظري، حلال النبي أبو محمد، توي 616 - بمصر. شيخ المالكية في عصره. من كتبه: الجواهر تنجية في فقه المالكية. (التركي. الاعلام، ج: 4، ص: 124).

سلم ليس بحق ولا يقبله مذهبه، فإن هذه مقالة يقف الشَّعر عند سماعها، وتعدّ من كباير الإثم¹.

كما نجد الشيخ التبسي عالما بأقوال المذاهب الأخرى، مطلعاً على فروعها، وقد يأخذ منها ويخرج عن المذهب المالكي بما يراه الأوفق بالناس والأصلح لهم، ففي سؤال وجه إليه بخصوص حكم أكل اللحوم المستوردة من مرسليليا، فجاء في بعض جوابه: (وما وجدنا في مذهب من المذاهب قاتلاً يقول: إن هذه الشُّروط إنّما هي في ذبائح المسلمين بل قد وجدنا في عباراتهم ما يدلّ على أنّ الكتائي إذا كان ممن يستحلّ أكل الميتة كأغلب التصارى اليوم، فإنّ ذبائحهم لا تأكل)².

هكذا كان الشيخ التبسي عالماً متمكناً، عارفاً بآراء المذهب المالكي وغيره، قوي الاستدلال بالنصوص الشرعية وأقوال الفقهاء، بعيد النظر غزير العلم، ومخرجاً ومنظراً في مسائل التوازل، كما يخرج إلى غيره من المذاهب الأخرى مرجحاً بينها، ومعتمداً في ذلك كله على الأدلة الشَّرعية من الكتاب والسنة وغيرهما، ومعظماً لأهل العلم ناقلاً لأرائهم ومستنداً إلى استدلالهم. وكان مفتياً بارعاً يرجح بين الآراء ويأخذ بالأوفق بالناس وظروف وطنه، ويستنبط للنوازل أحكامها وللقضايا حلولها الشرعية.

رابعاً : الشيخ العربي يدعو إلى العلم وينبذ التقليد.

لقد اقتنع الشيخ التبسي كما هو منهج علماء الجمعية أن سبيل النهوض بالاجتمع هو العلم، عن طريق تعليم الجزائريين ونشر المعرفة بينهم، حتى يتحرر عقل الإنسان الجزائري، فكان يذم التقليد والإتباع الأعمى للأفكار، وحتى في مجال الدين وعقائده وأحكامه، يقول رحمه الله في سنة 1935م : (إن كل أمة أبليت ببدء التقليد قد أضاعت رشدتها وضلت سواء السبيل وتركت أعظم ميزة مُنحها الإنسان ألا وهي العقل فيطرقها الخلل في أعمالها المادية والأدبية وتصبح مملوكة للغير. علينا أن نطلق

¹ - فيصاغر: عدد: 102، 04 مارس 1938م - أحمد الرفاعي: الأعمال الكاملة، ص: 454 و455.

² - فيصاغر: عدد: 99، 11 فيفري 1938م - أحمد الرفاعي: الأعمال الكاملة، ص: 450.

للفكر سراحه ليُصَوَّلَ و يُجَوَّلَ و على دعاة الإصلاح العاملين لإنقاذ الأمة الجزائرية من ريقه التقليد أن يجعلوا فكرة الإصلاح على قاعدة الدين أولا و أخيرا مرتكزا و منطلقا حركة التحرير و التغيير¹.

وفي هذه الدعوة منه رحمه الله إلى نبذ التقليد و تحرير العقل دليل قوي على سعيه لنشر الوعي و تعبئة الجزائريين نحوها قضاياهم الوطنية و الاعتزاز بقيمتهم الحضارية الموروثة، و التمسك بشخصيتهم الوطنية.

وكان منهج الإصلاح في ذلك عند الشيخ العربي النسبي يعتمد على التعليم الذي من خلال يتحرر العقل، و ينشر الوعي و يبصِّر الفرد الجزائري بتاريخه و قيمه الدينية، و ينبهه إلى خطر الاستعمار و أساليبه الماكرة في القضاء على شخصيته الوطنية. هذا المنهج الذي أساسه العودة إلى تعاليم الدين الإسلامي السمحة من خلال القرآن الكريم و السنة النبوية لبناء الذات من الداخل لتكون محصنة ضد كل فكر خارجي غريب، تحسيدا لقاعدة قرآنية يقول فيها المولى تبارك و تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾².

خامسا : تصدي الشيخ النسبي للفتوى و قوة الاستدلال الفقهي فيها .

عرف الشيخ النسبي بغزارة علمه، و رسوخ قدمه في الفقه و الفتوى، و الاطلاع على فروع مسائله في المذهب المالكي وغيره من المذاهب الأخرى، شهد له بذلك علماء الجمعية، و عينوه رئيسا للجنة الفتوى في جمعية العلماء، يقول المؤرخ أحمد توفيق المدني: (وهو من المراجع الكبرى في الفتوى في الجزائر، فقد كان رئيس لجنة الفتوى في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و كان الشيخان ابن باديس و الإبراهيمي يعثان إليه برسائل الفتاوى الفقهية الواردة إليهما فيحجب عنها في جريدة البصائر). و قال فيه الشيخ الإبراهيمي: (الأستاذ الجليل الشيخ العربي النسبي، عالم القطر و مفتيه، و داعي

¹ - نقلا عن مقال له - رحمه الله - نشر له في "الشهاب"، عام 1936

² - الرعد: 11.

الرشد ومؤتيه... وهو يمتاز بشعور حاد ملتهب، واهتمام عام بشؤون المسلمين وحالتهم الحاضرة)¹.

فكان يجيب عن الفتاوى في جرائد الجمعية وبخاصة جريدة البصائر، مما جعله لا يتمكن من الإجابة عنها لكثرتها ولانشغالاته الكثيرة في التدريس والدعوة والكتابة الصحفية وغيرها. وقد أكثر الناس عليه بفتاويهم وأسئلتهم حتى أنه كان يجيئهم على بعض مشايخ الجمعية كالشيخ مبارك الميلي والشيخ أبي يعلى الزواوي، كما كان يرشد السائلين إلى غيره من علماء الجمعية تواضعاً منه، وفي ذلك يقول رحمه الله: (هذا وبين أيدينا مئات الفتاوى، والإجابة عنها كلها متعسر، بل متعذر، فعلى إخواننا السائلين أن يوجهوا أسئلتهم إلا من يظنون به العلم والعدالة من علماء الأمة، فليست الفتيا مقصورة علي، وإخواننا العلماء، كأبي يعلى الزواوي والميلي لا يتأخرون عن إجابة السائلين. أما تكلفي أنا وحدي بما فإنه يفوت على السائلين حقهم في معرفة الأحكام الشرعية، ويكلفني أنا أيضاً ما لا أستطيع، وإن الله تعالى ما كلف السائلين بالسؤال حتى كلف العلماء بإجابتهم بما يعلمون)².

ويلاحظ في فتاوى الشيخ النبسي استدلاله فيها بنصوص الكتاب والسنة وأقوال العلماء وبخاصة علماء المذهب المالكي، حيث يقلب المسألة من جميع وجوهها الفقهيّة واحتمالاتها الواقعية والمتوقعة حتى ما يترك مجالاً لأي غموض أو إشكال، كما يراعي في فتاويه قواعد الشريعة ومقاصدها العامة، مما يدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه واستناده إلى أدلة الشريعة في بيان أحكام المسائل والوقائع. ففي سؤال وجه إلى الشيخ النبسي حول صحة إمامة رجل مسجداً بُني حديثاً، وقد ادعى هذا الرجل ملكية المكان الذي بُني به هذا المسجد، وكان يتنازع في بناء المسجد بما فلما خاب في مسعاه ولم تسمع دعواه الباطلة وبُني المسجد طلب أن يكون إماماً به، فأجاب رحمه الله بقوله: (هذا الإمام استجمع شروط الإمامة، ولم تقع شبهة في إمامته إلا من ناحية أنه نازع في ملكية الأرض، فلنا في المسألة نظران: النظر الأول: أن يكون في خصامه صاحب شبهة

1 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج: 2، ص: 387.

2 - أحمد الرقائبي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي النبسي، ص: 468.

دعته إلى الخصام والتراخ، فخاصم مجتهداً في خصامه غير معتقد بظلال دعواه ثم انجلى له الحق وتبين له أنه كان مخطئاً، وإمامته صحيحة، ولا يعتبر نزاعه المذكور قادحاً في إمامته، لأنه غير عاص في خصامه ولا قاصد لغضب أرض لا حق له بها. النظر الثاني: أن يكون خاصم أولاً على عماية قاصداً غضب أرض لا حق له فيها، ساعياً في معصيته، بادلاً جهده في كبيرة. ففي هذه الحالة إما أن يتوب من سعيه ويندم على خصامه توبة يكون معها ممن يصدق عليه: "التائبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَأ ذَنْبَ لَهُ"⁽¹⁾. فهو عدل تصح إمامته، ولا قدح فيها. وإما أن يبقى مصرّاً على ذنبه، نائياً العودة إليه إن سنحت له الفرصة، فهو صاحب كبيرة، فاسق، وإمامة الفاسق فسقاً خارجاً عن أعمال الصلاة، فيها خلاف بين العلماء داخل مذهب مالك وخارجه، والأوفق بالدين، إبعاد هذا الإمام عن الإمامة لأن المسلمين يفتح بهم جداً أن يكون أهل القدوة منهم فاسقين عصاة، لأن ذلك على خلاف قاعدة مقاومة للمفاسد⁽²⁾ وعلى خلاف الحديث الذي رواه الدارقطني عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: "اجعلوا أئمتكم خياركم فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم"⁽³⁾.⁴

¹ أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم: 4240. وأخرجه أيضا الطبراني في الكبير (10134)، والبيهقي في الشعب (18943)، وهو ضعيف لأن أبا عبيدة جزم غير واحد بأنه لم يسمع من أبيه، وقد حسنه العلماء لثبوته. قال السخاوي في الأجرية المرضية (87/1) رجال سنده ثقات ولولا الإرسال الذي فيه لكان صحيحاً، وحسنه الألباني في (صحيح ابن ماجه: 3446)، وفي (صحيح الجامع: 6803) وفي (صحيح الترغيب: 3145).

² يشير إلى قاعدة درء المفاسد أولى من جلب المصالح.

³ جاء في كتاب نصب الرأية: رواه الحاكم في "المستدرک في کتاب الفضائل (222/3)" عن يحيى بن يعلى به سنداً ومتمناً؛ إلا أنه قال: "قلبوهم خياركم"، وسكت عنه. وروى الدارقطني، ثم البيهقي في "سننهما" من حديث الحسين بن نصر المودب عن سلام بن سليمان عن عمر بن عبد الرحمن بن يزيد عن محمد بن واسع عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: "اجعلوا أئمتكم خياركم، فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم"، انتهى. قال البيهقي: إسناده ضعيف، انتهى. وقال ابن القطان في "كتابه": وحسن بن بن نصر لا يعرف، انتهى. (جمال الدين بن يوسف الزيلعي، نصب الرأية لأحاديث الحديث، تحقيق محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م).

⁴ أحمد الرفاعي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، من: 447 و448.

سادسا : اثر فتاويه في نشر الوعي والمحافظة على وحدة الأمة الجزائرية.

ومما يسجل للشيخ العربي التبسي حرصه الشديد على وحدة الأمة الجزائرية ونبت كل ما من شأنه أن يفرق بين الجزائريين ويوزع الفتنة بينهم، حتى لا يكون ذلك مدخلا للاستعمار لإضعاف قوة الجزائريين وإشغالهم بالقضايا الهامشية التي تأخذ منهم جهودهم وتصرفهم عن قضيتهم الوطنية الكبرى وهي مقاومة الاستعمار. فكان يركز في فتاويه على مقاصد المحافظة على وحدة الشعب الجزائري والتفافه نحو قضيته. ونقتصر في بيان ذلك على مثال واحد من فتاويه:

فتاوه في اختلاف المطالع والمحافظة على وحدة الأمة الجزائرية:

ومما كان يثيره الاستعمار الفرنسي في المجتمع الجزائري نشر الخلافات وتأجيج الصراعات بين الجزائريين حتى يضعف قوتهم وينشغلوا عن قضيتهم الكبرى وهي مقاومة الاستعمار الفرنسي. فكان علماء الجمعية من خلال فتاويهم ومواعظهم وخطبهم ومقالاتهم ينشرون الوعي في الأمة الجزائرية ويحذرونها من الخلافات والفرقة التي نشئت صفوف أبنائها وتضعف من عزيمتهم وتوهن قوتهم.

من ذلك مسألة ثبوت هلال رمضان واختلاف المطالع التي كان يستغلها البعض لإثارة النزاعات بين الجزائريين عن طريق الاختلاف في العبادة، وهي مسألة لا تزال إلى اليوم تثير الخلافات ليس فقط بين أبناء القطر الواحد بل بين الأقطار الإسلامية. وهي قضية حساسة تمس بشعيرة دينية أساسية وهي صيام رمضان، التي هي عبادة تجمع الأمة ولا تفرق بينهم فإذا بالبعض وظفهم في إثارة النزاعات بين المسلمين.

فقد تناولها الشيخ التبسي بالفتوى والبيان والتوضيح، وقد تناولها أيضا من قبله غيره من علماء الجمعية كالشيخ العلامة ابن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

يقول مفتي جمعية العلماء المسلمين ورئيس الفتوى فيها الشيخ التبسي في بيان نشر للأمة: (على المديرين لمدارسنا وعلى رؤساء جمعياتنا وشعبنا، وعلى العدول من أمتنا أن يرقبوا اهلال ليلة الأحد 25 ماي الجاري، باعتبار الحساب اهلائي، الليل قبل النهار، فإذا رئي في ناحية من نواحي القطر وجب على ممثلي الجمعية بعد صحة

الشهادة بالشروط الشرعية لصحتها- إن لم تمنعنا إدارة البريد من الاتصال - أن يتصلوا بالمركز العمالي بوهران، أو الجزائر، أو قسنطينة... فإذا تم هذا وكانت الرؤية بأرضنا، فهذا هو الإجراء المثبت للشهر دخولا وخروجاً، فإن لم ير اهلال بجزائرتنا، وجب أن نصوم على صوم القطر الإسلامي الذي له قضاة شرعيون ولتتهم القضاء سلطة إسلامية - إذ المسألة دينية لا دنيوية - كمصر وتونس والمغرب، فإن اتفقوا على رؤيا واحدة وجب علينا أن نصوم بصومهم، وإن اختلفوا فنحن مع الاثنين لا مع الواحد منهم، فإن لم يتفق اثنان على الرؤيا تبعا أقرب القضاة إلينا وهو قاضي تونس. فهذا هو الحكم الديني الفقهي في شهر رمضان دخولا وخروجاً، فاعملوا به ولا تصرفانكم عنه السياسة الفضولية والمتقادون لشياطينها، والله معكم¹.

ويستفاد من فتوى الشيخ التبسي التأكيد على الرؤية الشرعية للهلال، واعتبار الأقطار الإسلامية دار واحد، وحيثما ثبتت الرؤية وجب على الجميع في مجال الصوم العمل على رؤية بعضهم البعض حفاظاً على وحدة القطر الجزائري من جهة وعلى وحدة الأمة الإسلامية من جهة أخرى. كما اعتبر الشيخ أن اختلاف الأمة في عبادة الصوم والإفطار قبح كبير، والأقبح من ذلك اعتبار التقسيمات الجغرافية والحدود السياسية في قضية الصوم، فيصبح لكل بلد صوم وإفطار وكل ذلك له أثره السيئ في تشتيت صفوف الأمة وتفريق كلمتها وإضعاف قوتها وتمييد عمر الاستعمار فيها. أما رؤية هلال ذي الحجة وصيام عرفة ويوم النحر فإنها تتحقق برؤية الحجاز².

سابعا : علاج للفتاوى الاجتماعية من خلال فتاوي

1 - ظاهرة سب الدين:

وهي ظاهرة خطيرة تفتت بين الناس، تثير العداوة والبغضاء بينهم، وهي منافية للأخلاق والحياء وما ينبغي أن يكون عليه الناس من الاحترام والأدب، وتأسف اليوم أن نجد هذه الظاهرة متفشية عند بعض الناس مع أنها تمس بدينهم وعقيدتهم.

¹ - نشر كإعلان في جريدة البصائر، العدد 228، 08 ماي 1953م.

² - بيان منشور في جريدة البصائر، العدد 157.

ففي سؤال وجه إلى علماء جمعية العلماء يقول فيه صاحبه: ما قول سادتنا العلماء من سبّ الدين من رعاى المسلمين وسفهائهم هل ذلك السبّ يخرج به السبّ من الملة ويعتبر به مرتدّاً داخلأ في من تشملهم آية: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾¹، أفيدونا.

فأجاب الشيخ التبسي ما نصه: (إنّ هذا الشخص الذي سبّ الدين لا يخلو حاله من أحد الاحتمالين:

الاحتمال الأول: أن يكون مستعملاً للفظ في معناه اللغوي الشرعي، عالماً بمرمته، قاصداً لسبّ الدين، فاهماً أنّ سبّ الإسلام أو من جاء به، أو من يعدّ سبه ردة في الإسلام، فهذا الشخص كافراً، داخل في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾². مستهزئ بالله تعالى وآياته، وكفره فوق كفر من عبد غير الله، لأنه ممن قال الله فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾³.

الاحتمال الثاني: أن يكون هذا السبّ ناقلاً كلامه من معناه اللغوي إلى معنى جديد متعارف عند من كان على شاكلته، نقلاً ينسخ المعنى اللغوي وذلك استعمال جديد، عرف على هذا اللفظ كما يطرأ العرف على اللغة في كثير من الألفاظ عند الناس كلّهم أو عند فريق منهم. فإذا تصوّرنا هذا الاحتمال، أمكن أن تقول إنّ هذا السبّ للدين قد نقل لفظ الدين من معناه الشرعي اللغوي إلى إهانة من يخاصمه ويتشاجر معه، واستعمل كلامه البشع القبيح في سبّ الشخص الذي تنازع معه، وذلك هو مراده، وذلك ما يفهمه خصمه أيضاً، وقد يجيب خصمه أيضاً منتقلاً منه بذلك اللفظ نفسه، مريداً هو كذلك سبّ خصمه، وكلاهما لا يفهم ولا يريد بسبه إلى خصمه، والدليل على هذا العرف وهذا النقل، أنّ المقام الذي تستعمل فيه هذه الألفاظ هو مقام مشاجرة وخصام لا مقام كفر وردة. وإذا علمنا مقاصد المتساين أنّهما لم يريدوا الكفر والردة لم يجوز لنا أن نحكم عليهما بالردة والكفر، ذلك أنّ الأعمال بالنيات

1 - الزمر: 65.

2 - الزمر: 65.

3 - الأحزاب: 57.

وهذا السبّ عمل لسانی من مقصد أهله سبّ الإسلام أو من يعدّ سبّه ردّة. هذا ما فهمناه من هذه الحادثة الكثيرة الوقوع التي لو أجرينها الحكم فيها على ظاهر اللفظ، غاضين النظر عن مقاصد الناس التي لا يجوز غض النظر عنهما في الأحكام الشرعية حكماً برّدّة ما لم يقلّ عن ثلث الأمة في الشمال الإفريقي، ونحن مع قولنا بعدم ردّة أهل الاحتمال الثاني نقول: إن عملهم هذا معدود من منكر القول وفحشه، ومن الأقوال التي تحتمل الكفر والتفسيق، وما كان كذلك كان حراماً بإجماع المسلمين. فعلى العلماء المدرّسين والواعظين، والدّاعين إلى الله أن يقاوم هذه الشّناعات بكلّ ما أعطاهم الله من قوّة الحجّة في باب الترغيب والترهيب وإنّ هذا لمن أكد الواجبات عليهم، لأنّه حماية للدّين، وعلماء الدّين هم حماة¹.

2 — ظاهرة التفريق بين الزوج وزوجته بغير رضاها:

ولا يخفى خطورة هذه الظاهرة في تخريب الأسر وتشريد الأولاد، وقد يتسبب فيها ذووا النفوذ المالي أو الديني كبعض شيوخ الزوايا والمنسبين إلى الطرق الصوفية المنحرفة.

فقد ورد سؤال إلى الشيخ العربي التبسي يقول فيه السائل: ما قول سادتنا العلماء في رجل غني طرقي من بلدة: "سان لوسيان" عقد على ابنته البكر لرجل مسكين ليس بطرقي وكان العقد شرعياً جامعاً لشروط النكاح كلّها، ولما أراد زوج ابنته البناء بما منعه لأنّ شيخه تعلّق قلبه بها، ولا بدّ من إرضاء الشيخ، لأنّ سخطه عليه هو عين سخط الله. ولما لم يمثل حكم أبو الزوجة لحكم الله، استعان عليه زوج ابنته بأهل الجاه فما نفعته استعانته، ثمّ طالبه عند قاضي مدينة وهران، فما رفعت عليه المحكمة مظلمته، ولما أيس من زوجته وعلم أنّ لا طاقة له بمنازعة هذا الفاجر، لفظ بكلمة الطلاق. فهل يلزمه الطلاق؟ وهل يجب على من استطاع من القضاة أن يفسخ نكاح الطرقي المذكور؟

¹ - رئيس لجنة الفتوى الشيخ العربي بن بلياسة التبسي، نشرت هذه الفتوى في جريدة البصائر في العدد 98 بتاريخ

فأجاب رحمه الله تعالى: (الجواب على هذا السؤال أن المطلق قد أوق هذه اللَّفْظَةَ باختياره وقاصداً لهذه اللَّفْظَةَ باختياره وقاصداً لها، مؤدِّياً معناها الموضوعه له، فطلاقه لزم له، ولا تعدو تلك المظالم التي نزلت به حين لا مخلص له ولا معين على دفعها بحجة أنه لا اختياره في إيقاع الطلاق ونطقه به، لأنَّ الطرقي الفاجر وتابعه المستحرم لم يكرهاه على النطق بكلمة الطلاق، وإنما منعاه من البناء بامرأة طلقها أو لم يطلقها. فالمسألة مسألة حيولة بين الرجل وامرأته لا مسألة إكراه على الطلاق، وشروط صحّة الطلاق موجودة في هذه الحادثة فليلم الأخ المطلق نفسه أن أوقع الطلاق. أما الجواب عن السؤال الثاني فهو أن هذا الطرقي العاهر المفرق بين المرأة وزوجها قد أفسد امرأة على حليلها بسبب ما قد توهمه فيه، تابعه من السّلطة الروحية و النفوذ الديني، فهو أعظم جرماً ممن تزوج امرأة في عدتها، وأعظم جرماً أيضاً ممن خطب على خطبة أخيه. وكل من تزوج امرأة أو خاطبها بعد خطبة غيره، وحصول التراكن و الرضا معلوم حكمه في الفقه داخل المذهب¹ و خارجه². ثم إن من أفسد امرأة على زوجها، اختلف في حكمها، ومذهب مالك-رضي الله عنه- تأييد تحريمها على مفسدها، وعدم التأييد على قولين: فأما الذين رأوا عدم التأييد فقد قالوا: نكتفي بتفسيقه وتأييده، ويجب عليه أن يتوب من هذه الكبيرة، ولا نتعدى إلى القول بتأييد التحريم، لأنَّ الحادثة جديدة، وتأييد التحريم يتوقف فيه على السّماع. وأما الذين قالوا بتأييد تحريمها فيليك كلمة الأجهوري نقلاً عن الآبي⁽³⁾ قال: "إن من سعى في فراق المرأة ليتزوجها، فإنه لا يمكن من تزوجها وإن اعتدى وتزوجها فسخ نكاحه قبل البناء وبعده، وسواء كان قول المولدين هو الموافق لمراد الله أو قول المسيحين، فموضع المسألة قديماً يغاير مسألتنا الحديثة، بسبب ما اختصت به هذه الحادثة، من اعتقاد المرأة ووليها أن تنفيذ شهوة الشيخ طاعة لله، وأن عدم تنفيذها يجلب لها سخط الله، مبدلين باعتقادهما هذا حكم الله في المسألة، ومصيرين الإسلام تابعا لشهوات شيوخ

¹ أي المذهب المالكي

² أي أن الحكم الواحد عند المالكية وغير المالكية من المذاهب الأخرى من التحريم وعدم الجوز.

³ أبو سعد الآبي منصور بن الحسين الرازي، من العلماء، له علم بالأدب والتاريخ، توفي سنة 421 هـ. من مـ

"نثر الدرر في المحاضرات والأدب"، و"نزهة الأدب". (نزر كلبي، الأعلام، ج: 7، ص: 298)

الضلال". فتقرير التكااح الطرقي يزيد عن هذه العقيدة الإشرافية تمكناً، ويقرر أيضاً على قاعدة معاملة أهل الفساد بنقيض قصدهم بالإهمال، ويفتح باب تعدي هؤلاء الفاحرين الذين أضلوا العامة على حقوق غيرهم، ويعرض كليات الشريعة من دين ومال وعرض ونسب لتلاعبهم بها، بسبب عقيدة العامة الجاهلة فيهم، وهذا أيضاً بإبطال لقاعدة سد الذرائع التي يجب أن تراعى في العقائد والأعراض والأنساب أكثر من غيرها. فهذه المعاني الجديدة المعترة التي حفت بهذه الحادثة قد تعطىها في نظر المجتهدين ما يجعلهم يقولون بتأييد تحرعها عليه بسبب هذه المعاني التي ذكرناها. ثم إننا نلفت أنظار العقلاء من أبناء هذه الأمة إلى ما يأتيه هؤلاء الأشرار من الموبقات التي لا تجوز مع أعدى عدوتنا في الدين، فكيف يستبحونها باسم الدين الذي يقول نبيه ﷺ "إلا إن دماكم وأمواكم وأعراضكم حرام عليكم"¹2.

ثامنا : اثر فتاويات في مقاومة ومجابهة الاستعمار الفرنسي.

فقد عمل الشيخ العربي النسبي على قطع كل صلة بالاستعمار الفرنسي، وحث الجزائريين على استقلالهم في دينهم وعقيدتهم وشخصيتهم، وعدم الذوبان في الكيان الفرنسي والمحافظة على تمايز الشخصية الجزائرية الفرنسية. و مما يرويه أقاربه وتلامذته عنه أنه كان ما يقتأ يردد: (من عاش فليعيش بعداوته لفرنسا و من مات فليحمل معه عداوته هذه إلى القبر).

وهذا هو الموقف الرجولي البطولي الشجاع الذي وقفه هذا العالم الرباني من الإدارة الاستعمارية الفرنسية الظالمة قد كلفه حياته حيث خطف واستشهد وقتل بطريقة جبانة تنبع عن خبيث وحقد المستعمر، وبقي قبره مجهولا إلى اليوم. وأهم ما تتحلى فيه مواقف من الاستعمار ومناهضته لثقافته وسياسته ومخططاته فتاويه الجريفة التي كان رأيه في بعض القضايا التي تمس الدين واللغة والثقافة قويا وواضحا، من ذلك مثلا:

¹ — أخرجه البخاري عن أبي بكر في كتاب العلم، باب ليبلغ العلم لشاهد الغالب، صحيح البخاري، ج: 1، ص: 29.

² — انصار، العدد: 138، 04 نوفمبر 1938م.

1 - فتواه في منع التحنس بالجنسية الفرنسية:

والتحنس من أهم القضايا التي اتخذت منها جمعية العلماء موقفا واضحا وصارما جعلها وجها لوجه مع الحكومة الفرنسية، هذا التحنس التي حاولت فرنسا فرضه على الجزائريين بمقتضى القانون الصادر في 14 جويلية 1865 م. وقد نص القانون المذكور في أحد فصوله على أن الجزائري لا ينال الحقوق السياسية التي يتمتع بها المواطن الفرنسي الأصل إلا إذا تحنس بالجنسية الفرنسية حيث تطبق عليه أحكام القانون المدني الفرنسي في مسألة الأحوال الشخصية من زواج، وطلاق، وميراث. وفي عام 1919 م صدر قانون آخر لم يدخل على القانون السابق أدنى تعديل بل عبر المسلم الجزائري بين أمرين: إما أن يكون فرنسويا بلا حقوق، وإما أن يتحنس بالجنسية الفرنسية، وينسلخ عن ذاتيته الإسلامية لينال الحقوق الفرنسية.

وقد ازدادت حدة دعوة الجزائريين إلى التحنس بالجنسية الفرنسية والتخلي عن أحكام الشريعة الإسلامية بعد مرور قرن على احتلال فرنسا للجزائر وذلك في عام 1932م. حيث أصبح للتحنس دعاة متحمسون من بعض الجزائريين للذين سبق أن تحنسوا بالجنسية الفرنسية وأرادوا أن يكثر عددهم من أجل الحصول على الحقوق الفرنسية في مقابل التخلي عن أحد مقومات الشخصية الجزائرية وهو الإسلام. وقد تفتنت جمعية العلماء لخطورة الدعوة فشنت حملة على التحنس ودعاته عن طريق الخطب والمحاضرات العامة، والدروس المسجدية والفتاوى، والمقالات التي كانت تصدرها في جرائدها. وقد ختمت جمعية العلماء المسلمين حملتها ضد التحنس والتحنس بإصدار فتوى دينية صريحة بتكفير كل من يتحنس بالجنسية الفرنسية ويتخلى عن أحكام الشريعة الإسلامية. وقد أصدرها رئيس الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس وصادقت عليها لجنة الإفتاء بالجمعية. ونشرتها جريدة البصائر لسان حال الجمعية¹.

¹ - ونص الفتوى هو: (التحنس بحسبة غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فالتحنس مرتد بالإجماع، والتحنس - بحكم القانون الفرنسي - يجرى تحنسه على نفسه فيكون قد جن عليهم باخراجه من حظيرة الإسلام، وتلك الخيانة من شر انظم وأقبح، وإلها متحدا عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجا عن شريعة الإسلام بسبب حمايته. فإذا أراد التحنس أن يتوب فلا بد لتوبته

ومن أفنى بتحريم التجنس بالجنسية الفرنسية الشيخ العربي التبسي¹ رئيس لجنة الإفتاء بجمعية العلماء، التي اعتبرها تدعيما للاستعمار الفرنسي ومساسا بالعقيدة الإسلامية، فقد أصدر فتوى باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في شهر جانفي 1938م، بين فيها - بأسلوب العالم الفقيه الشجاع الذي لا يخاف في الله لومة لائم، واعتبرها أمّا مسألة استجدت آنذاك بسبب تسلط الغرب المتكبر المستكبر على الشرق الضعيف المستضعف وأعلن أن القصد من التجنس هو غزو العقائد الدينية و تحويل تفكير المتجنس بطريقة تستهوي الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة وصرح أن هذا المتجنس بالجنسية الفرنسية غدا ميتوت الصلة ومقطوع الوشيحة بحسبه الإسلامي ونسبه العربي.

وقد كتب منددا بسياسة التجنيس قائلا: (إن فرنسا تعمل جهدها لإبادتنا، وإدماجنا، ومحونا، من الحياة كشعب ذي خاصيات، وأمة ذات ميزة، وإنه لمن العجيب حقا أن تريد فرنسا بتجنيسها، محو إنساني كامل، في وقت تمتع فيه القوانين الدولية بإبادة أنواع الحيوانات والطيور). ثم يقول: (إن الله خلق العباد ليكونوا عبيدا له، لا

من إقلاع كما هو الشرط اللازم بالإجماع في كل توبة. وإقلاعه لا يكون إلا برجوعه للشريعة الإسلامية، ورفضه لغربنا ولما كان القانون الفرنسي يبقى جاريا عليه. رغم ما يقول هو من رجوعه، وإقلاعه لا يتحقق عندنا في ضاهرة حاله. وهو الذي تجرى عليه الأحكام بحسبه، إلا إذا فارق البلاد التي يأخذه فيها ذلك القانون إلى بلاد تجرى عليه فيها الشريعة الإسلامية. قد يكون صادقا في ندمه فيما بينه وبين الله، ولكننا نحن في الظاهر الذي أمرنا باعتباره في إجراء الأحكام لا يمكننا أن نصلفه وهو ما يزال ملابسا لما ارتد من أهله من أحكام تلك الجنسية. ولهذا لا تقبل توبته ولا تجرى عليه أحكام المسلمين). (أنظر فتوى جمعية العلماء في التجنيس في جريدة البصائر عدد 95 للسلسلة الأولى سنة 1935). عبد الحميد بن بافسي، جريدة البصائر، عدد 95، السنة الثالثة، 12 ذي القعدة 1356، 14 يناير 1938 م، ص: 2.

¹ - إن كل أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نددا بالتجنس وأفتوا جميعا بتحريمه، وبنوا خطورته وأضراره على دين الأمة الجزائرية ومقوماتها الوطنية. فقد كتب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في البصائر عدد 04 للتصادرة في 29 أوت (شون) 1947 يقول: (حاربت جمعية العلماء سياسة الاندماج، في جميع مظاهرها، فقاومت التجنيس، ونازحت أنصار الحسب، ودعاته المتقاولين حتى قهرتهم وأخرستهم، وقطعت الجبل في أيديهم، ثم أفتت فتواها الحريفة فيه يوم كانت اجزأة في مثل هذه المسائل بابا من العذاب). وكتب رئيس تحرير جريدة البصائر الشيخ تظيب العقبي افتتاحية عتيقة تحت عنوان 'مكنم الشرعية في التجنس والتجنسين' جاء فيها لولده: والتجنس - بمعناه المعروف في شمال إفريقيا - حرمة، والإقدام عليه غير جائز بأي وجه من الوجوه... ومن سخط استئذان حكم واحد من أوضاع البشر وقوانينهم بتحكيم من أحكام الشرع الإسلامي فهو كافر مرتد عن دينه باجماع المسلمين. لا يرجع إلى دائرة الإسلام وحظرة الشرع الشريف حتى يرفض نانا كل حكم وكل شريعة تخالف حكم الله وشرع نبيته البصائر، عدد 77، 30 جويلية 1937 م، ص

عبيدا مخلوق آخرا، وذلك فإننا لا نسلم في كرامتنا، ولا نتهاون في الخطر الذي يهدد جنسنا، وديننا، والله معنا، والقوانين العادلة الحكيمة تؤيدنا، وسنخرج بحول الله من النذل إلى العز، ومن الضمحية إلى المدنية، ومن النار إلى الجنة¹.

وكتب الشيخ العربي أيضا افتتاحية في البصائر تحت عنوان (التجنيس كفر وارتداد) جاء فيها ما يلي: (فهؤلاء المتدعون للتجنيس على علم بتلك الحقيقة الاجتماعية الدينية " من كثر سواد قوم فهو منهم" فيكون التجنيس غزوا للعقائد الإسلامية. ومحاولة لتكفير المتجنس بطريقة يستهوي الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، وأنا أتحقق كما يتحقق كل عائق أن هذه المكفرات لا يفعلها من ربي من أحضان الإسلام. وأشرب قلبه حسب ما جاء في كتاب الله، وإنما يرتكبها من أنشئ نشأة بعيدة عن الإسلام وتعاليمه). ثم أضاف إلى ذلك قوله:

(التجنس أي صيرورة المسلم من جنس غير المسلمين برفضه لأحكام الإسلام الإلهية وإثارة لأحكام وضعية بشرية حتى أنه يصور من يوم إيمضائه للعقد القاضي بارتخاله من أسرة الإسلام إلى أسرة غيره، لا حق له في الإسلام، وتشريع، ولا في تحليله، وتحريره، ولا في آدابه وتاريخه، ولا في أحسابه وأنسابه، لأنه تركها مختارا راغبا في سواها، كارها لها. وأين ذلك من قوله عز وجل في كتابه الحكيم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾² فهل ينطبق هذا الحكم على التجنيس؟ اظم لا...³).

وقد أحدثت فتوى الشيخ التبسي وغيره من علماء الجمعية صدى كبيرا في الجزائر وفوتت على الاستعمار الفرنسي خطة إدماج الجزائريين وإبعادهم عن هويتهم الوطنية. فكانت فتوى تحريم التجنيس وتكفير صاحبه تمهدا للإدارة الفرنسية وإبطالا لكيدها وخبثها، وتأكيدا لإسلامية الجزائر وقوميتها العربية، ومحاربة للعنصرية التي كان الاستعمار يغذيها لبث الفرقة والتزاع والطبقية بين الجزائريين، فباء المستعمر بالفشل

1 - أنظر كتاب مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر بقلم الشيخ العربي التبسي جمع وتعليق الأسناد شرفي أحمد الرفاعي، دار البعث، قسنطينة، ط سنة 1981).

2 - النساء: 65.

3 - جريدة البصائر، عدد 95. السنة الثالثة، 14 جانفي 1938 م، ص: 1.

والخزري والحسران. بل كان للفتوى صدى كبيرا في كل من أقطار المغرب العربي وبخاصة تونس والمغرب التي تبناها علمائهم^١.

2 - تحريم التزوج بالفرنسيات:

و سدا لذرائع التحنس وما يترتب عنه من الموالاة للحكومة الفرنسية وضياع الأولاد، فكان موقف الشيخ التبسي عظيما من قضية الزواج بالفرنسيات، فقد أفتى بتحريم ذلك الزواج رغم أن الإسلام يبيح الزواج بالمرأة الكتانية، وهي فتوى تندرج ضمن ظروف ذلك الزمان وضروراته، ومما أثر عنه قوله الشهيرة: (من يتزوج بفرنسية يدخل الاستعمار بيته).

وفتوى الشيخ التبسي تأكيد لما ذهب إليه رئيس الجمعية الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله، فقد أفتى بجرمة زواج الجزائري المسلم بالفرنسية، وعلل ذلك بكون النتيجة التي يؤدي إليها هذا الزواج هي الخروج عن حظيرة الإسلام لأن القانون الفرنسي يقتضي بأن أبناءه منها يتبعون جنسية أمهم في خروج نسله عن حظيرة الإسلام، فإن كان راضيا بذلك فهو مرتد عن الإسلام جان على أبنائه، ظالم لهم بذلك، وإن غلبته شهوته على الزواج فهو آثم، لا يخلصه من إثمه هذا إلا إنقاذهم مما أوقعهم فيه^٢.

3 - حث الجزائريين على الاستقلال عن الإدارة الفرنسية في الشؤون

الإسلامية:

وكان رحمه الله تعالى كغيره من علماء الجمعية يدعو الجزائريين إلى الاستقلال عن إدارة المستعمر خاصة فيما يتعلق بأحوالهم الشخصية، كالزواج والميراث والوقف والوصية وغير ذلك. فكانت فتاويه في تلك القضايا ترشد الجزائريين إلى التمسك

^١ من ذلك فتوى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تحريم التحنس بالجنسية الفرنسية.

^٢ - المصادر: عدد 95، المفكرة بتاريخ 14 جانفي 1938، جمادي الثاني 1356.

بالدين الإسلامي، والمحافظة على شخصيتهم الوطنية، والاستقلال عن الإدارة الفرنسية، والتفطن لدساتنها.

وتمثل ذلك في:

أ - فتواه في منع استئناف الأحكام الشرعية لدى المحاكم المدنية الفرنسية:

وقد عاب رحمه الله تعالى على بعض الجزائريين استئناف الأحكام الشرعية التي يصدرها القضاة المسلمون تنفيذاً للشرعية الإسلامية وأحكامها لدى بعض المحاكم المدنية الفرنسية، واعتبرهم بائعين لدينهم رغبة في الدنيا وجرياً وراء مصلحة النفس، وتوصلاً من الأحكام الشرعية وأفتى رحمه الله بعدم جواز ذلك¹.

ب - فتواه في منع إنفاذ الوصية للورثة على يد الموثق المدني الفرنسي:

ومن قضية الوصية للورثة التي كان بعض الناس يوصون بإنفاذها - بعد وفاتهم - على يد الموثق المدني الفرنسي²، وما يترتب عن ذلك من حرمان من يستحقها، ويعطون من يشاعون من ورثتهم، ويحرمون من يشاؤون بحكم الهوى، وقد أفتى بعدم جواز ذلك وأن الوصية باطلة شرعاً ويحرم تنفيذها، وكل مال أخذ عملاً بما فهو حرام آثم أخذه إنما لا يقل عن إثم صاحب الوصية³.

ج - عدم جواز التحاكم في المسائل الدينية إلى غير المسلمين:

وأفتى الشيخ النسبي بعدم جواز التحاكم في المسائل الدينية إلى غير المسلمين وهو يقصد الإدارة الفرنسية وأيضاً المواليين لها من الذين باعوا دينهم وضمائرهم للاستعمار الكافر الغاصب.

¹ - أحمد الرفاعي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي النسبي، ص: 444.

² - البصائر، عدد 25، 14 جانفي 1938.

³ - أحمد الرفاعي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي النسبي، ص: 444 و 445.

أكامت:

هذه نماذج من فتاوى الشيخ العلامة الشهيد العربي التبسي متنوعة الأغراض والمجالات تدل على سعة علمه، وغزارة معارفه، وتنوع ثقافته، وبعد نظره. فكانت فتاويه تجمع بين الفقه والمقاصد والعلم بالواقع، وقد استطاع أن يعالج بها الكثير من القضايا الاجتماعية، وأن يجعل منا وسيلة للتصدي للاستعمار ودسائسه، وأن ينشر الوعي بين الجزائريين، وأن يتصل بال جماهير من خلالها، وأن يتغلغل إلى أعماق حياتهم، ويحجب عن كل انشغالاتهم.

فكان الشيخ التبسي بحق رجل علم وعمل، محتكا بالجماهير، يعيش معاناتها، دائم الاتصال بها، متحديا للاستعمار وتحدياته، مجاهدا من أجل قضية وطنه، جعله ينضم إلى قائمة الشهداء الخالدين، رحمه الله تعالى وجراه عن الإسلام والجزائر خيرا.



المنهج العام لخطاب الفتوى لدى الإمام الشهيد الشيخ العربي التبسي رحمه الله (تأصيل وتحليل)

د / الزواوي فوميدي

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
جامعة بانهنت.

ملخص:

تناول هذه المداخلة قراءة تأصيلية وتحليلية لخطاب الفتوى لدى الإمام الشهيد الشيخ العربي التبسي رحمه الله، لاستخراج الخصائص العامة لمنهج الإفتاء الذي سلكه ذلك العلامة الكبير، وبيان جوانب التفوق في الصناعة الفقهية التي برع فيها رحمه الله. والقراءة المتخصصة المتأمل في خطاب الفتوى لدى العلامة العربي التبسي ترينا بوضوح مدى استجماعه لآلة الاجتهاد من الأصول والقواعد والشروط التي يقوم عليها نظام الإفتاء.

ولا يقتصر منهج الإفتاء عند الإمام العربي التبسي على حسن استنباط الفتوى من النصوص والمصادر الاجتهادية فحسب؛ بل يتعدى إلى توظيف المقاصد الدعوية والإصلاحية وإرفاق الفتوى بالتوجيهات المكملة لتلك المقاصد.

وفي النص الكامل للمداخلة المزيد من التفصيل والتحليل.

النص الكامل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أيها الإخوة الأعزاء السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأشكر لكم سعيكم هذا، وأدعو الله أن يسدكم وينفع بجهودكم الخيرة، ويدخر لكم أوفى الجزاء عنده. وبعد..

إن الحديث عن الإمام الشهيد العربي التبسي هو ذاته الحديث عن مرجعيتنا وأصالتنا وجذورنا، هو الحديث عما ينبغي أن نتذكر فيه دوماً وننفض عنه غبار النسيان.. هو الحديث عن منهجنا المتميز في الدعوة والإصلاح والتحديد.

ويطيب لي أن أستأذنكم أيها الأحبة في أن أقصر حديثي حول جانب واحد من جوانب تلك الشخصية الكبيرة، وأن أقف على مساحة صغيرة من شاطئ بحر واسع من العلم والفهم والدعوة والإصلاح والتحديد والجهاد.

ولا أخفيكم أيها الإخوة أنني حين قرأت القليل - ولا أقول الكثير - عن شخصية ذلك الإمام العلامة الفقيه المجتهد المجاهد.. أحسست بالتضائل الشديد، بل ربما داخلني الحياء من الوقوف أمام هذه النفس العظيمة، كأنما أنا تلميذ صغير أمام أستاذ كبير.. وهو شعور كاد يثني مني العزم عن مواصلة البحث في الموضوع لولا ما استنهضني من وخز الواجب، وأجب العناية برجال خلفوا لنا أمانة العلم والدعوة والإصلاح، لنحملها عنهم وتذارسها وتفهمها وتوارثها فكراً ومنهجاً.

وتلك - لا شك - غاية الغايات، فإن الذي أصابنا - نحن الجزائريين بالذات - هو داء التناسي والتكران لما نملك من تراث خلفه لنا رجال للعلم والدعوة والإصلاح والتحديد والاجتهاد.

الشيخ العربي التبسي في سطور:

أحد أعمدة الإصلاح في الجزائر، وأمين عام جمعية العلماء والمجاهد البارز الذي خطفته يد التعصب والغدر الفرنسية عام 1957م ولم يُسمع له ذكر بعدها.

وُلد الشيخ العربي عام 1895م في بلدة (السطح) من أعمال (تِبْسَة) التابعة لقسنطينة حفظ القرآن في قرنته، ثم انتقل إلى تونس لتلقي العلم في زاوية (الشيخ مصطفى بن عزوز)، انتقل بعدها إلى جامع الزيتونة، فنال منه شهادة الأهلية وعزم على الانتقال إلى القاهرة لمتابعة التحصيل العلمي في الأزهر.

عاد إلى الجزائر عام 1927م واتخذ من تِبْسَة مركزاً له، وفي مسجد صغير في قلب المدينة انطلق الشيخ في دروسه التعليمية، وواصل الليل بالنهار لإيقاظ هذا الشعب من الجهل وذل الاستعمار، وبدأت آثار هذا الجهد تظهر في التغيير الاجتماعي والنفسي لأهل تِبْسَة؛ حيث بدأت تحتفي مظاهر التأثير بالفرنسيين وبدأ الناس يلتفون حول رجال الإصلاح.

وكالعادة صُيِّق على الشيخ، فنصحته ابن باديس بالانتقال إلى غرب الجزائر، فاستجاب لذلك، ولكن أنصاره في تِبْسَة ألحوا عليه بالعودة وأسسوا مدرسة طلبوا منه أن يكون أول مدير لها. وبعد وفاة ابن باديس رحمه الله تعالى ونفي الإبراهيمي، اتجهت الأنظار إلى الشيخ العربي ليتحمّل المسؤولية ويتابع الرسالة الإسلامية، وتوافد إليه طلاب العلم من كل مكان، وفي عام 1947م تولى العربي إدارة معهد ابن باديس في قسنطينة فقام بالمهمة خير قيام. يقول عنه الإبراهيمي رحمه الله: «الأستاذ النسي - كما شهد الاختبار وصدق التجربة - مدير بارع ومربّ كامل، خرجته الكليتان الزيتونة والأزهر في العلم، وخرجه القرآن والسيرة النبوية، فجاءت هذه العوامل في رجل يملأ جوامع الدين ومجامع العلم ومحافل الأدب.

وفي عام 1956م انتقل الشيخ إلى العاصمة لإدارة شؤون الجمعية فيها، واستأنف دروسه في التفسير، وكان شجاعاً لا يخاف فرنسا وبطشها، يتكلم بالحق، ويدعو للجهاد ولم يأبه لتحذير الناصحين المحبين له الذين خافوا عليه من فرنسا والتي كانت تعلم مكانته بين صفوف الجماهير، وأثره عندما يدعوها للجهاد، وهو ليس من الناس الذين يتكلمون ولا يفعلون؛ بل يقول: لو كنت في صحني وشبابي ما زدت يوماً واحداً في المدينة؛ أسرع إلى الجبل، فأحمل السلاح، فأقاتل مع المجاهدين.

وفي 17 من (أفريل) عام 1957م امتدت يد (الجيش السري) الذي شكّله غلاة الفرنسيين المتعصبين لتخطف الشيخ العربي من منزله، وليكون في عداد الشهداء، رحمه الله رحمة واسعة⁽¹⁾. وجدير بأمة أمّجت مثل الشيخ التبسي أن توفيه حقّه وأن تُذكر الأجيال بمناقبه وأعماله.

خطاب الفتوى ومقاييس التجديد :

خطاب الفتوى فرع من الخطاب الإسلامي عموماً، وكلمة الخطاب تقيدها بدلالاتها اللغوية معنى التفاعل المتبادل بين طرفين، والغاية منه الوصول إلى المقاصد الإصلاحية والتجديدية بما يتناسب مع بُحْد الحياة في أساليبها وأشكالها ومشكلاتها. والإفتاء هو التأطير الشرعي للحياة الإنسانية بمختلف جوانبها، وهو مهمة علماء الأمة في كل عصر، وآلية تجديد خطاب الفتوى هي الاجتهاد، والاجتهاد هو مناط القوة والتقدم للأمة الإسلامية، والفتية المجتهد لا ينحصر دوره في استخراج الأحكام، وإنما يتجاوز ذلك إلى العمل المستطاع في توجيه الحياة البشرية، نحو الالتزام الكامل بما شرعه الله لعباده، ومن هنا يكون الاجتهاد قوة عقلية للبحث وكذلك قوة إرشاد وإنذار وتغيير⁽²⁾.

و«الاجتهاد لا يعتبر مجرد ضرورة اجتماعية تفرضها التطورات المعاصرة، وإنما هو مظهر حي لطاقت الأمة ومعيار من أهم معايير تفوقها الحضاري، وسلامة مسيرتها الفكرية»⁽³⁾.

ومن هنا كان المطلوب من علماء الأمة في كل عصر التصدي والتحدي لما يواجههم من مستجدات في مختلف مجالات الحياة، لتحقيق الحاجة الواقعية، ولإثبات استحابة الشريعة، وقيامها بحاجة العصر.

(1) انظر: منارات من شهاب البصائر، جمع وتصنيف وتحقيق أ. د. أحمد عيسوي، من ص 35 - 72، مجلة البيان

العدد 13.

(2) انظر: الاجتهاد والتقليد، د. محمد الدموقي، ص 9-10.

(3) اجتهاد إسلامي، د. محمد فاروق الشيبان، ص 105.

وإن التحديد الإفتائي المطلوب ليس معناه مطاوعة أنواع بحوادثه وفي أعتاش الثوابت من النصوص والقواعد لتتحنى للمواقع اللامحدود بالطاعة والتفديس. ولا يتحقق بالجمود القاصر على الصور والأشكال المرتبطة بالأطر الظرفية الزمنية والمكانية.

إن «التحديد الحق يعني العودة إلى الإسلام الأول قبل أن تشويه بدع المبتدعين، وتضييقات المتشددين، وتحريفات الغالين، وانتحالات المبطلين، وتأويلات الجاهلن: وعدوى التشويه التي أصابت الملل والنحل من قبل»⁽¹⁾.

والتحديد في خطاب الفتوى ينبغي أن يراعي المقاييس الآتية:

1. اختلاف أعراف الناس واختلاف مصالّهم وتعدّد حاجاتهم، وتغيّرهما عبر الزمان والمكان.

2. النظر في اختلاف المذاهب الفقهية، وتعدّد الآراء العلمية، وكون بعضها أنسب للمجتمع، وأصلح للتطبيق في مكان أو زمان معين من غيره من المذاهب الأخرى.

3. انطباق الحكم على الواقعة بذاتها أو عدم انطباقه، وذلك أن الشريعة لم تنص على حكم كل جزئية بخصوصها، وإنما أتت بأمر كلية وعبارات مطبقة، تتناول أعداداً لا تنحصر من الوقائع، ولكل واقعة معينة خصوصية ليست في غيرها.

والتحديد خاصة من خصائص الرسالة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة.

وفي الشريعة الإسلامية مساحة واسعة تركتها النصوص قصداً لاجتهاد المجتهدين في الأمة ليملووها بما هو أصلح لهم وأليق بزماهم وحافهم، مراعين في ذلك المقاصد العامة للشريعة، مهتدين بروحها ومُحكّمات نصوصها.

(1) النصحوة الإسلامية ومهم الوطن العربي والإسلامي، د. الفرضوي، ص 59.

ومعظم النصوص جاءت في صورة مبادئ كلية وأحكام عامة، ولم تتعرض للجزئيات إلا فيما كان شأنه الثبات والدوام كشؤون العبادات والأسرة، أما فيما عدا ذلك مما يختلف تطبيقه باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد فكانت النصوص فيه — غالباً — عامة ومرنة إلى حد بعيد لئلا يضيق الشارع على الناس إذا ألزمهم بصورة جزئية معينة فد تصلح لعصر دون عصر، أو لإقليم دون إقليم، أو لحال دون آخر.

والشريعة الإسلامية راعت الضرورات والحاجات والأعداء التي تنزل بالناس، فقدرتها حق قدرها، وشرعت لها أحكاماً استثنائية تناسبها، وفقاً لأهدافها العام في التيسير على الخلق.

ومن المعلوم أن أحكام الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد، وإقامة القسط بينهم، وهذا ما ينبغي مراعاته عند تفسير النصوص وتطبيق الأحكام، فلا يجمد الفقيه على موقف واحد دائم يتخذه في الفتوى أو التعليم أو التأليف، وإن تغير الزمان والمكان والعرف والحال، بل ينبغي عليه مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.⁽¹⁾

والمتابع حوادث التاريخ وشخصياته وحقايقه، يدرك أن تاريخ الإصلاح والتجديد متصل في الإسلام، وأن المصلحين والمجددين قد ظهوروا حيناً بعد حين، وحفظوا للإسلام جدته وشبابه.

ومن أعلام أمتنا الذين حملوا لواء الإصلاح والتجديد العلامة الإمام الشهيد العربي التبسي رحمه الله، الذي تحققت فيه بجدارة شروط الأهلية الاجتهادية، وتكاملت فيه مقاييس التجديد والإصلاح.

وحين نقرأ ما دونه العلماء في شروط التأهيل الاجتهادي سواء منها الشروط العنمية والفطرية، نجدها مستجمعة في شخصية الإمام العربي التبسي على كمالها.

(1) انظر: عوامل نسعة والمرونة في الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الصحوة للنشر، الطبعة الأولى، 1985م، باختصار.

استجماع شروط الفتوى في الشخصية العلمية للإمام العربي

التبسي:

ذكر الخطيب البغدادي رحمه الله بالسند عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: «لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله: بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتزويله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، وفيما أنزل، ثم يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله ﷺ، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيراً بال لغة، بصيراً بالشعر، وما يحتاج إليه للعلم والقرآن، ويستعمل مع هذا الإنصاف، وقلة الكلام، ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار، ويكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هذا هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم في العلم ولا يفتي»⁽¹⁾.

وبعد ذكر الشروط العامة لأهلية الإفتاء قال: «ثم يكون عالماً بالأحكام الشرعية، وعلمه بما يشتمل على معرفته بأصولها وارتياضه بفروعها. وأصول الأحكام في الشرع أربعة.

أحدها: العلم بكتاب الله، على الوجه الذي تصح به معرفة ما تضمنه من الأحكام: محكماً ومتشابهاً، وعموماً وخصوصاً، وبجملها ومنسراً، وناسخاً ومنسوخاً.

والثاني: العلم بسنة رسول الله ﷺ الثابتة من أقواله وأفعاله، وطرق مجيئها في التواتر والآحاد، والصحة والفساد، وما كان منها على سبب أو إطلاق.

والثالث: العلم بأقوال السلف فيما أجمعوا عليه، واختلفوا فيه، لينبع الإجماع، ويجتهد في الرأي مع الاختلاف.

والرابع: العلم بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها، والجمع عليها، حتى يجد المفتي طريقاً إلى العلم بأحكام النوازل، وتمييز الحق من الباطل، فهذا ما لا مندوحة للمفتي عنه، ولا يجوز له الإحلال بشيء منه».

(1) الفقيه، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المعروف بالخطيب البغدادي (392-

463هـ)، تحقيق عادل بن يوسف العزاوي، دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة 1417هـ. ج1، ص34.

وأورد الخطيب البغدادي عن أبي نعيم بالسند عن الفضل بن محمد الشعرائي، قال: سمعت يحيى بن أكنم، وسئل: متى تحب للرجل أن يفني قال: إذا كان بصيرا نبرأي، بصيرا بالأثر.

ثم قال الخطيب: وينبغي أن يكون: قوي الاستنباط جيد الملاحظة، رصين الفكر، صحيح الاعتبار، صاحب أناة وتؤدة، وأخا استنبات وترك عجلة، بصيرا بما فيه المنفعة، مستوفقا بالمشاورة، حافظا لدينه، مشفقا على أهل ملته، مواظبا على مروءته، حريصا على استنابة مأكله، فإن ذلك أول أسباب التوفيق، متورعا عن الشبهات، صادقا عن فاسد التأويلات، صليبا في الحق، دائم الاشتغال بمعادن الفتوى، وطرق الاجتهاد، ولا يكون ممن غلبت عليه الغفلة، واعتوره دوام السهر، ولا موصوفا بقلّة الضبط، منعوتا بنقص الفهم، معروفا بالاختلال، يجيب بما لا يسبح له، ويفني بما يخفى عنه.. وفي معرفة من يصلح أن يفني تنبيه على من لا تجوز فتواه».

وقال: «... لأن الفقيه يحتاج أن يتعلق بطرف من معرفة كل شيء من أمور الدنيا والآخرة، وإلى معرفة الجسد والفضل، والخلاف والضد، والرفع والضر، وأمور الناس الحارية بينهم، والعادات المعروفة منهم فمن شرط المفتي النظر في جميع ما ذكرناه»⁽¹⁾.

فهذا الذي أشرنا إليه مما دونه علماءنا من شروط ومقاييس للاجتهاد والفتوى قد أخذ منه علامتنا الإمام الشهيد العربي التبسي رحمه الله بالنصيب الأوفى والخط الأوفر. وقد شهد له من عرفه كالعلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بفضل العلم ووفور العقل وحدة الذكاء وشدة الحزم⁽²⁾.

ويكفي الإمام الشهيد العربي التبسي شهادة على تربعه على أهلية الإفتاء اعتماداً رئيساً للجنة الفتوى من قبل جمعية العلماء، وقد أعلن ذلك في جريدة البصائر عدة مرات⁽³⁾.

(1) : فقه وبلغه، ج2، ص35.

(2) : انظر: مقال للشيخ الإبراهيمي: رحلتي إلى الأقطار الإسلامية، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة الخامسة، عدد

197، الاثني 26 جريدة 1952م، 29 شوال 1371هـ، ص1.

(3) : فيها العدد 104، السنة الثالثة، السلسلة الأولى بتاريخ 18 مارس، 1938م، ص2.

ملامح منهج الإفتاء عند الشيع العربي التبسي:

لقد طالعت بتمعن واهتمام شديدين ما حفظ لنا من فتاواه رحمه الله، فوجدت أنه جمع خصائص مهمة قلما تجتمع في فقيه مجتهد، وهذا الذي يثير العجب الشديد، لقد جمع رحمه الله في خطاب الفتوى كل أصول الإفتاء وآليات الاجتهاد الفطرية والمعرفية، كما حصل القدر الكبير من التوفيق في فتاواه، وإن من أهم ما نستنبطه من ملامح منهج الإفتاء عنده بعد الاستقراء للتأمل لفتاواه ما يأتي:

- ✓ اعتماد مصدرية النصوص في الاستدلال على الأحكام.
- ✓ تقديم النصوص الشرعية على أقوال الفقهاء.
- ✓ الرجوع إلى كتب التفسير وشروح السنة.
- ✓ حسن الفهم والتعليل والتفريق.
- ✓ التفصيل في الجواب على احتمالات السؤال.
- ✓ الأخذ بالقواعد الأصولية والقواعد الفقهية في الفتوى.
- ✓ الأخذ بقواعد التحديث مما له صلة بالاستنباط.
- ✓ إنكار التقليد والرد على المقلدين الجامدين.
- ✓ الرد العلمي على المخالف ومناقشته.
- ✓ مراعاة حق الاختلاف والاعتراف بحق الاجتهاد مع الترجيح لما يراه وبيان أساس الترجيح.
- ✓ بروز المقاصد الدعوية والإصلاحية في فتاواه.

نموذج من فتاواه رحمه الله عليه:

إن العجيب حقاً أن تجتمع معظم هذه الملامح في الفتوى الواحدة، مما ينبي عن عبقرية فذة لا تجارى، يظهر ذلك في هذه الفتوى التي نوردتها كأنموذج، ثم نعبها ببعض التحليل:

سؤال الفتوى: ما قول سادتنا العلماء في من سب الدين من رعاغ المسلمين وسفيائهم. هل ذلك السب يخرج به الساب عن الملة ويعتبر به مرتد داخل فيمن

تسببها الآية: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65].
أفيدونا.

الجواب: إن هذا الشخص الذي سب الدين لا يخلوا حاله من أحد احتمالين:

الاحتمال الأول: أن يكون مستعملا للفظ في معناه اللغوي الشرعي، عالما بجرمته، فاصدا لسب الدين، فإما أن سب الإسلام أو من جاء به، أو من يعد سبه ردة في الإسلام، فهذا الشخص كافر، داخل في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]، ومستهزئ بالله وآياته، وكفره فوق كفر من عبد غير الله، لأنه ممن قال الله فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحراب: 57].

الاحتمال الثاني: أن يكون هذا الساب ناقلا كلامه من معناه اللغوي إلى معنى جديد متعارف عند من كان على شاكلته، نقلا ينسخ المعنى اللغوي، وذلك بطرؤ استعمال جديد، عرف على هذا اللفظ، كما يطرأ العرف على اللغة في كثير من الألفاظ طرؤا عاما عند الناس كنهم أو عند فريق منهم.

فإذا تصورنا هذا الاحتمال أمكن أن نقول: إن هذا الساب للدين قد نقل لفظ الدين من معناه الشرعي اللغوي إلى إهانة من يخاصمه ويتشاجر معه، واستعمل كلامه البشع القبيح في سب الشخص الذي تنازع معه، وذلك هو مراده، وذلك ما يفهمه خصمه أيضا، وقد يجيب خصمه أيضا منتقما منه بذلك اللفظ نفسه، مريدا هو كذلك سب خصمه، وكلاهما لا يفهم ولا يريد بسبه إلا خصمه، والدليل على هذا العرف وهذا النقل أن المقام الذي تستعمل فيه هذه الألفاظ هو مقام مشاجرة وخصام لا مقام كفر وردة، وإذا علمنا مقاصد المتسائين أنهما لم يريدان الكفر والردة لم يجوز لنا أن نحكم عليهما بالردة والكفر، ذلك أن الأعمال بالنيات، وهذا السب عمل لساني ليس من مقصد أهله سب الإسلام أو من يعد سبه ردة.

هذا ما فهمناه من هذه الحادثة الكثيرة الوقوع التي لو أجرنا الحكم فيها على ظاهر اللفظ غاضين النظر عن مقاصد الناس التي لا يجوز غض النظر عنها في الأحكام الشرعية، لحكمنا بردة ما لا يقل عن ثلث الأمة في الشمال الإفريقي، ونحن مع قولنا

عدم ردة أهل الاحتمال الثاني نقول: إن عملهم هذا معدود من منكر القول وفحشده. ومن الأقوال التي تحمل الكفر وانتفسيق، وما كان كذلك كان حراما بإجماع المسلمين.

فعلى العلماء والمدرسين والواعظين، والداعين إلى الله أن يقاوموا هذه الشناعات بكل ما أعطاهم الله من قوة الحجة: في باب الترغيب والترهيب، وإن هذا لمن أوكد الواجبات عليهم، لأنه حماية للدين وعلماء الدين هم حماة. اهـ⁽¹⁾.

والقراءة التأصيلية والتحليلية لهذه الفتوى تظهر لنا بوضوح مدى استجماع الإمام العلامة العربي التبسي لشروط الاجتهاد ومناهج الإفتاء، كما ترينا مدى توافر نموذج الفتوى الصحيحة بكل الموازين والمقاييس المنهجية التي دونها الأصوليون والمنظرون للفتوى قديما وحديثا.

وإذا أردنا الإشارة إلى بعض ما نستشفه من هذه الفتوى فإننا نسجل النقاط

الآتية:

- ✓ تفصيل الجواب مراعاة لاحتمالات السؤال.
- ✓ مراعاة قواعد مقصود الخطاب وتحري نوع الخطاب من لغوي وشرعي وعرفي.
- ✓ بناء الحكم على تحري قصد المكلف، عملا بقاعدة الأمور بمقاصدها المأخوذة من حديث النبي ﷺ (إنما الأعمال بالنيات).
- ✓ ذلك أن تعلق الحكم الشرعي بالبعد لا يكون إلا إذا توفرت شروط التكليف على كاملها، ومنها: العلم التام الناتج للجهل الذي قد يكون نوعا من العذر؛ ثم القصد التام من المكلف لمعنى تصرفه، لينتفي عذر الخطأ الذي هو نوع آخر من الأعدار.

(1) انظر: الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، جمع وإعداد: أحمد الرفاعي الشري، دار اليمن، قسنطينة: الجزائر، طبعه مزينة ومفتحة، 2005م.

✓ مراعاة عرف الاستعمال، وهو ما ينتشر استعماله عند الناس، ويكون ضم فيه قصد ثابت لا يختلفون فيه، بحيث ينصرف إليه الكلام أو التصرف عند إطلاقه. وهذا ما تحراه رحمه الله تعالى في هذه الفتوى.

✓ الاحتياط في الأحكام الشديدة الكفر والردة.

✓ مراعاة عموم البلوى، كما إذا كثرت الحوادث وتكررت كما في مسألة السب المذكورة. بحيث لو حكم بمقتضى ظاهر النصوص والأدلة وظاهر كلام المكلفين دون تحر لمقصود الشرع ومقصود المكلف، لأدى ذلك إلى أحكام شديدة قد يكون ضررها العام مستشرياً فاحشاً.

✓ بروز المقاصد الدعوية والإصلاحية في فتواه، وذلك بإرفاقها بالتوجيهات المكملة لتلك المقاصد، وهو ما نقرأه في وصيته - رحمه الله - للعلماء والمدرسين والواعظين بمقاومة تلك الشناعات والمنكرات القولية وغيرها.

أحكام

والنتيجة: إن ما بلغه الإمام الشهيد العربي التبسي من منزلة علمية وكفاءة اجتهادية يدل على عبقرية فذة، وعزيز سابق، وإن أمة تملك مثل هذه العبقريات لا يجوز لها أن تتوانى وتتكاسل عن واجب البحث والدراسة لاستنباط معالم المنهج الإفتائي الذي هو من صميم أصالتنا، والذي لا يقل أهمية عن تراث العبقريات الكثيرة في البلاد الإسلامية المشرقية. وهو جانب اعتزاز طالما تناسيناه.





جهوده في الثورة التحريرية



1920 1921 1922 1923 1924 1925 1926 1927 1928 1929 1930 1931 1932 1933 1934 1935 1936 1937 1938 1939 1940 1941 1942 1943 1944 1945 1946 1947 1948 1949 1950 1951 1952 1953 1954 1955 1956 1957 1958 1959 1960 1961 1962 1963 1964 1965 1966 1967 1968 1969 1970 1971 1972 1973 1974 1975 1976 1977 1978 1979 1980 1981 1982 1983 1984 1985 1986 1987 1988 1989 1990 1991 1992 1993 1994 1995 1996 1997 1998 1999 2000 2001 2002 2003 2004 2005 2006 2007 2008 2009 2010 2011 2012 2013 2014 2015 2016 2017 2018 2019 2020 2021 2022 2023 2024 2025 2026 2027 2028 2029 2030 2031 2032 2033 2034 2035 2036 2037 2038 2039 2040 2041 2042 2043 2044 2045 2046 2047 2048 2049 2050 2051 2052 2053 2054 2055 2056 2057 2058 2059 2060 2061 2062 2063 2064 2065 2066 2067 2068 2069 2070 2071 2072 2073 2074 2075 2076 2077 2078 2079 2080 2081 2082 2083 2084 2085 2086 2087 2088 2089 2090 2091 2092 2093 2094 2095 2096 2097 2098 2099 2100

جدلية الإصلاح والثورة في فكر الشيع العربي التبسي

الأستاذة: احسان بومالي

المركز الجامعي ميلث

إن الأمة العربية الإسلامية لم تكن معزولة عن الإنسانية قبل الإسلام أو بعده، وليس تاريخها إلا تفاعلا بين هذه الأمة وغيرها من الأمم، كما هو تفاعل بينها وبين الإسلام، واللغة العربية والشعر العربي -ديوان العرب- ملآن بالفاظ تشير إلى بلاد أخرى أو لغات أخرى، واتصالات عرب الحجاز بغيرهم عن طريق التجارة في رحلة الشتاء والصيف واتصالات اليمن والحيرة وتدمر والبراء وحلق وبصري عن طريق التجارة والسياسة أمثلة وشهود على ذلك.

ومع هذا فإن مختلف المدارس والجامعات في العالم الإسلامي، كانت الكتب المشهورة في التاريخ خلال فترة الاحتلال الأجنبي تفرض على الشباب تعلم تاريخهم على أنه مشوه ومثبوب بالشبهات في وقائعه وبطولاته، وفيه الهام لشخصية الأمة ووصف الأوطان بأنها عاشت تحتل طول الدهور والعصور.¹

وبما أن اللغة الأجنبية في الجزائر كجزء من العالم الإسلامي هي سيدة الموقف في الإدارة وفي الجامعة وفي الإعلام، وفي أغلب المؤلفات والمراجع وما كتب بها هو المرجع والمصدر، وهي لسان البعثات العلمية في الجامعات الفرنسية، فلا نستغرب إذا شوهت أسماؤنا وشخصياتنا بحروفها، وهي علة يتخذها علماء أوروبا للاستنفاص من أجدادنا في كل الميادين وأمام شبابنا وإطاراتنا.

ويعملون بالخصوص إلى الاستنفاص من قيمة الثورة حيث يتعون رجالها بأبغس الأوصاف وأقبح الكلمات، كل ذلك باختلاف المصطلحات: كالفلاقة وقطاع

¹ - محمد الطاهر عزوي: الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي. دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع: الجزائر. 1999م.

الطرق واندراويز ورجال الزوايا وغيرها، فشوه الأمير عبد القادر على أنه مستسلم و"ميراندي" وأن جمال الدين الأفغاني ماسوني وأن محمد عبده عميل لـ "كرومر" و"ذلوب" في مصر، وابن بولعيد بـ "الرحوي" وابن باديس "إبيس"¹ ... ومهما يكن فهي محاولة ووسيلة لإبعاد الشباب عن تاريخهم وتعتيم الرؤية أمامهم حتى لا يتعرفوا إلى أبطلهم وثوارهم وقادتهم ويطولوا قمع التي ينحني العالم إكبارا لها.

من محاولة إبعاد الشباب عن التاريخ عن طريق تشويهه، وتشويهه الشخصيات التاريخية والعلمية والفكرية قادي الهاجس الوطني والقومي والبحثي في آن واحد لإنارة نافذة من هذه النوافذ التي أريد حجب أنوارها وهو الشيخ العربي التبسي الذي أنار بفكره الإصلاحية التجديدي عقول الكثير من الشباب الجزائري والعربي في وقت كانوا أشد ما يحتاجون إلى من يأخذ بأيديهم إلى بر الأمان.

إنه العربي بن بلفاسم التبسي، من كبار علماء الإصلاح بالجزائر، جمع بين الوطنية الإصلاحية والوطنية الثورية، ناضل بقوة لاسترجاع الأخلاق الإسلامية ونشر المبادئ الوضوية، ولد في بلدة أسطح ناحية تبسة سنة 1895م، وكان الولد البكر لأبويه وبذلك يلتقي مع الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذه المرة بين أفراد أسرته، كما يلتقي مع الشيخ مبارك الميلي في زمن ولادته العقد الأخير من القرن التاسع عشر الذي ولد فيه كل منهما.

لقد اهتم أبواه بتربيته تربية إسلامية حسنة منذ أن أبصر النور في بلدته أسطح، حتى صار رجلا يشرف بدوره على تربية الناشئة وتوجيهها، وقد كان لنشأته في بيئة متدينة الدور الهام في رسوخ العقيدة الإسلامية والمبادئ الوطنية والدفاع عن الشرف في نفسه منذ سنواته الأولى من حياته، وتكون له بذلك "الشخصية الاجتماعية" التي تجعل صاحبها يعمل للأمة لا لنفسه وحدها.²

يضاف إلى هذا ما رواه الأستاذ علي دبور الذي يعرف الشيخ معرفة شخصية بأنه « كان جميل الطلعة تبدو في قسماته ونظراته من شهوره الأولى علامات الشخصية

¹ - نرجع نفسه ص 124.

² - عبد الكريم بن بلفاسم: رواد النهضة والتجديد في الجزائر " 1889 - 1965 م". دار المدى: الجزائر.

القوية والذكاء الوقاد»¹ وقد كان لهذه الصفات والحلال التي يمتاز بها الأثر الفعال في حياته العملية، إذ جعلته دائم السعي إلى إنجاز أعمال الخير والمشاريع التي تعود بالنفع لصالح أمته ووطنه.

إن هذه العقيدة الدينية والوطنية هي أساس بناء شخصيته، والتي ازدادت رسوخا في نفسه وعقله لما بلغ السادسة من عمره، أين «التحق بكتاب القرية لحفظ القرآن الكريم، ومنه إلى زاوية "حنيفة سيدي ناجي الرحمانية" التي كان معهدا مشهورا بتحفيظ القرآن الكريم، فترى فيها تربية دينية وعقلية قوية وختم فيها القرآن الكريم، كما قرأ مبادئ العلوم العربية وفهم أسرارها»².

استمر التبسي في مساره التكويني متنقلا بين الروايات يتلقى مبادئ العربية وأصول الشريعة الإسلامية من عقيدة وفقه وأصول الفقه وغيرها، ففتحت له أبواب العلم وازداد شغفه بها، لينتقل إلى جامع الزيتونة سنة 1913م لمزاولة دراسته العليا على أساتذتها الكبار، وقد وجد نفسه في أمس الحاجة إلى المزيد من العلوم والمعارف العربية والإسلامية التي تعينه على رفع راية الدين والعربية في وطنه المغصوب.

قاده اجتهاده ومثابرته وعمله الدؤوب إلى تحصيل شهادة الأهلية من جامع الزيتونة، مما جعله مؤهلا لشهادة التحصيل فسافر إلى جامعة الأزهر، ليعود إلى الزيتونة مرة أخرى ويحقق نجاحا فائقا، إلا أن هذا النجاح لم يلهيه عن بلده وأمه والمواجع التي تكابدها ليل نهار، جمع العلم إلى السياسة ليكون مصلحا وثوريا في آن، لقد أصبح من جملة أنصار الحزب الدستوري الحر الذي أنشئ سنة 1920م بتونس ليكون أثرا على الاستعمار في أي زمان ومكان.

لقد كانت مدة إقامته في تونس والتي دامت سبع سنوات (1913-1920

م) بداية المحاضرات لعمله السياسي والثوري والإصلاحي، خاصة وأن «تونس هي

1 - حمد علي دويوز: اعلام الإصلاح في الجزائر من سنة 1921-1975م، ط1. مطبعة البعث: قسنطينة. 1976م. ج1، ص 43.

2 - عبد الكريم بوالصفصاف: رواد النهضة والتجديد في الجزائر. ص70.

الدولة الوحيدة المستقلة المتاخمة للجزائر المجاهدة وهي تستمد كثيرا من قواها من شقيقتها المستقلة تونس»¹.

عاد الشيخ إلى الجزائر سنة 1927م حين سمع باستفحال الحركة الإصلاحية عن طريق الرسائل والصحف التي كانت تنقل إليه نشاط العلماء الذين رجعوا إلى أرض الوطن وأخذوا يؤسسون المدارس والنوادي والجمعيات، فشرع في ميدان التعليم على المنهج الإصلاحي وأعاناه في ذلك خيرته التي اكتسبها بنشر المقالات الإصلاحية والتربوية مع جماعة الشهاب، منذ أن كان طالبا في القاهرة التي قضى بها سبع سنوات. ثلاث سنوات كانت كافية بعد العودة إلى أرض الوطن ليظهر التبسي على المنبر الرسمي للحركة الإصلاحية سنة 1932م، ثم عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1935م وأميناً عاما لها خلفا للأمين العمودي.² وترجع فكرة إنشاء منظمة العلماء الجزائريين إلى فترة ما قبل الحرب كما يقول أحد مؤسسي جمعية العلماء.

حيث إن العلماء الجزائريين كانوا قد تحدثوا عن قضية خلق منظمة لهم قبل الحرب عندما كانوا مقتنعين أن تدهور الجزائر الاجتماعي والديني أصبح منذرا بالخطر، فسنذ حقة ما قبل الحرب إذ كان العلماء يناقشون بناء على هذا المصدر دورهم الفعال في قيادة الشعب إلى حياة أفضل³. فكان هذا التحول برهانا أكيدا على انتصار حركة الإصلاح الإسلامي التي كان يتودها بعزم رائع وإرادة صلبة وإيمان عميق وحجة دامغة وعلم غزير، الشيخ عبد الحميد بن باديس ومن وقف إلى جانبه ساعة العسرة من المؤمنين الصادقين أمثال الشيخ العربي التبسي.

وكانت هذه الحركة الإصلاحية تدعو في مجموعها إلى أفكار المصلح الإبلاهي الأكبر شيخ الإسلام "ابن تيمية" واتخذت مجلة "الشهاب" شعارا لها قول الإمام مالك

1 - عبد الله شريط: الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية " 1959م ". منشورات وزارة المجاهدين: الجزائر، ج. 1، ص 211.

2 - عبد الكريم بوالصنصاف: الشيخ العربي بن بلفاسم التبسي العالم التحرير والربي الكبير " في ذاكرة التاسعة والأربعين، دار الهدى: الجزائر، 1427 هـ/ 2006م، ص 13.

3 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار التراث: الجزائر، عام المعرفة: الجزائر، 2009م، ج. 2، ص 385.

بن أنس - رضي الله عنه - : "لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، واكتسبت الحركة قدرتها وقوتها من خلال الصراع المستمر، ومن خلال تجوزها للتحديات المتتالية، وعبر تحركها اليقظ والحذر على طريق التقدم والتطور¹.

هكذا نشأت "جمعية العنقاء المسلمين الجزائريين" ولم تعرف الحكومة الفرنسية كيف تجابه هذا الموقف الجديد، لأن تأسيسها كان حدثا تاريخيا عمل على تنظيم تيار جارف أمكن له تغيير أوضاع الجزائر دينيا وعلميا وأخلاقيا واجتماعيا، فكانت تثبت في كل مكان روح الإيمان الخالص والوطنية الحقة وأخلاق الفضيلة والرجولة الكاملة.

كيف لا؟ وقد اتخذ العلماء المجاهدون كافة الترتيبات لنجاح انطلاقة الجمعية في مراحلها الأولى، لأنهم على علم بأن الطريق وعرة المسالك، فإذا ما أصاب المشروع عطب في الطريق تكون الأمة قد أصيبت بنكسة شديدة، ربما فقدت معها أملها. والشيخ واحد من هؤلاء العلماء المجاهدين الذين ساهموا مساهمة فعالة في إنجاح المشروع وإرساء دعائمه، ويشهد له بذلك الأستاذ أحمد توفيق المدني قائلا: «وأشهد أن القسط الأكبر من الجهود التي أقامت المعهد وحققته، كانت مبدولة من قبل شيوخ جليلين متنافرين متشاكسين، متناقضين في كل شيء، إلا في الإيمان والإخلاص، هما الشيخ العربي التبسي، شيخ المعهد ونائب رئيس جمعية العلماء، والشيخ محمد خير الدين، النائب الثاني للرئيس»².

بقي العربي التبسي في كل مواقفه ملتزما بمواقف الجمعية، مؤيدا لها، منفذا لمنهجها، وكان له فضل كبير في إيقاظ الوعي الإسلامي الصحيح، «لما تولى الرئيس الأول للجمعية وخلفه الشيخ البشير الإبراهيمي في الرئاسة أصبح التبسي نائبا له، وبعد إنشاء معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس في مدينة قسنطينة عام 1947م أصبح مديرا له»³. وقد كان يمتاز بقوة الشخصية وصلابتها، والشجاعة في إبداء الرأي والدفاع عنه، والثبات عليه مهما كانت الظروف.

¹ - بسام العسيلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية. دار النفايس: بيروت. ص 110.

² - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح "مذكرات". دار البصائر: الجزائر. 2009. ج 2. ص 564.

³ - رابع تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس " زائد الإصلاح الإسلامي والقرية في الجزائر ". ط5. المؤسسة الوطنية للتحصال والنشر والإشهار: الجزائر. 1422هـ / 2001م. ص 171.

في سنة 1953م وبعد أن استقر الإبراهيمي بصفة مؤقتة في الشرق العربي أصبح العربي التبسي قائدا عاما لحركة جمعية العلماء.¹ ولما اندلعت ثورة التحرير الكبرى التي لم تكن إلا جزءا من الخطة العامة الواسعة التي رسمت خطواتها تلك العقول الكبيرة التي أسست هذه الجمعية، وليس أعظم ثوار الجزائر بطولة إلا تلاميذ برة لجمعية العلماء ومنفذين مخلصين لخطةها الحكيمة.² وكانت العقيدة الإسلامية والعاطفة الدينية أقوى بواعث هذه الثورة وأمضى أسلحتها ومن أعماقها كانت تستمد الثورة قوتها وهيبها.

في هذه السنة 1954م قرر زعماء الجمعية الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني وحل الجمعية نهائيا، ثلاث سنوات بعدها قامت سلطات الاحتلال باختطاف الشيخ العربي التبسي في مساء الخميس 4 رمضان 1376 هـ الموافق لـ 4 أبريل 1957م وعند الساعة 11 ليلا، أين اقتحم جماعة من الجنود الفرنسيين التابعين لفرق المظلات سكني فضيلة الشيخ الرئيس الثاني للجمعية، والمباشر لتسيير شؤونها، وأكبر الشخصيات الدينية، بعد أن حطموا بعض نوافذ الأقسام المدرسية الموجودة تحت شقته "بجي بلكور" طريق التوت.

كان ذلك شأهم في اقتحام ديار الجزائريين، لا يأتونها من أبواهم، وإنما من السلطوح أو النوافذ، لتتم - حسب زعمهم - المفاجأة، أو لبشتد الإرهاب والنكال، ثم طرقت باب الشقة، ففتحت لهم، وقد وجدوا فضيلة الشيخ في فراش المرض الملازم له، والذي اشتد عليه منذ أوائل شهر آذار 1957م، وأخذت نوباته تتوالى عليه عتيقة عدة مرات في الأسبوع، لم يرعوا حرمة الدينية ولا سنه المتقدمة، ولا ألهم مرضه الشديد. انتزعوه من فراش المرض بكل وحشية وفضاعة، ثم أخذوا في التفتيش الدقيق للسكن والملفات والكتب والرسائل، بعد أن حجزوا عائلته، وفصلوه عن أبنائه وبناته، ثم أخرجوه حاسر الرأس، حافي القدمين غير متدثر بشيء من لباسه المفضل وكان من

1 - محمد علي دبرز: أعلام الإصلاح في الجزائر. ج2، ص71.

2 - الشيخ محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين. ج3، مؤسسة الضحى: الجزائر. 2009م. ج2.

المحقق لدى العائلة أنهم ذهبوا به للتحقيق معه، وعومل بهذه المعاملة لأنهم لم يشاءوا أن يميزوه بشيء عن أفراد شعبه.¹

لكن الشيخ العربي التبسي كان متميزا رغم أنوفهم بأعماله وشخصيته وتوجهه الفكري، وبطولاته التي بقيت مخفورة في ذاكرة كل الجزائريين، وهو الذي تعرض إلى عملية الاعتقال عدة مرات إبان الحرب العالمية الثانية لأنه كان أكثر ثورية من زملائه العلماء في ذلك الوقت، وأقوى لهجة في الهجوم على مظالم وجرائمه.

كانت الوطنية والقومية تسري في وجدانه سريان الدم في الجسم، فتعرض للاعتقال مرة أخرى سنة 1943م، وألقي في غياهب السجون من لاميير بياتة إلى سجن الكدية بقسنطينة وهما مؤسستان عقابيتان من أكبر السجون الفرنسية رعبا ووحشية، حيث وضع في زنزانة منفردة قضى بها ستة أشهر قبل أن يقوم الشيخ الإبراهيمي وفرحات عباس بمساعي مع الجنرال "جيرو" وإقناعه ببراءة الشيخ العربي ومن ثم تحريره من الاعتقال.

إن هذه الإساءة والنكال والتعذيب لم تثني من عزمه، فسارع إلى مسقط رأسه تيسة ليواصل جهاده في ميدان التعليم وظل كذلك حتى وقعت مجازر الثامن ماي التي «كانت الأمة الجزائرية تغلي غليانا إثر هذه الحوادث، ينذر بانفجار شديد، وكان فرحات عباس قد خرج من سجنه، وعاد رجال أحباب البيان والحرية إلى العمل والاجتماع، ومعالجة الموقف بما يجب، والاستعداد لخوض معارك السياسة».²

والحق أن الشيخ رغم أنه من أهم رجال جمعية العلماء المسلمين بين الحريين العالميتين الأولى والثانية، إلا أن شخصيته قد برزت أكثر بعد الحرب التحريرية حيث إنه من أبرز الشخصيات التي كانت تعمل على نشر وتدعيم الحركة الإصلاحية في منطقة الشرق الجزائري، لكن مشاركته في الميدان النظري كانت تبدو ضئيلة بالقياس إلى الزعماء الآخرين كابين باديس والإبراهيمي ومبارك الملي، وذلك مرده أن تكوين العربي التبسي كما أسلفنا الذكر كان دينيا عقديا عميقا.

¹ - بسام العسيلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية. ص 176 - 177.

² - أحمد توفيق شابي: هذه هي الجزائر. 2009م. ص 119.

لقد كانت مجهوداته في ميدان الإصلاح ترتكز بالدرجة الأولى على استرجاع الأخلاق السامية التي تعود إلى عصر الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ثم إن أفكاره ومحاضراته التي يلقها في المساجد والمدارس والمنشورة في الصحف ولاسيما "الشهاب"، كانت تدور كلها حول القضايا الدينية في المجتمع الإسلامي مما يدل على ارتباطه الشديد بعمله في ميدان الإصلاح من تنظيم حياة اجتماعية إسلامية خالصة.¹

كان يعمل الشيخ جاهدا من أجل المبادئ والأفكار الإسلامية التي تعارض الناس في حياتهم اليومية، كما كان يعمل على إيجاد أرضية خصبة لتطبيق الإسلام على مستوى العبادات وعلى نطاق الحياة الروحية والسلوكية في المؤسسات الاجتماعية الجزائرية على اختلافها.

إن هذا هو الهدف الرئيسي الشخصي له، بل هو الأمل الذي ناضل كثيرا من أجل أن يتحقق على أرض الجزائر فكان رجلا مفكرا وصاحب مذهب أخلاقي وثوريا متحررا في المجالات جميعها وخاصة منها الوطنية والدينية، كان يبحث عن الحرية في وطنه وفق أسس دينية إسلامية، مؤمنا بأن الثورة الناجحة لن تكون إلا بإتباع مبادئ الإسلام وتطبيقها على أرض الواقع.

ومن الملاحظ أنه كان متشددا في دعوته الإصلاحية الإسلامية مع أتباعه وأنصاره ومستمعيه في الوقت الذي كان المجتمع الجزائري يعيش تناقضات بين هويته وما يفرض عليه من أفكار وأيديولوجيات أجنبية، وكان هو نفسه يدرك هذا التناقض والتعارض الذي يعيشه شعبه في ظل الاحتلال الفرنسي ولم يكن راضيا عن ذلك.²

إن تشدد العربي التبسي في فكره الإصلاحية مرده لسبيين، فأما الأول فتكوينه في بواكير عمره، والذي كان تكويننا إسلاميا محضا وقد اهتم أبواه بتربيته تربية إسلامية حسنة، وحفظه القرآن في سن مبكرة وتفقهه في أصول الشريعة والإجازة فيها، وأما الآخر فهو إيمانه بأن تمجيد الأخلاق السامية القديمة، ودعوة المسلمين إلى حيض الإسلام الصافية الصحيحة هو أنسب مذهب للإصلاح والتجديد.

¹ - عبد الكريم بوالصصاف: الشيخ العربي بن بقاسم التبسي "العالم النحرير والبري الكبير" ص.15.

² - المرجع نفسه، ص.16.

بتعبير بسيط إن الشيخ العربي التبسي شخصية إسلامية علمية إصلاحية متفردة، ورائد من رواد النهضة والتجديد في الجزائر، ارتكزت أفكاره الإصلاحية على مساري الثورة والإصلاح، وذلك بالعودة إلى الأصول وهي تطبيق تعاليم الإسلام الخفيف، وبعث السنة وتطبيقها بكل دقة وصرامة، وكانت هذه النظرية الشخصية للإصلاح سببا من أسباب اغتياله في ظروف غامضة سنة 1957م، وإن كانت جمعية العلماء أذاعت على العالم أجمع أن الإدارة الفرنسية المدنية والعسكرية، مسئولة مسؤولية كاملة في قضية اغتياله.

رحم الله الشيخ العربي التبسي وشيوخ الجزائر وبناة نهضتها الحديثة من قبله ابن باديس وأصحابه، وأمد الله في عمر الباقيين منهم، وحيأ الله رجال الثورة الجزائرية الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من تحرير بلادهم من الإستعمار ونهجه الجاهلي التكفيري وساروا على درب القويم الذي سار عليه منقذ الإنسانية وهديته الحق إلى الخلق وشفيح الخلق إلى الحق محمد-صلى الله عليه وسلم- وصحابته أجمعين.



قائمة المصادر والمراجع

- 1- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية. دار الرائد: الجزائر. عالم المعرفة: الجزائر. 2009م. ج2.
- 2- الشيخ محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين. ط3. مؤسسة الضحى: الجزائر. 2009م. ج2.
- 3- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح " مذكرات ". دار البصائر: الجزائر. 2009م. ج2.
- 4- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر. 2009م.
- 5- البشير الإبراهيمي: الدروس العلمية ببيتة. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. ط1. مطبعة الغرب الإسلامي: لبنان. 1999م.
- 6- بسام العسيلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية. دار النفائس: بيروت.
- 7- رابع تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس " رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ". ط5. المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار: الجزائر. 1422 هـ/2001م.
- 8- عبد الكريم بوصفصاف: رواد النهضة والتجديد في الجزائر " 1889 م- 1965 م". دار الهدى: الجزائر. 1428 / 2007م.
- 9- عبد الكريم بوصفصاف: الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي العالم التوحيد والمربي الكبير "في ذاكرة التاسعة والأربعين". دار الهدى: الجزائر. 1427 هـ/2006م.
- 10- عبد الله شريط: الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية " 1959 م". منشورات وزارة المجاهدين: الجزائر. ج1.
- 11- محمد الطاهر عزوي: الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع: الجزائر. 1999م.
- 12- محمد علي دبور: أعلام الإصلاح في الجزائر من سنة 1921م - 1975م. ط1. مطبعة البعث: قسنطينة. 1976م. ج1. ج2.

مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة التحريرية

أ.د / نصر سلمان

أ.د / سعاد سطحي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

إن جمعية العلماء المسلمين لها بعد ثوري، وذلك بتهية الأرضية التي مهدت للثورة التحريرية الكبرى، بتكوين الإطارات، وتوعية الشعب الجزائري، قصد الحفاظ على هويته الوطنية، التي جعلته ينتفض من أجل إخراج هذا المستعمر العاشم، وتحرير الوطن من بطشه الوحشي، وفكره الاستيطاني الذي حاول من خلالهما طمس الشخصية الوطنية ممثلة في العروبة والإسلام، وهذا ما سوف تناوله بالتفصيل من خلال العناصر الآتية:

أولاً: تمهيد جمعية العلماء المسلمين وقيته الشعب الجزائري للثورة.

ثانياً: تفكير قائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة .

ثالثاً: مساندة جمعية العلماء المسلمين للثورة بعد اندلاعها .

أولاً : تمهيد جمعية العلماء المسلمين وتكوين الشعب الجزائري للثورة.

إنه لا يخفى على الشيخ عبد الحميد بن باديس الفقيه الأصولي، الدارس للقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ولسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، بأنه لا بد من التدرج في العمل.

ولقد ذكر الأستاذ عبد الرشيد زروقة بأن ابن باديس عمل على تأصيل عمق انتماء الشعب الجزائري، وتأكيد اعتصامه بمقومات شخصيته الذاتية، وأصول هويته الحضارية والثقافية، المحددة لانتمائه، والمميزة لهويته، والتأكيد على الوحدة الدينية واللغوية، والوطنية للشعب الجزائري، حيث وقف ابن باديس بقوة في وجه إدارة الاحتلال، التي حاولت تشويه أو طمس هذه المعالم، كما وقف كذلك بالقوة نفسها ضد بعض الجزائريين الذين ساءروا الاستعمار في هذا التيار، ولقد نجح ابن باديس بمساعدة إخوانه من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تصحيح عقائد الأمة الجزائرية، وتطهيرها من شوائب الشرك القولي والعملي التي شابها، فصحت العقائد، وصحت لصحتها الإيرادات والغزائم.¹

فلاحظ بأن موافقه كانت تكتيكية، مبنية على معطيات الواقع، ومتطلبات المرحلة وتحدياتها.² يقول ابن باديس -رحمه الله-: "أنا أحارب الاستعمار لأنني أعلم وأهذب، ومضى انتشر التعليم والنهذب في أرض، أجذبت على الاستعمار، وشعر في النهاية بسوء المصير".³

ولقد ذكر الأستاذ عمار طالي بأن الشيخ عبد الحميد بن باديس جمع بين النهضة الثقافية الاجتماعية، وبين النهضة السياسية، حيث صرح في محاضرة ألقاها في تونس: " لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم، ولا يتنفض العلم والدين حق النهوض إلا إذا هضمت السياسة بحق".⁴

(1) — عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913 — 1940، دار الشهاب، بيروت لبنان، ط: الأولى، سنة 1420هـ / 1999 م، ص: 198 و ص: 251.

(2) — عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913 — 1940، ص: 153.

(3) — صلاح الدين الطوروشي: تجربة في الإصلاح (ابن باديس)، دار الرابطة للنشر، تونس ط: 1978 م، ص: 33.

(4) — عمار طالي: ابن باديس حياته وآثاره، جمع ودراسة، دار الغرب الإسلامي، ط: 1983، بيروت، لبنان ج

ولقد اتخذ النشاط الصحفي وسيلة للسياسة والتهديب، كما اتخذ المؤسسات التربوية للتعليم والتربية، وتكوين القادة، وبت الوعي والواقع أننا لا نستطيع أن نفصل بين نشاطه العلمي والسياسي فهما متداخلان متكاملان في نظره وعمله.¹

ويسمى ابن باديس في هذا الخط متحدثاً عن الاستقلال والحرية مطالباً فرنسا بالحقوق كأنما ليوهم فرنسا أنها صاحبة الأمر ليواصل هو عمله في إيقاظ الأمة، ذلك أن أمة جاهلة بدينها، وتاريخها، ولغتها، وشخصيتها، وكماها لا تقوى على أخذ الاستقلال أو التفكير فيه. وكان مما قاله ابن باديس يوقظ به الأمة إلى حقها في الاستقلال فيقول:

"إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة، ولسنا مع الذين يدعون علم الغيب مع الله، ويقولون إن حالة الجزائر الحاضرة سندوم إلى الأبد، فكما نقلت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أن تزداد تقدماً... وتصبح الجزائر مستقلة استقلالاً واسعاً، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر".²

ولكن لا يجد الباحث في أحاديث ابن باديس إلا تنفا تشير إلى علاقة حركته باستقلال الجزائر، نظراً لما كان يعلمه من نيات الاستعمار المبينة له وجمعيته بعدما ذاع صيتها وبان أمرها. ولعل أكثر كلماته صراحة في هذا المجال ما قاله حين عودة مصالي الحاج من فرنسا ومطالبته باستقلال الجزائر: "وهل يمكن من شرع في تشييد منزل أن يتركه من دون سقف؟ وما غايتنا من عملنا إلا تحقيق الاستقلال".³

إن هذا الكلام وغيره مما كان يخفيه ابن باديس ولا يبيده لحاجة في نفسه يريد قضاها، تتصل بالبند الذي ورد في القانون التأسيسي للجمعية والقاضي بالبعد عن الشأن السياسي، وهو بند أراد أن يراوغ به الإمام الإدارة الاستعمارية لتلا تحول دون

(1) — عمار طالي: ابن باديس حياته وآثاره، جمع ودراسة، ج 1، ص 88.

(2) — المرجع نفسه ج 1، ص 89 — 90.

(3) — المرجع نفسه ج 1، ص 89.

مشروعه الإصلاحية وهو لا يزال في المهيد. والغريب أن يستدل بعض المرصين بهذه الحكمة البالغة من الإمام ليقول إن جمعية العلماء لم تشترك في تحرير الجزائر¹ ويذكر مدير المدرسة القرآنية. مسجد البيضاوي بقسنطينة الأستاذ يوسف بوعابة أن جمعية العلماء ولدت لإماتة الاستعمار في شعور الأمة وعواطفها. واقتلاعه من سفوحها وجبالها، فقدمت خدمات جليلة للإسلام والعروبة ودرست تاريخ الشعب الجزائري وواقعه كما يُدرس الكتاب وعلمت سبب فشل الثورات السابقة -على ما فيها من حسنات- بأنها لم تملك أسباب النصر. وأهمها:

- ✓ إيجاد الفرد القادر على المقاومة -من الذكور والإناث- والتخلص من الشعور بالضعف ومركب النقص. والثقة الكاملة بأن النصر من عند الله.
- ✓ القدرة على الانتشار في جميع ربوع الوطن من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه والتغلغل في المدن والقرى والمداشر.
- ✓ انتظار الفرصة الملائمة والوقت المناسب لإشعال الثورة واستغلال الأحداث الإقليمية والعالمية، فإذا توفرت هذه الأسباب مع التوكل الحق على الله والاعتماد عليه فإن النصر يكون حليفهم ولو بعد حين -بإذن الله-².

ثانياً: تفكير قائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة .

ولقد كان رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله سباقاً في التفكير و الاستعداد لانطلاق الثورة ضد المستعمر الفرنسي، حيث يقول أحد تلاميذه أنه أقسم أمام بعض خليفائه قائلاً: "والله لو وجدت عشرة من عقلاء الأمة الجزائرية يوافقوني على إعلان الجهاد لأعلته"³.

وقد حدث أحد المقربين للشيخ عبد الحميد بن باديس الأستاذ حمزة بوكوشة أنه دعاه ذات يوم للمبايعة على إعلان الثورة المسلحة، وحدد له تاريخ إعلانه بدخول

(1) — حريدة الغد نشر: 2005/05/27 <http://alghad.com>

(2) — يوسف بوعابة: مقال بعنوان دور جمعية العلماء المسلمين في إدكاء الثورة، الجمعة، 03 فبراير 2012

(3) — عمار طالي: ابن باديس حياته وآثاره، جمع ودراسة، 1، ص 89 .

إيطاليا الحرب بجانب ألمانيا ضد فرنسا بما يحقق هزيمتها السريعة فيابعد عمى ذلك، وقد أكد ودعم الشيخ محمد بن الصادق جلولي هذا الأمر، لكن إيطاليا دخلت الحرب في 10 جوان 1940، والشيخ ابن باديس توفي بتاريخ 16 أفريل 1940.¹

ويذكر الشيخ أحمد حماني:

بأن الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقال له تحت عنوان: "هل آن أوآن اليأس من فرنسا" نشر بالشهاب في جمادى الآخرة 1356، جاء قوله: «لقد أخذ اليأس بتلابيب الكثير منا، وهو يكاد يعم، ولا تتردد أنه قد آن أوآنه ودفقت ساعته».

ثم قال: «كذب رأي السياسة، وساء فألها، كلا والله لا تسلمنا المماطنة إلى الضجر الذي يقعدنا عن العمل، وإنما تدفعنا إلى اليأس الذي يدفعنا إلى المغامرة والتضحية»²

ماهي المغامرة المصحوبة بالتضحية أليست الثورة المسلحة التي تحقق الاستقلال؟ إن الثورة لا تكون إلا بالتضحية الغالية بالأنفس والأموال، والمغامرة يقدم على مغامرته دون أن يحسب حسابا لربحه أو خسارته ويوازن بينهما.³

وقال الشيخ أحمد حماني:

" ومن ذلك ما سمعته بأذي وحضرته بنفسي في إحدى أمسيات خريف 1939 م في مجلس مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، وتطرق الحديث إلى موضوع الحالة السياسية بالجزائر بعد إعلان الحرب، وموقف بعض كبار رجال الأحزاب السياسية الذين جندوا -إجباريا أو تطوعا- في صفوف الجيش الفرنسي، وكان الشيخ رحمه الله متألما جدا من هذا الضعف فيهم، وقد صرح بما فحواه: «لر

(1) - الشيخ أحمد حماني - رحمه الله - ذكر ذلك في مقال له منشور في مجلة الرسالة التي كانت تصدر عن وزارة

الشؤون الدينية بالجزائر، العدد الرابع، ربيع الأول 1401 هـ - يناير 1981.

(2) - الشهاب، ج 6، م: 13، ص: 272.

(3) - الشيخ أحمد حماني - رحمه الله - ذكر ذلك في مقال له منشور في مجلة الرسالة التي كانت تصدر عن وزارة

الشؤون الدينية بالجزائر، العدد الرابع، ربيع الأول 1401 هـ - يناير 1981.

أهم استشاروني واستمعوا إلي وعملوا بقولي لأشرت عليهم بصعودنا جميعا إلى جبال أوراس، وإعلان الثورة المسلحة»¹.

أكد الشيخ "محمد الحاج بجة" أحد تلاميذه الأقدمين - من دائرة آقبو - أنه كان تلميذا في أوائل الثلاثينات، وأن الشيخ رحمه الله كان يسأل تلاميذه الكبار: هل أديتم الخدمة العسكرية؟ ومن أجاب بنعم ميزهم عن الآخرين وصرح لهم أننا سنحتاجكم يوما ما، وحثهم على عدم نسيان ما دربوا عليه من أعمال الحرب، ولعل هذه الشهادة تفسر شدة اتصاله رحمه الله بتلميذه الشيخ الفضيل الورتلاني رحمه الله، فقد كان من الذين أدوا الخدمة العسكرية قبل أن يتصل به فكان يقربه جدا، ويستصحبه معه في بعض رحلاته.²

ويقول الشيخ أحمد حماني - رحمه الله - عن الشيخ عبد الحميد ابن باديس:

"إنه رحمه الله - كما كان مفكرا ثائرا في ميدان العقيدة والدين ضد الفساد في الاعتقاد، والانحراف في العمل والخروج عن الكتاب والسنة - كان كذلك ثائرا ضد الظلم والطغيان الاستعماري عاملا لتقويض سلطان المستعمر على البلاد والعباد، جادا في طرده، وتطهير الوطن من أرجاسه لا بالدعاء والقول فقط، ولكن بالثورة المسلحة."³

وكثيرة هي الدلائل على هذا التفكير ومنها أحاديثه لتلاميذه حيث يروي الشيخ محمد الصالح رمضان أن بعض شبّان الحركة الوطنية جاؤوا للشيخ ابن باديس وقالوا له أنت شخصية كبيرة، لماذا لا تدعو للاستقلال وأنت مسموع الكلمة؟ فقال لهم: "يا أبنائي من أراد أن يبني منزلاً هل يبدأ بالسقف؟ قالوا: لا، قال: فيماذا إذن؟

(1) - المرجع نفسه .

(2) - المرجع نفسه

(3) - أحمد حماني وذكر ذلك في مقال له منشور في مجلة الرسالة التي كانت تصدر عن وزارة الشؤون الدينية

قالوا: بالأساس والجدران، فقال: هذا ما أفعله، الآن نبي الأساس والجدران ثم نبي السقف¹

"وهكذا فالإسلام لا يحجر على العلماء التدخّل في أي شأن من الشؤون العامة كما يزعم البعض في هذه البلاد بل هم أولى من غيرهم بذلك وهم رعاة الأمة المسئولون وليس لغيرهم أن يستهجن فعلهم أو يلومهم إذا هم قاموا بما يجب عليهم نحو أمّتهم. وليس مهمة العالم في الإسلام قاصرة على التدريس والإرشاد فقط... ويعدّ فينب كان العلماء في كل أمة وفي كل عصر إلاً قادة الفكر والسياسة والدين"²

وفي إحدى زيارته لتونس دُعي لإلقاء محاضرة في جمعية الطلبة الجزائريين بتونس والجمعية الواداية الجزائرية بتونس في ربيع الأول 1356هـ / يونيو 1937م، فكان مما جاء في محاضراته قوله: "وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معاً، وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم والابتعاد عن مسائل السياسة مع أنه لا بدّ لنا من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم إلا إذا نهضت السياسة مجد"³

وهو الذي عمل طوال سنوات عمره القصير والمبارك على تهيئة أرضية الثورة بالتعليم ونشر الوعي الذي حافظ على الشخصية الجزائرية، وكون جيشاً من الشباب أصبحوا بعد اندلاع الثورة من عناصر وإطارات وقيادات الثورة المسلحة.

ولعل هذا ما أكده تقرير ضابط المخابرات الفرنسي الكومندان "جانك كاري" المختص في الشؤون السياسية بالولاية العامة الفرنسية بالجزائر، عندما قال في تقريره عن اندلاع الثورة: "قد لا تكون جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على إطلاع على القرار السري لإعلان التمرد في أول نوفمبر 1954، ولكنها هي التي مهدت له الأرضية وكونت إطاراته اللازمة"، ولقد قال الشيخ بشير الإبراهيمي في جريدة

(1) - خليل حوراني: عبد الحميد بن باديس الناعية المصلح والسياسي المجاهد، مقال بتاريخ الأربعاء، 01 فبراير

(2) - مازن مطبقاني: عبد الحميد بن باديس، ص 87، نقلًا عن: البصائر: العدد 43، 71.

(3) - مازن مطبقاني: عبد الحميد بن باديس، ص 87، نقلًا عن: البصائر: العدد 43، 71.

البصائر: "إن بغْيَ القوي على الضعيف قد طمس معالم الحق بينهما، ووردهما إلى نوع من الحيوانية.. حتى أصبحت الاستطالة في الأقوياء طبيعة والاستكانة في الضعفاء طبيعة، وإن طبيعة الأولين لا تتبدل إلا بعد تبدل طبيعة الآخرين، وإن الحقوق التي أخذت اغتصابا لا تسترجع إلا غلًا"¹

وقال أيضا: «لقد هُنتَ الشعب المنعذب، لقد هُنتَ عليهم -الفرنسيين- حين هنت على نفسك، لهم ما ضربوك إلا بعد أن جربوك، وما جرفوك إلا بعد أن عرفوك، وما جنوا عليك واقتموك، إلا بعد أن قرأوك وفهموك، فلا تلمهم، ونفسك فُلم، وغير ما بنفسك وهلم... إن القوم -الفرنسيين- لا يدينون إلا بالقوة، فاطلبها بأسبابها، وأنتها من أبواها، وأقوى أسبابها العلم، وأوسع أبواها العمل، فخذها بقوة تعش حميدا، وتمت شهيدا»².

ثالثا : مساندة جمعية العلماء المسلمين للثورة بعد اندلاعها .

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أول التنظيمات الوطنية التي أعلنت تأييدها ومساندتها للكفاح المسلح في البيان الذي وقعه رئيسها آنذاك الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ومساعدته الأول العلامة الفضيل الورتلاني في القاهرة في 15 نوفمبر 1954 كما هو منشور في كتاب العلامة الفضيل الورتلاني في كتابه ((الجزائر الثائرة)) الصادر سنة 1956م.

حيث أذاع الشيخ البشير الإبراهيمي نداءه من إذاعة صوت العرب بالقاهرة معلنا فيه تأييده للثورة، ومباركته لها، ومشيدا بالقائمين بها، ومحرضا إياهم على القتال، موصيا إياهم بالصبر والمصابرة، وعدم التراجع، وحثا في آن واحد الشعب الجزائري على مؤازرة المجاهدين، معتبرا هذه الثورة المباركة جهادا ضد المحتل الأجنبي .

ونذكر بعض المقاطع من هذا الخطاب الرائع:

(1) جريمة البصائر. ع 37 بتاريخ 2 / 10 / 1936. واثار إبراهيمي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط:

1978، ج 1، ص 283 .

(2) البصائر. ع 146 بتاريخ 2 مارس 1950.

"أيها المسلمون الجزائريون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... حياكم الله وأحياكم، وأحيا بكم الجزائر، وجعل منكم نوراً يمشي من بين يديها ومن خلفها، هذا هو الصوت الذي يسمع الأذان الصم، وهذا هو الدواء الذي يفتح الأعين المغمضة، وهذه هي اللغة التي تنفذ معانيها إلى الأذهان البليدة، وهذا هو المنطق الذي يقوم القلوب العلف وهذا هو الشعاع الذي يخترق الحجب الأوهام.... وكان العالم يسمع بلايا الاستعمار الفرنسي لدياركم، فيعجب كيف لم تثوروا، وكان يسمع أذنينكم وتوجعكم منه، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء على الموت العاجل المريح، وكانت فرنسا تسوق شبابكم إلى المجازر البشرية في الحروب الاستعمارية فتموت عشرات الآلاف منكم في غير شرف ولا محمدا، بل في سبيل فرنسا وتوسيع ممالكها وحماية ديارها، ولو أن العشرات من الآلاف من أبنائنا ماتوا في سبيل تحرير الجزائر لماتوا شهداء، وكنتم بهم سعداء.... إن الرضى بسلب الأموال قد ينافي الهمة والرجولة، أما الرضا بسلب الدين والاعتداء عليه فإنه يخالف الدين، والرضا به كفر بالله وتعطيل للقرآن.... إنكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت.... إنني كلما ذكرت ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرت فظائعها في معاملة المسلمين - لا شيء إلا لأهم مسلمون - كلما ذكرت ذلك احتقرت نفسي واحتقرت المسلمين وخجلت من الله أن يراي ويراهم، مقصرين في الجهاد لإعلاء كلمته، وكلما استعرضت الواجبات وجدت أوجبها وألزمها في أعناقنا الجهاد المقدس، فهو الذي يسقط علينا الواجب ويدفع عنا وعن ديننا العار، فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الجهاد المقدس فهو السبيل الوحيد إلى إحدى الحسنين: إما موت ورائه الجنة وإما حياة ورائها العزة والكرامة."

لقد بلغ حماس الإمام الإبراهيمي للثورة، وولجها شعبه إلى درجة أنه كتب رسالة إلى الملك سعود بن عبد العزيز في 9 جانفي 1955 يطلب منه أن يكلف

الأستاذين أحمد الشقيري وعبد الرحمان عزام -أو أحدهما- لتابعة قضايا الجزائر والدفاع عنها، وذلك بإحافهما بسفارة السعودية في واشنطن. ⁽¹⁾

والخلاصة:

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مهدت للثورة التحريرية الكبرى، وذلك بتوعية الشعب الجزائري، وزرع روح الإسلام والعروبة والوطنية، والعزة والكرامة فيه، وأن قائدها الشيخ عبد الحميد بن باديس لم يبين البعد السياسي للجمعية في قانونها التأسيسي، لكي لا يتيح الفرصة للاستعمار الفرنسي للقضاء على الجمعية في مهدها، وإدراكا منه أن الكفاح المسلح لا بد وأن يتسم بالثبات والتدرج، وذلك بالإصلاح أولا، ثم التفكير في إعلان الثورة، والتخطيط لها ثانيا، لكن المنية احترمه وعاملته، فكانت الجمعية من المساندين، والمؤيدين، والمتحمسين للثورة بعد اندلاعها، مما تجلّى في خطابات ومقالات وأفعال من حملوا مشعلها وتشعروا بمبادئها، وارتبوا من ينبوعها الصافي بعد وفاة الشيخ ابن باديس رحمه الله .



(1) آثار الإمام الإبراهيمي، ج 5، ص 51.

التشخيصية الثوريت للشيخ العربي التبسي

1/ توصيف ثوريه

أولاً/الاطلاع العامك لتشخيصية الشيخ التبسي والعوامل المساعدة في

تكوينها :

دخل الإسلام إلى الجزائر منذ القرن الأول الهجري فعمل على صهر مختلف التيارات والمتناقضات التي كانت تسود البلاد حينذاك، وجعل منها كتلة واحدة مترابطة في بوتقة الإسلام، وتجاوب السكان الأصليين (أمة العصر الحجري)¹ و"البرابرة" مع الفاتحين الجدد "العرب"، وأنزلوهم منازل القرية منهم؛ لما رأوا من حليل مميزات هذا الدين، وإخلاص أصحابه، (ثم أحب البربر اللغة العربية، حب تقديس، لأنها في نظرهم لغة السماء ولسان الخالق، الذي خاطب به عباده والذي يناجونه به في كل صباح ومساء يرجون رحمته، ويخشون عذابه، لذلك ما تعب العرب الأول في نشر العربية بينهم، بل كان البربر هم الساعين إلى حفظها والمسارعين إلى تعميمها، حتى أصبحت بعد قليل أو كثير هي وحدها اللغة الرسمية، وأما لغة الدولة والشعب معاً، ولم يكن لها أي شريك يزاحمها)².

ثم طاب للقاتحين العرب المقام بينهم؛ فاستقر منهم الكثير هذه الديار الإسلامية الجديدة، منذ ذلك الحين اختلطت الدماء والأنساب، والجنود والأصول، وتكونت طينة جديدة لسكان الجزائر؛ مزجت بين العنصر الحجري بخصاله وسماته، والعنصر البربري بمميزاته وخصائصه، والعنصر العربي الإسلامي بمميزاته وخصائصه، هذا الخليط الذي أعطى للجزائريين تاريخاً ممتداً إلى غابر الأزمان والحضارات في جهتين في آن واحد، فهو من جهة السكان الأصليين والبرابرة؛ يمتد إلى أعماق تاريخ الأجداد والآباء وما توالت عليهم من محن ونكبات وأفراح ومسرات على تراب هذه الأرض الطيبة،

1- سليمان الصبيد: الشخصية الجزائرية عبر التاريخ، مطبعة البعث تونسية(1971م)، ص11

2- الفضيل التورتلاي: الجزائر الفاترة، دار المفدى، عين مليلة، الجزائر، ط1992م، ص64

وهو من جهة العربية والإسلام يمتد إلى أعماق شبه الجزيرة العربية ليلتقي بتاريخ ومآثر خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله العربي ﷺ وهذا يشمل التاريخ الجاهلي بما فيه، والتاريخ الإسلامي المجيد وما يحتويه، وهذه الجهة الأخيرة توفر للجزائريين أواصر القرابة والصلة المثنية بجهات أخرى عربية وإسلامية شرقاً وغرباً.

هكذا عمل الإسلام على إذابة ملامح الفرقة والخلاف الموجودة بين هذه العناصر المتباعدة، ليخرج إلى الوجود شخصية جزائرية جديدة عربية إسلامية كانتماه ديني وحضاري وليس انتماء عرقي وسلالي، وهي الشخصية التي اكتسبت صفة الصمود والجلد والعناد والإباء والاعتزاز بالذات من طبيعة السكان الأصليين والبرابرة، واكتسبت الثواب والمبادئ الراقية والرشيده من روح الدين الإسلامي وينابيع الحضارة العربية الإسلامية، فأنلفت عناصر القوة إلى عناصر أقوى لتطبع الشعب الجزائري بالطابع العربي الإسلامي، (ويفضل هذا الطابع الحي الذي طبع به الجزائري والذي حافظ به على الشخصية القوية وفي أرحح الأوقات، والجزائري بفضل عروبه وإسلامه ثابت كالطود الأشم؛ لم تؤثر فيه عبر تاريخه الطويل التيارات الفكرية واللغوية الزائفة، ما لم تكن تلك التيارات نابعة من صميم العروبة من روح الدين الإسلامي الخنيف)¹.

هذا المزيج المتلاحم وهذه الطينة الطيبة هي التي أنجبت خيرة الأبناء البررة الذين عرفوا للوطن قدره وللدين منزلته، ونقصد هؤلاء أعلام الجزائر الصالحين المصلحين الذين فأنفوا حياتهم لخدمة وطنهم وإحياء وتمجيد دينهم عبر مراحل تاريخ الجزائر الطويل. وشيخنا العربي التبسي² مثله مثل باقي رجال الإصلاح، من صفوة أبناء الجزائر البررة، ومن نتاج هذه الطينة الطيبة؛ بل هو النموذج الأمثل لتلاحم العناصر المكونة للشخصية الجزائرية، ونلمح ذلك ظاهراً من اسمه بالذات "العربي بن بلقاسم التبسي"، وصدق من قال أن لكل من اسمه نصيب: ف"العربي" تنسبه إلى العروبة، و"بلقاسم"

1- سليمان الفسيدي: الشخصية الجزائرية عبر التاريخ، ص 19

2- هو الشبيخ العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات، وفرحات جده الثاني الذي تعزز الأسرة به كل الاعتزاز لصلاحه؛ فلقبت باسمه، وهو الابن الأكبر لأبيه، ولد في أسطح شمال الجبل الأبيض في الجنوب الغربي لمدينة تسة على بعد 70 كلم منها؛ نقلاً عن عبد الكريم بوالصفصاف: رواد النهضة والتمجيد في الجزائر (1889-1965)، دار الهدى، عين مليلة،

تنسبه إلى الإسلام وإلى رسوله أبو القاسم ﷺ و"التبسي" تنسبه إلى تبة الأرض والوطن والأصل الأول.

ولأجل ذلك انطبعت شخصية شيخنا بالصلاية وقوة العزيمة، مع صبر يزداد بازدياد المحن والضربات، واعتزاز وشموخ - في العامية "النيف" - بالنفس وبالأصل وبالنسب وبالدين وباللغة وبالتاريخ...؛ دون تكبر إلا مع أعداء الدين والوطن.

1- النشأة في الوطن المحتل وآثارها: شاعت الحكمة الإلهية أن يشترك الشيخ

التبسي مع باقي رفاقه الصالحين المصلحين¹ في فترة الميلاد وفي ظروف النشأة وفي قهر الاحتلال؛ قبل أن يشترك معهم في هموم الدعوة والإصلاح، حيث كانت نهاية القرن التاسع عشر فترة مباركة على البلاد، فقد ولد خلالها ثلة من ألع العلماء والمصلحين وشيخنا واحداً منهم.

نشأ التبسي الطفل الصغير في أسرة ريفية محافظة، نال منها رصيذاً من الصفات والقيم الأخلاقية؛ مثل الحياء والتعاون، والغيرة على العرض والأرض، وحب العلم والقرآن وأهله ... كما حرصت هذه الأسرة البسيطة التي ارتفعت عن مستوى الفقر بقليل على توجيه وتوفير التعليم الأولي لولدها البكر؛ وهو الأمر الذي لم يتسنى للكثير من أقرانه، فتعلم على والده قبل وفاته الشيء اليسير، ثم انتقل إلى "الختقة" -جنوب شرق خنشلة- ليكمل تعليمه إلى غاية عام 1910م.

ويشهدادة من عرفوه فقد تميز التبسي منذ طفولته المبكرة بمواهب ربانية اصطفاها الله بها، فكان (جميل الطلعة تبدو في قسماته ونظراته من شهوره الأولى علامات الشخصية القوية والذكاء الوقاد)².

1- الشيخان ابن باديس والإبراهيمي (عام 1889م)، والشيخ الميلي (عام 1898م)، ...، واختلف حول تاريخ ميلاد الشيخ تبسي: 1308هـ/ 1891م (الدكتور الرفاعي شري)، 1892م أو فربا منه (الشيخ حماني) 1312هـ/ 1894م (الدكتور ديوز)، 1895م (الدكتور بوالصنصاف)، 1896م على أحد الاحتمالات (الشيخ ابن عتيق)

2- عبد الكريم بوالصنصاف: رواد النهضة والتحديد في الجزائر، ص71

فتشرب هذا الصبي عن أسرته صفات تغلغلت إلى أعماقه الظاهرة، فامتزجت مع براءة الطفولة لتكون لديه قاعدة الحصن الذي يحتمي به ضد معاول التحريب والتخريب المحيطة به، كما غرست فيه روح الوطنية وبعض مبادئ الدين الإسلامي، (وقد كان لرسوخ هذه القيم والمبادئ في نفسه وعقله وإيمانه العميق بالله أثر في حياته العسية جعله يسعى دوماً إلى إنجاز مشاريع الخير والأعمال الصالحة، فكانت هذه العتيدة الدينية والوطنية هي أساس بناء شخصيته)¹.

هذه الفترة التي أمضى بها التبسي صباه ومراهقته بالشرق الجزائري، أقل ما يمكن أن توصف به، أنها كانت (ذروة الاستعمار الفرنسي في الجزائر وهي الفترة الممتدة من 1288هـ / 1871 م إلى 1333هـ / 1914م)²، إذ هي الفترة التي استحكمت فيها قبضة الاستعمار على البلاد، ففيها تم إخماد جميع الثورات الشعبية كما تم فيها احتلال كامل البلاد بشمالها وجنوبها، وبذلك سيطر الاحتلال الفرنسي على جميع ثروات وخيرات البلاد المختلفة، وتحكم في إدارتها تحكماً تاماً، وبخاصة بعد صدور قانون "19 ديسمبر 1900م" الذي (أعطى للجزائر الحكم الذاتي... وهو يعني أن يبدأ حرة قد أعطي إلى الكولون لكي يديروا كل الشؤون المالية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة بالجزائر)³.

وإذا كان هذا القانون قد قضى على النظام الجمهوري الذي كان يعتبر الجزائر (قطعة من البلاد الفرنسية ملحقة بها إخفاً متيناً وليس لها أي استقلال داخلي في شؤونها)⁴، فإنه لم يعطي للمواطن الجزائري أي امتياز، بل بالعكس تماماً، زيد في امتيازات الأقليات الأوروبية التي منحت لها (حريات باهظة بيد أن الجزائري بقي أعزل لا سلاح له في الميدان السياسي للدفاع عن حقوقه)⁵ الأساسية التي حرم منها. أضف

1- المصدر نفسه

2- تركي رايح: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر، ط4 (1984م)، ص37

3 أبو نقاسم سعد الله: الحركة الوطنية (1900م-1930م)، ج2: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4 (1992م): ص83-84

4- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار الكتاب، "البيدة"، ط2 (1382هـ/1963م)، ص64

5- فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها (ليل الاستعمار)، تر: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المغرب، ص56

إلى ذلك إصرار الاحتلال (بعناد على تبديل الأهالي الجزائريين بسكان أوروبيين، ونجم عن هذه العملية الإجرامية خلق نظام اجتماعي مسيخ؛ فتح المجال لعنصرية مزمنة زادتها فظاعة وازدهاراً قوانين استثنائية سنّها المستعمر لفائدة أبنائها)¹، وكلها قوانين زجرية تستباح بها ممتلكات وحريات الجزائريين الأساسية، ثمّ تنقل كاهلهم بمختلف الضرائب والرسوم المالية، التي تسن بمناسبة وبغير مناسبة.

أما جرائم الاستعمار نحو الثقافة والعلم فلا يمكن حصرها في هذا المقام، فقد كانت فضيحة ووحشية، ترمي إلى محو معالم الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية حينما وجدت وكيفما ظهرت (المساجد، والزوايا، والأوقاف الإسلامية، والمكتبات، والعلماء، واللغة العربية، والتاريخ الوطني ...)، وما زاد في البلاء والمصائب مساندة فئة من أهل البلد للاستعمار لإحكام قبضته الحديدية على البلاد والعباد، ونقصد بهم أهل الطرق والزوايا المنحرفة وما نشرته في مجتمعه من عقائد وعوائد وخرافات مخدرة للقلوب والعقول والمهم.

وفي العموم كانت البلاد والعباد في حالة من الهوان والبؤس الشامل، وآلت الهوية الجزائرية العربية والإسلامية قاب قوسين أو أدنى من الاضمحلال والتلاشي. ومثل هذه الأوضاع التي عايشها العربي التبسي الصبي والمراهق؛ لا يمكن أن تمر من غير أن تطبع نفسه الفتية بالكثير من المشاعر السلبية اتجاه هذا المحتل الغاشم، واتجاه كل من عاونه وسانده حتى ولو كان من بني جلدته، وفي المقابل زرعت فيه مشاعر المرارة والأسى لحال وطنه وأهله، لكن الحميل والإيجابي بين تلك المشاعر المتناقضة؛ أنها بعثت فيه رغبة جامحة في التخير والتحرر من قيود العبودية والبؤس، مما جعلته ينطلق بعزيمة وإصرار للتعليم والتكوين تمهيدا لتحقيق حلمه المنشود.

2- الرحلة إلى تونس الخضراء وفوائدها: بعد أن أخذ تعليمه الأول ببلاده رحل إلى نقطة بتونس عام 1910م، ومنها إلى الزيتونة بالعاصمة التونسية، فمكث

1- فرحات عباس: حرب الجزائر وتورتها، ص56

بتونس قرابة إحدى عشرة عاماً قضاها في التحصيل العمي¹، وإذا ألقينا إطلالة بسيطة على الأجواء الفكرية والثقافية والسياسية بتونس عموماً وجامعها الزيتوني "المبارك" خصوصاً، ندرك مدى الأيادي البيضاء والخضراء التي أجدت بها "الخضراء" على الجزائر وعلى انضلاب الذين قصدوها.

لقد انفردت الخضراء دون باقي حاراتها المغربية بحجر خاص، حيث كان (في تونس في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين جو علمي وسياسي وأدبي حي لا يوجد مثله في المغرب، وكان جهاد الشيخ عبد العزيز التتالي في ذروته، بل كانت تونس ساحة معركة كبرى بين الصليبية الفرنسية والإسلام، وبين الوطنية المخلصة والاستعمار)²، كان في تونس من الصحف العربية الوطنية (ما يليق بكل الطبقات، ومن أشهر صحفها "الأمة"، و"مرشد الأمة"، و"الصواب"، و"لسان الشعب"، و"التدبم"، و"الزهرة"، و"جحاح"...)،³ وكانت مفتحة الأبواب على المشرق العربي ونهضته المشرقة، ولا يتمتع الاستعمار عنها صحفه وكتبه كما كان يفعل في الجزائر، (وكانت مكتباتها في سوق الكتيبة والقطارين والسريرية مجمعا للعلماء، حيث كانت تزخر بتفائس الكتب والمؤلفات والجرائد والمجلات من جميع الأقطار العربية، كما كانت تزخر بتوادبها الأدبية والسياسية، وبذلك تكون في تونس جو أدبي وسياسي وعلمي لا يوجد في المغرب كله إلا فيها، وفي العموم كانت تونس أكبر سوق للأدب والعلم، وأعظم ميدان للجهاد الوطني، وأعظم مظهر للحضارة الإسلامية، حيث كانت أحسن الأمم الإسلامية في المحافظة على التقاليد الإسلامية الرفيعة، تحب الإسلام والعربية إلى النفوس بما فيها من مظاهر الحسن والجمال)⁴.

- 1- بقي بتونس حوالي 11 سنة، من 1910م إلى 1921م، غير أن اندلاع الحرب العالمية الأولى كان حائلاً دون مواصلة انضلاب الجزائريين الدراسة بتونس، فاضطروا إلى العودة إلى الجزائر؛ ليعودوا من جديد إلى تونس بعد الحرب انطلاقاً من أواخر سنة 1916م. ومن بين الذين حلوا بتونس بعد الحرب: (عبد السلام القسطيني، و"القبسي" و"محمد سعيد آل خليفة"، و"السعيد الزاهري"، و"مبارك الملي"، انظر: محمد صالح اخباري: المؤرخ الجزائري مبارك الملي في الصحافة التونسية، مجلة الثقافة، ص18، ع102، 1989م ص19
- 2- محمد عبي دبور: نخبة الجزائر، ج2، ص16-17
- 3- المصدر نفسه، ج2، ص16-17
- 4- المصدر سابق نفسه

أضف إلى ذلك تميزها بحج سياسي حر لا يوجد في تلك العهود في الجزائر، حيث كانت العربية لغتها الرسمية، وكانت تتمتع بحرية الرأي والصحافة العربية¹، منذ سنة 1901م وهو تاريخ صدور قانون حرية الصحافة بتونس، ومنذ ذلك التاريخ والصحف التونسية تخوض في المباحث الدينية والسياسية بكل جرأة، وتناصر الفكرة الإصلاحية التي ينادي بها محمد عبده، حيث كانت لتونس علاقة متميزة ببلدان المشرق الإسلامي وبدرجة أولى مصر، وكانت متبعة للحركة التجديدية المشرقية عن كتب وبخاصة بعد زيارة محمد عبده لها سنة 1903م بعد أن كان زارها لأول مرة عام 1884م، وقد كانت الصحف المشرقية لا تنقطع عنها وبخاصة "العروة الوثقى" و"المنار" لسان حال حركة الإصلاح والتجديد المشرقية برئاسة محمد عبده وتلميذه رشيد رضا.

ولا بد أن هذه الأجواء الساخنة جداً قد فعلت فعلها في نفسية هذا الشاب الطموح والمتطلع، وإذا علمنا أنه كان متفرغاً للدراسة ودرس على أمثال الشيخ الأديب المفسر "الطاهر بن عاشور"، و"الشيخ البشير صفر"، و"الشيخ الصادق النيفر" (صاحب الآثار البليغة في النهضة الاجتماعية والسياسية بتونس، و"الشيخ محمد النخلي القيرواني" والذي كان من أكبر من غرس الأفكار الإصلاحية فيه، والمفكر الحر "عثمان خوجة"، و"محمد القاضي" علامة النقل والتحقيق² وغيرهم، ندرك مدى الأثر

الذي يمكن أن تحدثه تلك الأجواء وهؤلاء الشيوخ على فكر الشاب العربي التبسي وغيره من شباب الجزائر الذين قصدوا ديار الخضراء للتعلم. وقد عبر أحد أصحابه من الطلبة الجزائريين الزيتونيين (الشيخ محمد خير الدين)³ على مدى أثر

1- حجية شيدخ: الطاهر ابن عاشور وآراءه العقديّة، رسالة ماجستير مقدمة بمعهد الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، سنة (1995-1996م)، ص 26

2- محمد صباغ الجزائري: المؤرخ الجزائري مبارك البلي في الصحافة التونسية، مجلة الثقافة، ص 18، ع 102، 1989، ص 30

3- هو محمد بن خير الدين بن محمد أبي جليل بن خير الدين بن الحاج محمد، ولد بفرغانة بسكرة سنة (1330هـ/1902م)، تعلم مسقط، ثم بقسنطينة على الشيخ الطاهر بن زرقونة، ثم رحل إلى تونس سنة 1918م، ليتخرج من جامع الزيتونة سنة 1925م، عاد بعدها إلى مسقط وأسه لهبخذة مركزاً لنشاطه الإصلاحي بالتنسيق مع رواد الإصلاح بالجزائر وعلى رأسهم الشيخ ابن بايس، فعمل بالمدرّس في الماعروس الحرة، والإمامة والوعظ والإرشاد في

الأجواء التونسية على الفكر الجزائري عموماً، بقوله: عاشت تونس ما بين (1918م- 1925م) فترة خصبة من حياتها عامرة باليقظة، فقد شهد العام الأول من إقامتي بتونس انبعاث حركة سياسية قوية عمت أرجاء البلاد شاركت فيها الحواضر والبرادي، وصاحبت صدور الصحف الوطنية التي تلهب المشاعر وتتادي بحقوق الشعب فوق أرض آباءه وأجداده، وكانت مظاهرات للشعب منها ما يبدأ من جامع الزيتونة ويقودها شيوخها ... رأيت فيها ما لم أشاهده من قبل في حياتي الأولى بالجزائر، فأثر ذلك في تكويني وهياكي للعمل على هضة الجزائر في مجالين متوازيين هما: الإصلاح الديني، والإصلاح الوطني¹.

3- أثر الديار المصرية في تكوينه: إذا كان رجال الإصلاح قد هملوا من معين الأجواء الفكرية والسياسية والأدبية المصرية؛ عن طريق بريد الشرق الذي كانوا ينتظرونه يشوق وتلهف؛ فإنّ الشاب التبسي وعمره سبعة وعشرون عاماً - تقريباً - لم يكتفي بذلك، كما لم يكتفي بما زودته به الأجواء التونسية، لأنّ همة المعرفي والفكري ورغبته في تكوين نفسه ونفع وطنه جعلته يتوجه بنفسه إلى أم الدنيا، لينهل من منابعها الصافية مباشرة ومن غير واسطة.

مكث بمصر أكثر من خمس سنوات، تتلمذ خلالها على يدي أبرز علماء الأزهر في تلك الفترة، أمثال: "يوسف الدجوي"، و"عبد الغني محمود"، و"السماطوي"، والشيخ المفتي "نجيب المطيعي"² الذي وصفه الشيخ "ابن باديس" بقوله³: كان علماً في سائر العلوم الأزهرية، وكان ممتازاً بين كبراء الأزهر بتحقيق الأصولين: علم الكلام

شأنه، إلى أن تأسست جمعية العلماء فأندت له فيها مهام أمين ماليها؛ كان من أوائل الذين أنشأوا معهد عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة رفقة التبسي ووجوه، كان من السابقين للانضمام لصفوف الثورة عند اندلاعها، فأندت إليه مهام مثل جبهة التحرير الوطني في المغرب الشقيق، وفي سنة 1958م عين عضواً في أول مجلس للثورة الجزائرية، بعد الاستقلال شغل مهمة نائب في المجلس الوطني الشعبي، ثم انقطع عن الحياة العملية والسياسية واعتكف بعدها في بيته بجمع ذكرياته التي سجلها في مؤلف من جزأين سماه "مذكرات". حير الدين: مذكرات، ج 1، ص 70-79

1- محمد حير الدين: مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بلا تا، ج 1، ص 80

2- الشيخ محمد نجيب (1854-1935)، مفتي الديار المصرية في فترة (1914-1921)

3- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ص 1 (1884م)، قسنطينة، ص 100

وأصول الفقه وكان بسعة علمه وقوة إدراكه ومميزه يرفع الخلاف في كثير من أمهات المسائل وبين أن الخلاف فيها لفظي وأن أصل المسألة محل اتفاق.

لا بد أن الشاب التبسي الذي عايش مختلف التطورات الفكرية والثقافية والسياسية بمصر في تلك الحقبة، لم تفته دروس دار الدعوة والإرشاد التي أسسها الشيخ رشيد رضا، فحالت رؤوس السلفية ورجال الإصلاح وجنوده، وناقش معهم الكثير من القضايا المتعلقة بالأمة الإسلامية والعربية.

إذن فقد تهيأت للتبسي ظروف مواتية ربما قليلاً ما توفرت لغيره من أبناء الجزائر، جعلته يحصل على تربية متينة وتعليم راق يمكنه من استغلال مواهبه النظرية أحسن استغلال، مما ساعده على تغذية معارفه وتوسيع أفق تفكيره وخياله وأكسبه الروح النقدية المستقلة. كما (يمكن القول بأن فائدة وأثر كل من الزيتونة والأزهر في فكر الإمام العربي التبسي هو أنه وجد في كلتا المؤسساتين فرصة للإلمام بالثقافة الإسلامية التي كان محروماً منها في الجزائر، وكل ذلك مكّنه من الاتصال المباشر بالقرآن والسنة)¹، وعرف عظيم الأثر الذي فعلاه في أمة العرب قديماً، فعلم علم اليقين أن سبب ضعف والمخطاط أمة الإسلام عامة والجزائر خاصة؛ ليس قهر الاحتلال وقوته، ولا حتى الفقر في المعارف والمعلومات؛ بل مرجعه كما يقول الشيخ التبسي: يعود إلى (مخالفة الدين الذي بناه رب العزة على أحكم نظام وأمن أساس، وهياً حوله من الرغبة والرغبة مالا عهد لشعب، ولا لملك، بل ولا لأهل مله، ... وأوصى كل نفس عن هاته الأمة - التي مثلها بمجسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر البدن - بأن تكون حارسة على الوحدة الإسلامية، ولا تنام على الذب عن الجامعة، وأنزل كتاباً بينه رسوله ﷺ علماً وعملاً ليكون النظام الذي قرع إليه الأمة في كل شأن من شؤونها دينية ودنيوية، والملجأ الحصين الذي تفرع إليه في كل وقعة مذهمة)².

فحصر أسباب التخلف عند المسلمين في أمرين أساسيين هما: الابتعاد عن القرآن والسنة علماً وعملاً، ثم التفرق وترك الجماعة المأمور بها شرعاً. فلا فحوض ولا

1- أحمد الرفاعي شرفي: مقالات وآراء علماء جمعية العلماء للمسلمين (الشيخ العربي التبسي)، ج3، دار الهدى. حين
مليلة، 2011، ص40

2- المصدر نفسه، ص60

حياة هذه الأمة إلا بالرجوع إلى الأصلين علماً وعملاً، مع لزوم الجماعة الإسلامية، (لأن يد الله مع الجماعة، والخير فيما رأت الأمة)¹.
 هذه الآراء حاول أن ينفع أهله بما عرضها عليهم ودعاهم إليها؛ عبر مقالاته التي كان يرسل بها من ديار الغربة لتنتشر في النجاح ثم في الشهاب.

4- أثر الشيخ ابن باديس ومدرسة الشهاب: إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى كانت السيطرة الدينية الغالبة في قبضة المرابطين، وعبد الحميد بن باديس الذي كان الممثل الأول للحركة الإصلاحية في الجزائر²، بعد أن كانت قبل ذلك السيطرة كنية للمرابطين والطرق الصوفية، ولذلك (كانت قسنطينة مقصد طلاب العلم والمعرفة بالجزائر في ذلك الوقت)³ وكان "الشيخ عبد الحميد بن باديس" هو الغاية بالذات، وكان (بقسنطينة في ذلك الوقت ثلاثة مراكز تعليمية يقصدها الوافدون لتلقي العلم هي: الجامع الأخضر؛ وشيخه ابن باديس، وجامع الكتان، وشيخه "أحمد الحبياتي"، ومسجد الأربعين شرفاً، وشيخه "الطاهر بن زقوطة")⁴.

وإذا كان الفقيه التبسي لم يقدر له أن يلتقي بالشيخ ابن باديس ويتلمذ على يديه؛ لأنه رحل إلى تونس لطلب العلم قبل أن يبدأ الشيخ في حركته التعليمية؛ فإنه بلا شك قد وصنته أخباره الطيبة، وسمع بجليل الأعمال التي كان يقدمها، هذا مع اضطراره على بعض كتاباته المنشورة في مختلف الصحف. فتكونت لديه صورة مشرقة عن هذه الشخصية المتميزة، فأعجب به وبأفكاره التنويرية وبأعماله الإصلاحية، وعده ممن تتعلق بهم آمال وأحلام هذه الأمة، فبقي يتتبع أخباره بكل اهتمام وهو في غربته. وعندما تكونت الصحافة الإصلاحية صار يرسل إليها ببعض المقالات، من بينها تلك الرسالة التي يعني فيها الشيخ ابن باديس بالنجاة من محاولة الاعتقال في شتاء عام

1. المصدر نفسه، ص 64.

2. Ali Merad Le réformisme musulman en Algérie de 1925-1940, Essai d'histoire religieuse et sociale. mouton et co. la haye - paris, 1988

3. المصدر نفسه، المذكرات، ج 1، ص 74.

4. المصدر نفسه.

1926م، وقد نشرت في الشهاب¹ باسم جيرة الأزهر الجزائريين. مما جاء فيها: (إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس أطل الله بقاءه. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. أما بعد: فنهني أنفسنا، ونهنئ العالم، وآمال الأمة، ونهنئك بالنجاح من كيد من ابتلى الله به الدين، والأمة، والعلم، والقومية، أننا مما أصابكم لفي غم يونس وحزن يعقوب، ونشكوا إلى الله التقصير...).

والشباب التبسي الذي لا يؤمن بالعمل إلا إذا كان جماعياً، بحث نفسه بين التيارات الفكرية الموجودة في الساحة الجزائرية؛ عن اتجاه ينسجم معه ويوافق مذهباً ومواقفه الإصلاحية، فكان الشيخ ابن باديس وجماعته هم غاية مراده، فاجتمع بهم بالأرواح التي أتلفت قبل أن تجتمع الأجساد التي ابتعدت؛ حباً في المبادئ والثوابت، وفي الأهداف والغايات المشتركة، فعلاقته بهم لم تكن صلة تقليد (وتبعية) وإنما هي صلة التقاء في تجربة وتصور وموقف²، مبنية على استقلال في الشخصية وحرية في الاختيار.

أما جريدة الشهاب فقد كانت بالنسبة للشباب التبسي النموذج الأمثل للعمل الجماعي المتكامل والنافع، لأنها استطاعت - بتوفيق من الله تعالى ثم بتفاني أصحابها وإخلاصهم- أن تجاوزت مفهوم الجريدة لتصبح مدرسة قائمة بذاتها، فهي مدرسة الإصلاح الأولى؛ لنصرة الإسلام، ولخدمة اللغة العربية، ولتلقين التاريخ وتعليم الوطنية، ولتقديم كل ما ينفع البلاد والعباد، وقد عبر عن موقفه منها من خلال تلك الصفات الرائعة التي وصفها بها في قوله³: جريدة الشهاب -وأمم الله- نعمة من نعم الله على أمم شمال إفريقيا عموماً، والجزائر خصوصاً يجب أن تؤدي الشكر عليها خالصاً، وتشكر أبا بجدة⁴ هذه اليد البيضاء حتى تستحق المزيد⁵. وجريدة الشهاب ظاهرة من ظواهر

1 - نشرت في العدد 82، 3 فيفري 1927م

2 - أحمد الرفاعي شرفي: مقالات وآراء، ج3، ص44

3 - أحمد الرفاعي شرفي: مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين (الشيخ العربي التبسي) ج3، ص85-89

4 - البهجة: الصحراء، تقول العرب عنده أجدة، وهو ابن بجلتها: نعمان بالشيء الثقل له، وأصله الدليل اللادي في الصحراء. المصدر السابق، ص85، نقلاً عن المعجم الوسيط، ج1، ص39

5 - صاحب "اليد البيضاء المقصورة" هو الشيخ ابن باديس. عرفناك وتقدرنا المجهوداته

أخياة، نرجو منها أثر طيبا في حياة الجزائر الدينية والأدبية، ... وجريدة الشهاب كثر من كنوز السنة ينقل إلى قرائه ما لذ وطاب مما تقطع الأعمار قبل الوصول إليه ليقبض منها من يريد الله به خيرا. وجريدة الشهاب مدرسة شعبية عصرية، على أحدث نظام، وأشهى أسلوب، فيها تلتقي الديانة الإسلامية بالمدينة الصحيحة العصرية، لا تفتأ تهدي إلى قرائها من مختلف العلوم، وضروب المعارف ما تقر به العين، وتحسد عليه الجزائر. وجريدة الشهاب شعبة من شعب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، ولعمري أن صحيفة تؤدي للأمة هذه الأعمال الجليلة - وحاجة الأمة إليها حاجة العليل إلى الأساة- لواجب أن نحافظ عليها، ونبذل في سبيلها كل مرتخص وغال، حتى نفوسنا التي بين جنينا ...

كل هذه الأوصاف الطيبة تصرح بذاتها عن مدى أثر هذه الجريدة الصالحة والمصلحة، في تكوين شخصية الشاب التبسي، وهو يتبين بصراحة كل مواقف وآراء صحيفة الشهاب، وبذلك ازدادت أواصر الصلة بينه وبين رجال الإصلاح عامة، والشيخ ابن باديس على وجه الخصوص. ووجد الجماعة الصالحة والنصرة المباركة، فتعززت ثقته بنفسه ومبادئه وأفكاره، وازداد عزيمة وإصرار للمضي قدما في طريق الدعوة والتجديد والإصلاح.

ثانياً/ العودة إلى ميدان الجهاد والتضحية للثورة بكل اجتهد :

عاد من رحلة التعلم الطويلة عام 1927م، (بطلاً قد تم نضوجه وكملت عدته وعمره اثنان وثلاثون (32) عاماً ... لقد أورثه الكدح الطويل في تحصيل العلم، والصعوبات المتوالية التي يصارعها في عهود الدراسة، ومرارة الغربة الطويلة والفقر، أورثته هذه العوامل القوية التي من الله عليه بها نضوجا وحكمة ... فصار مخنك العقل قوي النفس)¹.

اتصل برجال الإصلاح وصار واحدا منهم، وأثبت مكانته بينهم بالخلق الرزين

والعلم المتين والعمل الثابت المبين، فاعترفوا له بالفضل والعلم والقوة، فقال فيه العلامة الشيخ ابن باديس¹:

الأستاذ العربي ابن الزيتونة والأزهر، مشارك مشاركة قوية في علوم الشريعة والأدب، ذكي الفؤاد، صحيح الفكر والعلم، فصيح اللسان محاجج قوي الحجّة، حلو العبارة، شديد الحب لدينه ووطنه، شديد في الدفاع عنهما ...

أما صاحبه الشيخ البشير الإبراهيمي فيقول فيه²: الأستاذ الجليل الشيخ العربي التبسي عالم القطر ومفتيه وداعي الرشد ومؤتبه وهو يمتاز بشعور حاد ملتهب، واهتمام عام بشؤون المسلمين وحالتهم الحاضرة، ... إذا تكلم في الدين تجلت حقائقه في نضوج بيان، وإذا تحدث في السياسة كان كله حملات على الاستعمار ومكائده، ... عالم عريق النسبة في الإصلاح بعيد الغور في التفكير، سديد النظر في الحكم على الأشياء عزوف المهمة عن المظاهر والسفاسف.

1- مفهوم الثورة عند الشيخ التبسي: إن مفهوم الثورة عنده يتجاوز مفهوم الثورة على الاحتلال إلى معنى أشمل وأكبر، لأنّ الاحتلال وجرائمه في الحقيقة ليست سبباً وحيداً لما آلت إليه أحوال البلاد والعباد، وإنما هو نتيجة منطقية ملازمة لأوضاع التأخر والانحطاط، التي جعلت البلدان الإسلامية على حافة الانهيار في حالة احتضار، مما جعلها سهلة المنال لأي معتدي أو مغتصب³. أما أسباب التأخر فيها فلا (ترجع إلى عهد قريب، ولا إلى سبب مباشر، غير مخالفة الدين الذي بناه رب العزة على أحكم نظام وأمن أساس، وهياً حوله من الرغبة والرغبة مالا عهد لشعب، ولا لملك، بل ولا لأهل مله، ... وأنزل كتاباً بينه رسوله ﷺ علماً وعملاً ليكون النظام الذي قرع إليه الأمة في كل شأن من شؤونها دينية ودنيوية، والملحأ الحصين الذي تفرغ إليه في كل

1- أحمد الرفاعي شرقي: مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين (الشيخ العربي التبسي) ج3، ص5

2- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص132، 178، 387

3- في هذه الفكرة يتفق الشيخ التبسي مع المفكر الفينسرف مالك بن نبي عند تفسيره لأحوال البلدان المستعمرة بسبب الغلبة للاستعمار.

وقعة مدلهمة¹، فلما تركوا هذا المنهج الرباني الشامل الكامل (وضلوا السبيل، واستحبوا العمى على الهدى)، وأضاعوا ما خلص من تراث أسلافهم وأحلت عزائمهم، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون عاقبة ما سيقبض بهم، ولم يرفعوا بما أتى به رسول الله ﷺ رأساً، ولا تأسوا بمن أوصاهم بالتأسي به، فحصلوا الخسران المبين، ونزل بهم البلاء المقيم².... ولا سبيل للخروج من هذا البلاء إلا بثورة شاملة على أسباب الانحطاط، وبدايتها الإنسان لأنه الأصل، ثم الجماعة.

إذن فتورة الشيخ التبسي التي أعد نفسه طويلاً لخوض غمارها، ثورة تبدأ بالنفس بتغيرها؛ مصداقاً لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)³، وتغيرها يكون بتطهير بواطنها من كل ما اعترها من (ضلالات ملأت الأدمغة، وعلقت بالعقول، وفرخت في الصدور)⁴، فطمست بريق الإيمان بمعاني شركية قضت على وجدانيات القلوب وروحانياتها الصافية، وثلت حركة العقول فصيرتها إلى موات، فانعكس كل ذلك في مظاهر العبودية لغير الله، وحالة الذل والهوان أمام أربذل خلق الله -بشر أو شجر أو حجر...-، فابتعد العباد عن شعائر رب العباد وجعلوا قوازين البشر سنن تركها لا يعتفروا.

إن الشيخ التبسي يهدف إلى دفع الفرد المسلم والأمة الإسلامية نحو حركة تحررية شاملة تقوم إلى التوحيد، فتنتقل بتحرير الذات من جميع القيود الداخلية والخارجية المثبطة عن التغيير للأحسن، وتنتهي بنتيجة حتمية ومنطقية؛ هي حركة تحررية ضد الاستعمار. فالثورة التحريرية عنده ليست غاية لحد ذاتها، بل هي مرحلة منطقية لا بد منها، وهي جزء صغير من مشروع كبير، بدأ قبل الثورة ويستمر بعدها استمرارية خلود، لأن الثورة ليست مرحلة زمنية محدودة؛ بل هي مشروع فُضوي وحضاري وإنساني يرمي إلى الخلود بخلود رسالة الإسلام (الذي يدعو معتنقيه إلى أن

1- أحمد الرفاعي شرفي: مقالات وآراء، ج3، ص60

2- المصدر نفسه، ص61

3- سورة الرعد، الآية 11

4- أحمد رفاعي شرفي: مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين (الشيخ العربي التبسي)، ج3، ص62

يكونوا في هذا العالم: المثل الأعلى، وحملة المبادئ الحية التي تضاد الجهالات والأوهام، والخرافات وتضع الأمة الإسلامية في موضع أمة غنية، عالية، سائرة في الطليعة الأولى من الأمم الحية¹

2 - التعليم والإرشاد لإعداد جنود الثورة والجهاد: بروح كلها عزيمة

وإصرار، وبرصيد علمي وأدبي وخلقى كبير؛ اقتحم الشيخ العربي التبسي ميادين الجهاد في وطنه المحتل، فدخله من أوسع أبوابه ومن أكثرها مشقة وعناء؛ وهو ميدان التعليم والإرشاد، فقد أيقن أنه لا خلاص لهذه الأمة من تحلفها وهوانها إلا بالرجوع إلى القرآن والسنة علما وفهما مرتبط بالعمل، ولا يتسنى تعلم ذلك إلا بتعلم لغة القرآن وعنومها.

ابتدأ جهاده بتبسة في التربية والتعليم للصغار والوعظ للكبار. بمسجد ابن سعيد، فمكث بها نحو عامين، وبإشارة من الإمام ابن باديس ذهب إلى مدينة سيق قرب وهران وأنشأ بها مدرسة ابتدائية للتربية الإسلامية والعنوم الدينية والعربية، فبقي بها نحو عامين، عاد بعدها إلى مدينته بطلب من أهلها ليتولى قيادة النهضة والإصلاح بها، فأنشأ جمعية تهذيب البنين، وأنشأ نادي الشبيبة. بقي الشيخ العربي مديرا للمدرسة تهذيب البنين والبنات إلى سنة 1947م.

بقي الشيخ حوالي عشرون (20) سنة، مكرسا جهده ووقته لتعليم الصغار ووعظ وإرشاد الكبار، (فدرس لهم العلوم العربية والشرعية بأسلوب طلي بارع حبيبها إليهم، وبهرهم بتقواه وقوة شخصيته، وعلمه الواسع وبفصاحته وحماسة وإتقانه لدروسه)²، فكان يحرص كل الحرص على الجمع بين التربية الدينية والخلقية والعقلية. فأيقظ العقول من سبتها، وغرس في قلوب تلامذته روح الإسلام من أصليه؛ القرآن والسنة مع أقوال السلف الصالح، وتعلموا منه حب جماليات اللغة العربية وفنونها فتعلقوا بها وأتقنوها فاعتزوا بعروبتهم، كما اقتدوا بجميل أخلاقه، في حبه للخير وفي تعلقه بوطنه وقوميته.

1- المصدر نفسه، ج 3، ص 74

2- محمد حسني ديور: إسلام الإصلاح، ج 2، ص 18

أما الوعظ والإرشاد للعامة فقد جعله يوماً بعد صلاة العشاء، وكان مخصصاً للتفسير¹، حيث كان (يختار آية قرآنية تناسب موضوعه فيفسرها تفسيراً بارعاً - يفهم جميع المستويات-، ... فيفتح القلوب بكلام الله، وينبه العقول لأوامره ونواهيها، ثم يتسرب إلى الأمراض الاجتماعية؛ فيشرحها ويبين أسبابها وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة)². فهذه الدروس الحية جمعت بين فقه النصوص الشرعية وفقه الواقع، فجعلت من درس التفسير فائدة ومتمعة لسامعها، تشعره وكأن الخطاب الرباني يقصده بعينه، وكأن القرآن يتنزل عليهم في ذلك الحين بالذات، ولذلك لم يكن الملل يعرف إلى مجالس تفسيره طريق، فكان العامة لا يملون سماعه حتى لو أطال عليهم.

بهذا الأسلوب بالذات يلتقي مع الشيخ ابن باديس، الذي عرف بمثل هذه المواصفات عند تفسيره لكتاب الله. أما وجه الاختلاف بينهما فهو ترتيب السور في التفسير، لأن الشيخ التبسي يخالف المعهود في ترتيبها عند معظم العلماء، حيث كانوا يفسرون القرآن ابتداءً من سورة الفاتحة وسورة البقرة نزولاً إلى سورة الناس، أما الشيخ التبسي فقد رأى أن يبدأ تفسيره من سورة الفاتحة وسورة الناس صعوداً إلى سورة البقرة، وتعليل ذلك (أن آخر القرآن سور قصيرة يحفظها كل الناس ويصلون بها، فتفسيرها لهم أكرم، وهم لمعرفة معاني ما يحفظون أشد شوقاً. وهذه السور الأخيرة تشرح العقيدة الإسلامية وتفرسها في النفوس، وتبين أضرار الوثنية والشرك بالله)³. جعل من درس التفسير مدخلاً ذكياً لفضح الشرافات البدع الطرقية ومظاهر الشرك فيها، فبين تماثها، وعظيم الجرم الذي أوقعته على الأمة، وكيف كانت عوناً للاحتلال فزادته قوة وتسلط على البلاد والعباد. فتنبه الناس إلى خطورتها وزيفها، فصاروا يتعدون عنها؛ بل ويحاربونها

1- هنا في الأيام العادية، أما في رمضان فيجعل ليلة للقرآن وليلة للحديث، انظر: محمد علي دبور: أعلام الإصلاح، ج2، ص45

2 محمد علي دبور: أعلام الإصلاح، ج2، ص21-22

3- المصدر نفسه، ج2، ص38

كما يروييه أحد تلامذته " الشيخ العيد بن أحمد مطروح"¹: لقد كانت في نسبة كل البدع المنتشرة في الوطن الجزائري: الزردة، والوعدة، الخوف الشديد من شيخ الطريقة، ...، وكان بعض العوام يقصدون بعض الأشجار وبعض الأحجار، ويقدمون لها القرابين، فأبطل الشيخ بدروسه هذه العادات الفاسدة القليل، واليوم - في عام 1386هـ - قد تنظفت نسبة فلم يبق منها شيء والحمد لله.

ولم يكن في الشيخ بدروس المسجد والمعهد فحسب؛ بل لا يفوت فرصة تجمعهم بالخاصة أو العامة في الولائم أو في مناسبات خاصة؛ إلا واستغلها للتوجيه والوعظ والإرشاد. وقد تميز الشيخ بالحكمة فيما يعطيه من دروس ومواعظ؛ حيث كان يتحدث الناس بما يشعرهم بويلات المستعمرين من غير تصريح لكي لا يكون للحكام الجبايرة وأذنائهم الكثيرين الذين يتحسسون في دروسه سبيلاً عليه².

هذه الحركة التعليمية المباركة لم تتوقف عند حدود مدينة تبسة؛ بل وصل صداها إلى جميع المدن وقرى والمداشر المجاورة لها، فكان يقصده منها الكثير من الطلبة، وأحياناً كان يستضيفه بعض الأهالي الصالحين بالمناطق المجاورة، لوعظهم وتنويرهم في أمور دينهم ودنياهم. فانتشر الوعي بين الصغار والكبار، وعند الرجال والنساء، وتنظفت جل البيوت في تبسة وما جاورها لما كثر خروج المدرسة الإصلاحية. فكانت حركته المباركة سبباً مباشراً للنهضة ليس في تبسة وضواحيها فحسب؛ بل وفي الشرق الجزائري عامة، وهي التي أعدت (قلوب هذه النواحي للثورة الجزائرية المباركة؛ فصارت من قلاعها الكبرى مع أوراس، ولولاها لم لا احتتقت الثورة في أوراس وشرقي الجزائر، فهم صلتها بتونس، وهم شرايينها الكبرى التي تمدها بالقوة وتوجه أذوارها)³. فهو وأمثاله من الصالحين المصلحين في الجزائر من أعدوا الطلائع الأولى التي تسابقت لحمل السلاح في وجه العدو دفاعاً عن الأهل والشرف والوطن والدين ثلينة لنداء الواجب المقدس تحت راية "الله أكبر". حتى أن الجمعية ومدرسة تهذيب البنين والبنات التي ضل موجهها لها حتى بعد رحيله من تبسة؛ قد استمرت في عطاءها (إلى أثناء الثورة

1- محمد علي ديو، أعلام الإصلاح، ج2، ص44

2- محمد علي ديو، المصدر نفسه، ج2، ص22

3- المصدر نفسه، ج2، ص33

الجزائرية، حتى أوقفتها الحكومة لما رأت فيها قاعدة للثورة، فأغلقت المدرسة والمسجد وأحتلها الجند وعاث فيها فساد، ... بل جعلوها معتقلاً لتعذيب المجاهدين¹.

وقد جعل الشيخ التبسي - مثل باقي رفاقه المصلحين - من خيرة تلاميذه جنوداً للثورة، يؤججون هيبها في العقول والقلوب، ويربطونها بمبدأ الجهاد المقدس، معتمدين في ذلك على العلم والعمل والقول نثراً كان أو شعراً، ومثل على هؤلاء بتلميذه ابن الشريعة التيسية الأستاذ "محمد الشبوكي" الذي كان يتصف بصفات أستاذه بشهادة من عرفهما²، وقد اشتهر بأشعاره الوطنية والقومية المؤجج لحماس المجاهدين، وأشهر أشعاره النشيد الشهير الذي كان يتغنى به المجاهدون في قمم الجبال، ومطلعه:

جزائرنا يا بلاد الجلود هضنا نخطم عنك القيود
ففيك برغم العدا سنسود ونعصف بالظلم والظالمين

وقد اعترف زعماء الثورة بفضل رجال الإصلاح ومدارسهم في شتى المناطق من البلاد، فهذا البطل الشهيد "عميروش" قد بعث برسالة لأحد شيوخ الإصلاح القائمين على التعليم في قلعة بني عباس³، مما جاء فيها: جئت إلى القلعة فوجدت القوم على أتم الاستعداد لخوض معركة التحرير والاتحاق بالمجاهدين وبذل المال والرجال؛ ويا ليتنا عملنا على نشر هذه المدارس في الوطن، إذا لاسترحنا من كثير من المشاكل التي تعترض سبيلنا اليوم⁴. ولو قدر الله أن زار "العقيد عميروش" - رحمه الله - أو أحد من أصحابه أي مدرسة أخرى من مدارس الإصلاح؛ لقال الشيء نفسه، ذلك أن جهاد رجال الإصلاح قد كان عملاً جماعياً متكاملًا، وزعت فيه المهام والتبعات بدقة وحكمة عبر ما أمكن من التراب الوطني، تحقيقاً لغايات وأهداف مشتركة، وقياماً بالواجب الكفائي اللازم؛ في كل الميادين وفي جميع الجهات، قدر المستطاع وحسب ما تسمح به الظروف.

1 - المصدر نفسه

2 - نقصد الشيخ: محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، منشورات دحلب: الجزائر، ص 150

3- هو المعلم ومذري المفاضل الشيخ: محمد الصالح بن عتيق

4- محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف، ص 77

انتقل الشيخ إلى قسنطينة وترك أسرته في تيسة سنة 1947م ، لتولى إدارة معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس طيلة تسع (9) سنوات بكل حكمة وإخلاص، فازدهر المعهد وداع صيته وتسابق إليه الطلبة من كل حذب وصبوب، وانشغاله بالإدارة لم يثنى عزيمته على القيام بدروسه المعتادة على فئتين؛ أولهما طلبة المعهد بدروس الشريعة والعربية والأخلاق، وثانيهما عامة الناس بالجامع الأخضر بدرس التفسير بعد صلاة العشاء، (فذكر الجماهير بدرسه بلاغة الشيخ عبد الحميد فاشتد الإقبال عليه، وكان الإصلاح قد شب والأمة الجزائرية قد نضجت، فكانت لا تقنعها الدروس العادية، فوجدت في الشيخ العربي النفس الثورية الشجاعة والدروس الحارة المتأججة،... وكان أقوى لهجة في دروسه وأعظم حماساً وثورة على الفساد والإخاد، وكان ممن شارك في إعداد تلك النواحي للانفجار)¹.

ولم يقتصر جهاده بداخل الوطن فحسب، بل تعداه إلى خارجه أيضا، سافر إلى باريس سنة 1950م² مع الشيخ الإبراهيمي، وقد كان سبب الزيارة كما يقول هذا الأخير (لخدمة قضيتين، باريز هي مركزهما، وهي ميدان الأعمال فها، الأولى قضيتنا المعروفة ذات الشعبتين، وهي فصل الحكومة الجزائرية عن الدين الإسلامي، وحرية التعليم العربي، ... القضية الثانية قضية إخواننا الجزائريين النازحين إلى فرنسا في سبيل العمل حينما ضاقت بهم بلادهم، وتكرت لهم،...، وإنّ لهم علينا لحقا أكيدا في أن نتعهدهم بالموعظة، وأن نتسبب إلى تأسيس مدارس هناك لتعليمهم وتعليم أبنائهم، حتى تبقى نسبتهم إلى الإسلام محفوظة، علاقتهم بالإسلام متينة)³. وقد كان للشيخ التبسي دوراً طيباً في هذه المهام وبخاصة وما تعلق منها بالوعظ والإرشاد وتأسيس المدارس هذا بشهادة رفيقه الإبراهيمي.

1- محمد علي دبور: أعلام الإصلاح، ج2، ص41-42

2- أقامها مع الشيخ الإبراهيمي جسور يوماً، وعندما رجع هذا الأخير أكملها الشيخ التبسي مدة أربعة أشهر (إتمام بقايا من الأعمال والعلاج. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص371. وأحمد شرق الرفاعي، ج3، ص213). كما قام بفرصة الحج سنة 1954م، فرار في طريق العودة مصر والشام.

3- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص371-372

بعد إغلاق المعهد إثر اغتيال صديقه وزميله بالمعهد الشهيد "رضا حوحو"؛ انتقل إلى الجزائر العاصمة سنة 1956م، أين واصل جهاده في إدارة جمعية العلماء نيابة عن الشيخ البشير الإبراهيمي الذي تولى إدارة شؤون الجمعية خارج الوطن، ويدروسه في نادي الجمعية ويدرس تفسيره الذي ختمه بجامع بلكور¹، أهب الجماهير وأفاض عليها بروحه الحماسية والثورية، حيث صار يمزج دروسه (بالدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، على نحو مؤثر قوي حكيم لا يجعل للاستعمار العسكري عليه سبيل)². ومع ذلك فقد تفتنت حكومة الاحتلال لخطره على مصالحها؛ فاعتقل بسبب ذلك وسجن عدة مرات أثناء الثورة، إلى أن اختطفه الجيش السري الفرنسي. وأعدم في بوفاريك.

3- الجهاد ضمن "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين": إلى جانب العمل لقد

كانت صفحات الجرائد الإصلاحية ميدان خصبا لمقالات وخطابات وتصريحات متنوعة للشيخ التبسي، تعبر عن مواقفه ومواقف الكيان الجماعي الذي تنتمي إليه، وهو "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، فطبيعة العمل الجماعي - وهو من الذين لا يؤمنون إلا به - تستلزم ذلك، وتجعل من الآراء الفردية لأعضاء الجمعية تذوب في موقف الجماعة، فيعبر بعضها عن بعض، ويشدد بعضها بعض. وآراء الشيخ التبسي لا تتوقف عند ما صدر عن قلمه وعلى لسانه؛ لتحتوي جميع مواقف "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين".

إن حصر مواقف الشيخ التبسي الثورية في هذا الكم العظيم يصعب مناله، ويتطلب كثيرا من المجهودات تحط في مجلدات ومجلدات، ولأجل ذلك سنكتفي ببعض العينات فحسب:

أ - الدعوة إلى الجماعة والوحدة: بدأ هذه الدعوة - بل هي صرخة إن صح وصفها- وهو في خارج الوطن في رحلة التعلم، حيث كان ينادي بإصرار إلى وحدة

1- استمر في التفسير نحو 22 عاما، وعندما ختمه لم يستطع تلاميذه وأصحابه وأتباعه من الاحتفال به، مثل ما كان الأمر مع الشيخ ابن باديس من قبل، لأن ظروف الثورة حالت دون ذلك، فاعتصروا على إرسال التهاني والمباركات

2- محمد، علي دوز: أعمال الإصلاح، ج2، ص41-42

الصف ولزوم الجماعة، لأنّ (الشعب الذي لا ينتظم تحت مبدأ واحد، ويلتف حول جامع فرد، إليه يعمل الكل، منذر بالانهيار، مقضي عليه بالفناء العاجل، وهذا صحته لا تحتاج إلى بيّنة). ومما جاء في مقاله "أزفت ساعة الجماعة وتصرّم عصر الفرد"¹: فإنّ هذا العصر غطّل الفرد، ونبذ حكمه، وأمات مفعوله، وتجاهل وجوده. فأينما أملت سمعك، أو أرسلت نظرك في الشرق أو الغرب، لم تجد إلاّ أمة، فحزباً، فهيتة، منها وبها كل شيء. فهي التي تذب عن الهيئة الاجتماعية، وتحرس الأمة من نواب الدهر وعادية الأيام، ...، وتكون لسانها الناطق بطلباتها وحسها المتألم لألمها، ... ولكن الأمة الجزائرية الشرقية الإسلامية صرفت عن هذا الميدان الذي هو السور الفاصل بين الممات والحياة، فهلكت هذه الأمة أو كادت باضمحلال وحدتها وتفكك جماعتها وبقائها على مبدأ الدهور الذي يحدثنا عن التاريخ ... إذ الدنيا تقوم على هذا المبدأ، فالواجب يلح على أن يؤلفوا حزباً يجعل للحزائر شخصية بارزة، ومكانة محترمة في الشرق أسوة ببقية الأمم.

ازدادت دعوته قوة وتضحاً لما عاد إلى وطنه، واندمج في العمل الإصلاحية على أرض الواقع، فلم يعد يكفي بالدعوة؛ وزادها اقتراحات للحلول الواسائل، فيقول²: الاتحاد في الجزائر ضروري لأن المنفذ في وقت الخطر هو تكتل الشعب بأكمله، فقد شاهدنا أن كل أمة من الأمم في ظروف حتنق ذاتيتها وتهديد الخطر لها تزول الحزبية منها لأنها مضرة بها، فالحالة في الجزائر لا تبرر تعدد الأحزاب فيقاء الأحزاب فيه إطالة لعمر الاستعمار وقد ناديت بهذا في سنة 1945م. فلا بد من اتحاد على أساس أن الأحناس والألوان واللغات الأوروبية" و"الإفريقية" يجب إلغاؤها وجعل جميع السكان مواطنين لهم في وطنهم من الماديات والأدبيات ما لجميع المواطنين في الأوطان الأخرى ... فلفظ "مسلم" في الجزائر معناه الحرمان من كل حق، ولفظ "فرنسي" معناه استحقاق كل شيء، ولهذا نعتقد أنّ النظام القائم على هذه الأوضاع لا يصلح للعيش فيه ولا يعين على أخوة إنسانية في المستقبل. ووسائل تحقيق الإتحاد هي:

1- نشرت بالشهاب: عدد 31، 17 جوان 1926م

2- أحمد الرفاعي شرقي: مقالات وآراء، ج3، ص266-267

- ✓ إلغاء التنظيمات السياسية القديمة بما فيها التي تحمل اسم "الفرنسية المسلمة".
- ✓ وضع المبادئ تتسع لجميع سكان الجزائر يجدون منها ما يعين على مواطنة ووطن مشترك محبوب.
- ✓ إخراج العناوين الدينية من الحياة السياسية فلا يقال "مسلم فرنسي" ولا ما أشبه ذلك. وإنما يقال "جزائري" وهي كلمة تسع جميع المواطنين الجزائريين.
- ✓ دعوة إلى مؤتمر عام تعلن فيه وحدة شعبية تعمل لتحقيق هذه النقاط.

ب — فصل الدين عن الدولة: فيشرح المسألة في عدة مناسبات وتفصيل وتدقيق، حيث مما جاء في إحدى مقالاته: إن فرنسا الاستعمارية عاملت الإسلام معاملة تعد من أنكر المنكرات وشر المظالم؛ إذ عدت الإسلام متاعا يورث عن تركيا المهزومة، ... الإسلام في الجزائر بمعابده وأوقافه ورجاله كانت تتصرف فيه تركيا بحكم أنها خلافة إسلامية؛ لا بحكم أنها دولة دنيوية، فكيف تحل فرنسا الاستعمارية محلها في الاستيلاء على الإسلام وشؤونه؟ ... ثم جاء دور آخر من أدوار تحديد علاقة الدولة الفرنسية بالأديان وذلك حين صدر قرار 09 ديسمبر 1905م القاضي بفصل الدين عن الدولة، وكان موقف الحكومة الاستعمارية في الجزائر من الدين الإسلامي هو أنه ليس بدين، وليس بأهل لأن تطبق عليه قوانين فصل الدين عن الدول ...¹.

بعدها يشرح القضية للرأي العام، ينطلق في تبيان مساعي وجهود الجمعية إزاء هذه المعضلة — وكذلك كان يفعل أصحابه من الإصلاحيين — ليصل إلى تقرير الموقف الرسمي والعملي لها. (... وإلى هنا صار كل سعي لفصل الدين عن الدولة سعيًا فاشلاً لا يرحى منه عدل ولا إنصاف لا من حكومة الجزائر ولا من المجلس الجزائري، لكن جمعية العلماء عقدت العزم على أن تحقق فصل الدين عن الدولة أو تعيش في خصومة مع الاستعمار بالجزائر، وعلمت أن المسألة يجب أن تنشر في باريس بين الكتل البرلمانية ... وتبلغ إلى العالم الديمقراطي صوتها الشرعي وظلم الاستعمار للديمقراطية والدين الإسلامي في هذه البلاد)². وبالفعل فقد سافر الشيخ التبسي إلى فرنسا مع الشيخ

1- أحمد الرفاعي شرقي: مقالات وآراء، ج3، ص208-209

2- المصدر نفسه، ص213

الإبراهيمي سنة 1950م، وقد كان سبب الزيارة كما يوضحه هذا الأخير (لخدمة قضيتين، باريز هي مركزها، وهي ميدان الأعمال لهما، الأولى قضيتنا المعروفة ذات الشعبين، وهي فصل الحكومة الجزائرية عن الدين الإسلامي، وحرية التعليم العربي، ... القضية الثانية قضية إخواننا الجزائريين النازحين إلى فرنسا في سبيل العمل)¹.

ج - تأجيج الشعور الوطني والقومي: إنَّ الشيخ التبسي الذي قضى زهرة شبابه بعيداً عن وطنه، وذاق مرارة الغربة ومفارقة الأهل والبلد، كان لا يفوت فرصة إلاّ وأسهب في التغزل بالوطن، وفي تحريك شغاف القلوب بتلك العبارات البديعة النابعة من صميم الفؤاد، التي لا يلمح منها إلاّ حبا عظيما لهذا الوطن وأهله. إن حب الوطن ليست مشاعر نعر عنها بعض الأقوال وكفى؛ بل هي عقيدة (نشأت في صلب طبائع البشر، ونمت بنمو الإنسان، وتطورت بتطوره، وقويت بقوته، وضعفت بضعفه، حتى أنك لو أخذت لتفصل بينها وبين مقومات الإنسان لتضعه بعيدا عنها، لم تجد في صناعة الجدل ما يعضدُّ لك صنيع، أو يقدمُ سببا لدعواك... والوطن، وإن اتسع لفظه، وانشر مفهومه، وتنازعت الطبايع، فليس شيئا منه يرغب عنه، أو يزهده فيه، ما دام الحسن حسنا والقبح قبيحا، وأنى يكون ذلك، والوطنية رأس عامة الفضائل، وقطب رحا الشرف، وهامة المعالي، وأية أمة اعتصمت بها، واستمسكت بمعناها الذي يحيي وحدتها، ويحفظ عليها جامعها، إلاّ وأخذت لمستقبلها بأوثق الأسباب وأمن العرى، وأتم عدة)².

وتجدر الإشارة أن القومية التي يدعو إليها الشيخ التبسي؛ في حقيقة الأمر هي مجموعة قوميات متداخلة في بعضها البعض من غير تناقي ولا تعارض، وموصلة إلى بعضها البعض، نحو مفهوم الاتحاد الشامل في بوتقة القومية الكبرى "الإسلام"، فمن القومية الاعتزاز بالنسب، والجهة، والبلد، والوطن، واللغة، وكلها قوميات صغيرة وضرورية تذوب جميعها مفهوم أمة الإسلام الخالدة.

1- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص371-372

2- أحمد الرفاعي شرقي: مقالات وآراء، ج3، ص82

د - مواكبة القضايا المستحدثة بالفتاوى الشرعية: حتى يرتبط الأفراد بمداية الدين الإسلامي لحياتهم في كل أمورهم الدينية والدنيوية. وأهم الفتاوى التي كان لها أثرها في الأوساط السياسية والشعبية هي:

1. تكفير المتجنس: الذي يتخلى عن جنسيته الجزائرية باختياره. والتجنس هو (صيرورة المسلم من جنس غير المسلمين برفضه لأحكام الإسلام الإلهية، وإتباعه لأحكام وضعية بشرية... فهو غزو للعقائد الإسلامية، ومحاولة لتكفير المتجنس بطريق يستهوي الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة)¹. وكثرت صحبات أعلام الجمعية المؤكدة على ذلك، فانفقوا على مبدأ صريح لا هوادة فيه مفاده:² أن الخمسة ملايين من المسلمين لن يقبلوا الجنسية (الفرنسية) ولن يقبلوا الحقوق التي تعطى لهم إلا إذا أخذوا الجنسية. إهم يفضلون الموت في فقر، وفي جهل، وعرومين من كل شيء، عميان، لا يتكلمون، فذلك أحسن لهم من العيش بعد التخلي عن هويتهم الإسلامية. إن التنكر للقوانين الإلهية من أجل التمتع في الدنيا، والحصول على الجنسية يعتبران جريمة نكراء. هذا (وارتكزت سياسة العلماء على المناداة بتحقيق العدالة الاجتماعية بدون التخلي عن الجنسية)³.
2. تكفير المستأنف للأحكام الشرعية للمحاكم المدنية: استئناف الأحكام الشرعية التي يصدرها القضاة المسلمين تنفيذا للشرعية الإسلامية وأحكامها، يستأنفها بعض من لا دين لهم رغبة في الدنيا، وتصلباً من الأحكام الشرعية وجرياً وراء مصلحة النفس⁴.

1- المصدر نفسه، ج3، ص384-386

2- نشر التصريح بالشهاب: عدد جويلية 1935م

3- عمار بوحوش: التاريخ السياسي لجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 (1997م)، ص252

4- أحمد الرفاعي شرقي: مقالات وآراء، ج3، ص384-386

3. تكفير الموصي للورثة على يد الموثق¹: والمقصود به تدخل بعض الناس في نظام الميراث الشرعي عن طريق وصية يتركوها لتنفذ بعد مماتهم، يقسمون فيها الأموال حسب أهوائهم.

4. تكفير التزوج بالأجنبيات غير المسلمات: اللاتي يعتبرهن دولهن سيدات لأزواجهن قوامات عليهم، وقانون بلدن يقضي باندماج الزوج في أمة تلك المرأة²، كما يقضي بنسبة الأولاد إلى قومية ودين أمهم، وهو بذلك يتحلى طواعية عن قانون الأحوال الشخصية، ويتنصل من عقيدته وشريعته ويسمح بخروج ذريته من ملة الإسلام.

5. تكفير كل جزائري يتعاون مع الاستعمار: واعتبار ذلك خيانة لله ولرسوله وللوطن.

6. التحدير من عدم مساندة الثورة والثوار وتكفير من تركه: باختياره ومع القدرة عليه لأنه من قبيل التولي يوم الرحف، فمن أوجب الواجبات إمداد بكل ما يحتاجه أطباها، على قدر الوسع والمستطاع وبأضعف الإيمان (بالجهد، بالخير، بالمال، بالأولاد، بالدعاء...)، وكل ذلك من باب الجهاد. منذ بداية الثورة كانت هذه دعوته المتكررة والمعلنة في مجالسه الخاصة المضمرة بين العامة، لكنها وصلت إلى قلوب وعقول الناس قبل أن تطرق آذانهم، لأن الصدق والإخلاص هو أقصر طرق للإقناع. وشيخنا التبسي لا يفتقدهما.

7. الدعوة إلى مقاطعة البضائع اليهودية: ولا يخفى أثر مثل هذه الفتاوى في المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية، وفي محاربة كل المخططات التي ترمي إلى تحقيقها السلطات الاستعمارية.

— محاربة البدع وفضح أصحابها: وكثيرة هي المقالات التي رمت إلى ذلك، وهذه مقتطفات من بعضها (... ألا إن أعدى المسلمين للإسلام أولئك النفر الذين يظنون —من قبل أنفسهم— أنهم أولياء الرحمن وأحبأوه، وملأوا أنفسهم ومن

1- المصدر نفسه

2- المصدر نفسه

يتبعهم بأمانٍ هي ظلال وما أرادوا بها صواباً، فاستباحوا من الله المحارم، وتعدوا له الحدود، وأعرضوا عما فيه من هدى، فاغتر بهم الجهال، واتقاد لهم الأغرار، ودخلوا على الناس في عقائدهم، ولبسوا عليهم أمر دينهم، وزهدوا الأمة الإسلامية في علمائها...¹.

إن أخوف ما يخافه المسلمون الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم على دينهم، دعوى الدحاجة الذين سيكونون بين يدي الساعة، أولئك النفر الذين جعلهم الله فتنة لم يرد بهم خيراً، فلم يفقههم في الدين،

وقد قضت سنة الله أن يكونوا أتباع كل ناعق، وأنصار كل ضال²،....

4- من المواقف الثورية لشيخ الثوار والشهداء: إن الشيخ التبسي من

الرجال الربانيين، الذين قدر الله لهم أن يولدوا ليكونوا قادة وهداة لأهلهم وللناس أجمعين، لأجل ذلك تصيح كل حياتهم، مواقف جهادية وتعبدية لا تكاد تفصل فيها بين الخاص والعام منها. وما أكثر المواقف في حياة شيخ المبادئ والمواقف. وهذه شهادات تحكي بنفسها بطولة الأبطال:

من المواقف: أن المقيم العام الفرنسي " روبرت لاکوست Robert La Coste " كان قد طلب من الشيخ التبسي أن يهدأ الشعب قائلاً: إن فرنسا تؤمن بأن لك تأثيراً كبيراً على الشعب الجزائري، ونسألك أن تتدخل لوقف إطلاق النار. فرفض ورد عليه بكل صرامة قائلاً: إنني صادق مند نعومة أظفاري وأنا الآن شيخ كاهن وتريدون مني أن أكذب على الشعب. كلا لن أتحدث. وبعد اعتقال الزعماء الخمس طالبه لاکوست مرة أخرى - كمفوض من قبل حكومة جى موليه Guy Moller بالتفاوض معه لإيجاد حل للقضية الجزائرية، فقال له الشيخ بكل ثقة: مفتاح الحل بأيديكم أتم³.

وكل يوم تزداد دعوته للجهاد قوة، فجلجلت مجالسه ببناءات الجهاد، وصرخ في العام والخاص: (من عاش فليعيش بعداوة فرنسا، ومن مات فيحمل معه هذه العداوة

1- المصدر نفسه، ج3، ص87-88

2- أحمد الرفاعي شرفي: مقالات وآراء، ج3، ص90-91

3- نبيل بلاسي: الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، ص157

إلى القبر¹. صارت حكومة الاستعمارية لا تطبق أفعاله، وبدأت تحيك له المكائد، فلما صار الخطر يترص به (أشارت عليه الجبهة وجيش التحرير أن يلتحق بعصر، أو ليبيا، ويتجنب الأخطار التي تهدده، فأبى قائلاً²: إن خروجي اليوم والوطن في حرب، يعد فرارا من الزحف، الذي هو من أكبر الكبائر، أنا لو كنت خارج الوطن، ووقع هذا فيه، لدخلت فوراً! وإذا خرجت أنا -وأمثالي- في هذه الظروف، فمن يشجع الأمة ويحثها على مساندة الثورة؟ إن الخيانة عطرة حقاً، وإن الأعداء ليهددوننا في حياتنا في كل لحظة فماذا نصنع؟ أترك الميدان لهم وحدهم؟ كلاً! وألف كلاً! سأملك هنا في الجزائر، وليكن ما يكون!

فلم تأبى هذه النفس الطاهرة النقية إلا أن تسجل اسمها الأقدار، مع الأنبياء والأتقياء والشهداء الأبرار، فلقد احتطفه يد الإجرام التابعة للجيش السري الفرنسي وأعدم في بوفاريك. فأكرمه سبحانه وتعالى بالشهادة في سبيل الحق والدين والوطن "فهنيئاً لك شيخ المجاهدين والشهداء."

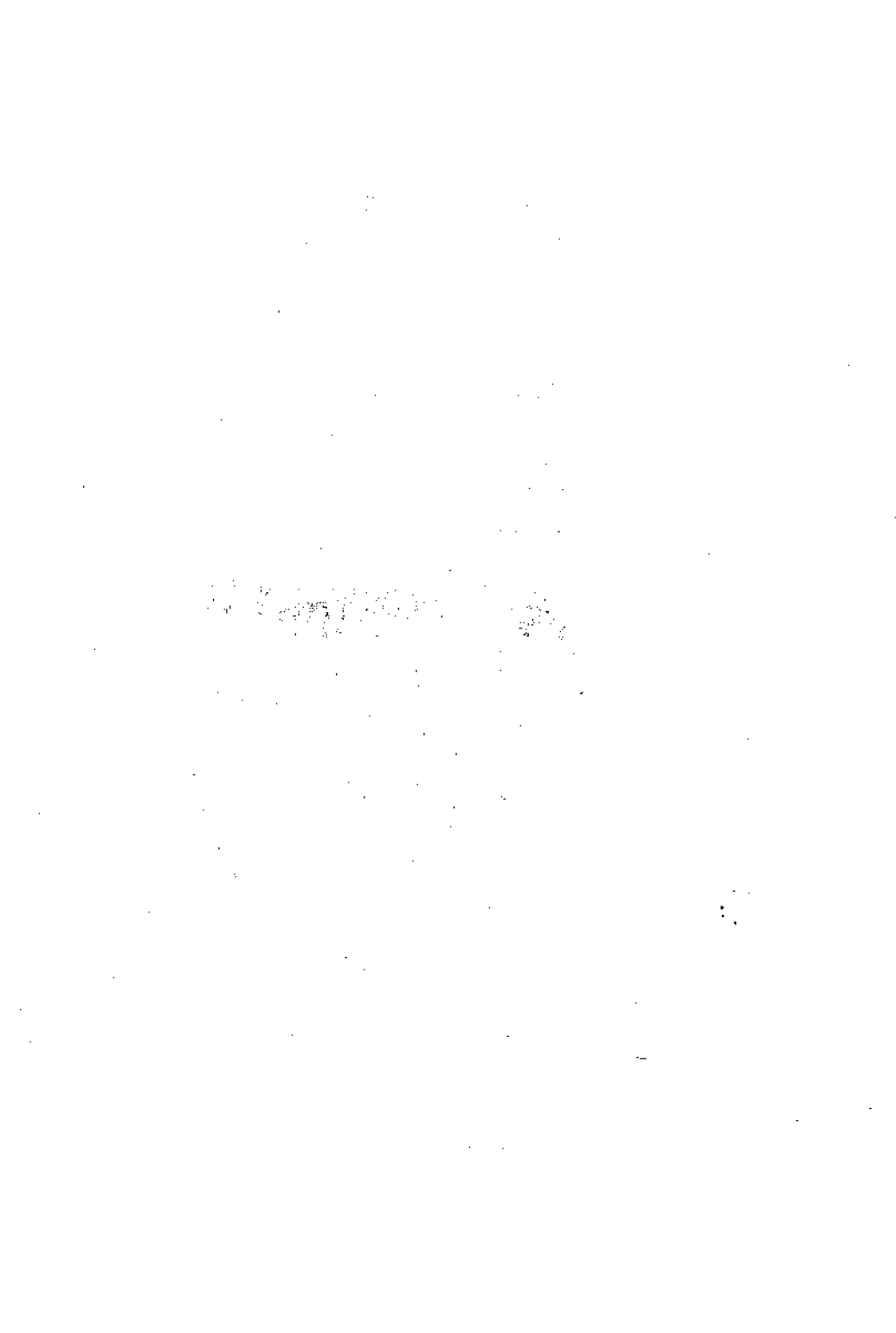


1- للمصدر نفسه

2- محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف، ص 203-204



شهادات عن الشيخ



العربي التبسي في نظر الشيخ البشير الإبراهيمي

1. أكرم بلعصرى

جامعة الوادي قسم العلوم الإسلامية

كان الشيخ العربي التبسي -رحمه الله- كثيرا ما يردّد في مجالسه: "إن الإبراهيمي فلتة من فلتات الزمان، وأن العظمة أصل في طبعه"¹.

تلك كلمة واحدة وشهادة فاضلة من الشيخ العربي التبسي في الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، تعبّر عن مدى عمق الأصالة والعلاقة التي تربط الشيخين أيام النضال في صفوف جمعية العلماء المسلمين، إحياء لمجد الأمة الجزائرية وعملا بأهداف الجمعية، وصولا إلى تحقيق الشهادة لهذه الأمة وتخليصها من نير الاستعباد وقهر الاحتلال إلى شاطئ الأمان، فعبرت هذه الكلمة الموجزة بصدق عن مكانة الإبراهيمي لدى الشيخ العربي، ولعلنا نحاول من خلال هذه الكلمات الموجزة أن نجمع شهادة الشيخ الإمام البشير الإبراهيمي في رفيق دربه، الذي جمعتهما المصلحة العامة لهذا الوطن ولهذه الأمة، وذلك ببيان منزلة الشيخ العربي التبسي ومكانته في صفوف جمعية العلماء المسلمين، وتقدير الجهود الجليلة والعظيمة التي قدّمها لبني أمته، حتى ننزله منزله المرموقة، ونجّليه قدره المحمود، فهي ليست شهادة عابرة، إنما هي شهادة من رجل خبر كثيرا من الرجال، وعرف قيمتهم وبينها للأجيال، وحكى عنهم إنصافا لهم وتعريفا بحقوقهم على هذه الأمة من حفظ السيرة وبيان الواجب لهم من التحجيل والتوقير، والاحتراف بهم وبأعمالهم خدمة هذه الأمة.

ففي قصيدة للشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري، التي تطفح بالصدق، وتلخص بعض جهاد الإمام البشير الإبراهيمي، وتكبر علمه ونضال أقرانه بين منزلة الشيخ العربي التبسي وآخرين من الشيخ الإبراهيمي فقال¹:

1- آثار الإبراهيمي: جمع أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص16/1.

كان "الفضيل 2" ورهطه طلابه عرفانهم كالفيل من عرفانه
كان "التبسي" و"المبارك 3" صحبه لكنّه المرمق في إخوانه

كلمات خالدة من الإبراهيمي في الشيخ العربي التبسي:

كثيرة هي العبارات الصادقة من الشيخ البشير الإبراهيمي في حق الشيخ العربي التبسي، تكلم بها في مناسبات متعددة ومواقف مختلفة يشيد فيها بمكانة العربي التبسي في الجمعية عموماً ونشاطه التعليمي بوجه خاص، معتبراً إياه من ذوي الرأي السديد والمواقف الرجولية التي تحتاج إليها الأمة في مختلف الملمات، وفي ذلك يقول منها به: "... صاحب الآثار الجليلة في العلم والإصلاح، والآراء السديدة في السياسة والاجتماع، والمواقف الجريئة في تمكين الإسلام والعروبة بالقطر الجزائري".⁴

وفي نص آخر قريب من هذا يشبه فيه البشير الإبراهيمي الشيخ العربي التبسي بـابن رشد؛ في الرشد الذي أوتيه كما يصفه ابن الخطيب، وأن الشيخ العربي من علماء الجزائر الذين بذلوا المهج نصره للدين وخدمة للمسلمين، فيقول: "... الأستاذ الجليل الشيخ العربي التبسي، عالم القطر ومفتيه، داعي الرشد ومؤتبه، كما يقول ابن الخطيب في ابن رشد، وهو يمتاز بشعور حادّ ملتهب، واهتمام عام بشؤون المسلمين وحالتهم الحاضرة. تحدّثه عن غيرها، وتبعد به عنها ما شئت، فإذا هو منجذب إليها بأدنى مناسبة، ومسترسل في الحديث عنها إلى غير حدّ، وسائق جلسه

¹ - آثار الإبراهيمي: 29/5

² - هو الأستاذ الفضيل الروتلاي، توفي سنة 1959 بتركيا.

³ - هو الشيخ مبارك الميحي، أمين مال جمعية العلماء (قصة من الزمن) ومدير «البيان» في سلسلتها الأولى بعد الشيخ العفي، ثم نائب الإمام الإبراهيمي في رئاسة الجمعية قبل الشيخ التبسي، توفي سنة 1943.

⁴ - آثار الإبراهيمي: 271:2.

إلى الخوض فيها، وهو وصاف ماهر لأدواء المسلمين وأدويتها، يفيض كالسبيل إذا أفاض فيها".¹

شهادة الإبراهمى فم دور الشفم العربى فم عذمت المعهد البادىسى :

كما أن المواقف اللى يدلى فيها الشفم البشمر الإبراهمى بشهادته فم العربى التبسى تتنوع وتتعدّد تبعاً للمهمّة اللى توكل للشفم العربى من قبل الإدارة العامة للجمعية، ومن المعلوم أنه انتدب لإدارة شؤون التبسم فم جمعية العلماء المسلمين، واختاره الشفم عبد الحميد بن بادىس ليقوم على شؤون المعهد البادىسى، من حيث الاهتمام بالطلبة والمدرسين وتنسيق المناهج وتوزيعها، ويشهد الشفم البشمر على ذلك بقوله واصفاً قيام المعهد على عاتق الشفم العربى التبسى وما قدّمه الرّجل لهذا المعهد من خدمات جليلة وحرص دائم على متطلباته إلى أن أعياه المرض: "... قام المعهد فم سنتيه الأولين على الأخ الأستاذ الشفم العربى التبسى فمما يرجع إلى الإدارة والتسيير، وهما الوصفان المقومان لروح المعهد، وما سواهما الجسد، فطوى مراحل كثيرة من التّفقدم فم مرحلتين، والأستاذ التبسى كما يعرفه الناس - مثل شرود فم صحة العلم، وثبات العمل وفم الإخلاص والجدّ والصّرامة ومثانة الخلق وقرطسة الغرض، وفم الانقطاع لخدمة هذه الأمة اللى قلّ خادموها، وكثر هادموها، فلمّا ألمّ عليه المرض وتواترت العلل، وأضناه الجهد، تترى الإشفاق عليه والإشفاق على المعهد فم صدور إخوانه، وتجارياً إلى غاية، فكان الإشفاق عليه أغلب، والتّظر فم تخفيف العناية عنه أصوب، فقام مقامه الأخ الأستاذ محمد خير الدّين فم إدارة المعهد وتسييره هذه السنة الثالثة نائباً عنه، عاملاً باسمه، راجعاً إليه فم الكليات" ويضيف " وكان الأخ التبسى عاهد الله أن يلقاه مقبلاً غير مديبر فم ميدان الجهاد العلمى، فهو - مع اضطراب صحته، ومع اضطلال الأخ خير الدّين بما حمل من شؤون المعهد - يتعهد المعهد بنفسه، ويشارك برأيه فم كلّ شأن يجد وفم كلّ حادث يلّم، وما زالت تومض على المعهد طوال السنة إشرافات من آرائه الصّائبة، وتتوالى عليه إمدادات من توجيهاته

¹ - آثار الإبراهمى: 387/2.

السديده، عجل الله له الشفاء، وأسبغ عليه أودية الصحة والعافية، وأقرّب به عين العلم والإصلاح، وشدّد به أزر إخوانه الذين لا يستغنون لحظة عن رأيه وعلمه".¹

إشادة الإبراهيمي بكفاءة ونزاهة التبسي:

وعن كفاءته في خوض صعاب إدارة المعهد وأهليته لذلك مع إقرار الشيخ البشير الإبراهيمي بصعوبة هذا الأمر، وهو عمل مؤسسات لا عمل أقدان، ورغم هذا فإنه لم يكن يرى في غير الشيخ العربي التبسي أهلاً لإدارة المعهد رغم إلحاح أهل تبسة العظام في حاجتهم للشيخ العربي، فيبين الإبراهيمي أنّ الشيخ العربي التبسي شيخ أمة لا شيخ بلدة، وأنّه أكبر وأعظم من أن تحصر جهوده في بقعة محصورة، لأنّ نفعه سيكون أعمّ وأشمل، ومقامه يُحتاج إليه في خدمة العروبة والإسلام، فيقول في كلمة طويلة عن الشيخ وعن المعهد: "وأما الإدارة فقد كانت- في رأبي- وما زالت أصعب من المال- لأنّ الصورة الكاملة التي يتصورها ذهني للإدارة الرشيدة الحازمة اللائقة بهذا المعهد العظيم نادرة عندنا، ونحن قوم نقرأ لكلّ شيء حسابه؛ ولا تقدّم لجلال الأعمال إلاّ الأكفاء من الرجال، وقد كنت منذراً لإدارة المعهد كنفاها الممتاز وجدليها المحكك الأخ الأستاذ العربي التبسي الذي كانت تمنعه موانع قاهرة من تولّي الإدارة ومن الانتقال من بلده إلى قسنطينة، وكنت أفدّر تلك الموانع، وأزنها بميزانها الصحيح، وأراها بمنجى العين التي يراها بها، فكيف العمل؟ العمل هو جعل تلك العوامل كلّها عاملاً واحداً وتقنيته حتى يصير ذرّات، أرضينا سكّان تبسة الكرام الذين كانوا يعدّون انتقال الأستاذ التبسي عنهم كبيرة يرتكبوها من يتسبّب فيها، وأقتنعناهم بأنّ الشيخ العربي رجل أمة كاملة لا بلدة واحدة؛ ورجل الأعمال العظيمة لا الأعمال الصّغيرة، فاقتنعوا، وأمتّأ لهم مشاريعهم العلمية والدينية، بإيجاد من يخلف الأستاذ فيها فرضوا محلّصين، وقد كنت قبل ذلك كلّسه تلتفت في الخيلة على أخي الشيخ العربي لما اعتقدته من إخلاصه الكامل في خدمة أمتّه، ومن تقديره لجهود أخيه هذا؛ ... وذلك

¹ - آثار الإبراهيمي: 356/2، ففي عام 1947 تولّى الشيخ العربي التبسي إدارة معهد ابن باديس في قسنطينة فقام بأنهمته خير قيام.

أنه لما هَوَّل عليّ قضية المال الذي يتطلّبه المعهد في شرائه وتعميره، هَوَّت عليه القضية وهَوَّت عليه شأن الإدارة إذا لم يقبلها هو، فلم يجد بُدّاً من هَوِّيتها عليّ إخلاصاً منه ومقاسمة للعبء مع أخيه، وإن أنس فلا أنس قوله لإخوانه المشايخ المدرّسين يوم اجتمعنا لنقرّر منهاج السّير في التّعليم".¹

ويصف لنا الإبراهيمي حالة من حالات الكفاءة والانضباط في تسيير المعهد أنه لما زار المعهد أيام إجراء الاختبارات للطّلبة؛ فأعجب بحسن التسيير والتنظيم وكفاءة التقدير وفحص الطلبة، مشيداً بذلك بمسيري المعهد وبطلته وعلى رأسهم الشيخ الفاضل العربي التّبيسي وفي ذلك يقول: "... حضرت بنفسي معظم أيام الاختبار التي دامت عشرة أيام، وعجبت للنظام والضبط قبل أن أعجب للنتائج؛ وأشهد أنّ لجان الامتحان كانت متشدّدة لا متساهلة ومع ذلك فقد أوى العمل الجليل إلّا أن يعبر عن نفسه، وأبى العرق الأصيل إلّا أن يبيّن عن عتقه؛ والحمد لله الذي وفق وأعان، والفضل لأخيها الشيخ العربي التّبيسي مدير المعهد ولأبنائنا الأساتذة المدرّسين بالمعهد، فقد كشف الاختبار، عن صدق الاختيار وحقّقوا رجاءنا فيهم، وأنّ التوفيق في اختيار الكفاءات هو أوّل مراتب التحاح".²

وفي كلمة أخرى له بعنوان " امتحانات المعهد والمدارس " ينوّه الشيخ بمكانة العربي التّبيسي في ضبط الأمور بالمعهد وحسن سياسته تحضيراً للطّلبة وتدرّيساً لهم وهيئة للوِازم التّعليم؛ من كتب ومقررات دراسية وشروط الانتساب للمعهد الباديّسي والتّشدد فيها، ففي ذلك يدلي الإبراهيمي بشهادته عقب إجراء امتحانات السّنة الأولى من عمر المعهد الباديّسي فيقول: " بدأت الامتحانات السّنوية لتلامذة معهد عبد الحميد بن باديس يوم السّبت الثّاني عشر من شهر جوان الحالي، وستحفّ بها موازين وتتقل موازين، والشّواهد السّابقة تدلّ على أنّ التحاح سيكون عظيماً، وأنّ التّجربة ستكون موفّقة، وستنشر أسماء التّاجحين كلّها.

١- آثار الإبراهيمي: 2/172.

٢- آثار الإبراهيمي: 2/212.

إنّ لمدير المعهد الأستاذ الجليل الشيخ العربي التبسي عيناً فاحصة وذهناً واعياً هيئاً له تراتيب جديدة في الكتب والدراسة، وشرائط مفيدة في القبول والانتساب وسيبني على تجربة هذه السنة وعلى نتائج الامتحانات قواعد تنهض بالمعهد في السنة الثانية من عمره لهضة عظيمة، وسنشر هذه التراتيب في العشر الأول من شهر سبتمبر الآتي ...¹.

وتنقى جهود الشيخ العربي التبسي محفوظة عند أبناء الجمعية وكلّ من له علاقة بها في تشييد المعهد والقيام عليه، وعلى أبنائه المنتسبين إليه، وما كان له من دور في نشر الوعي والتعليم في صفوف أبناء قسنطينة خاصّة وأبناء الجزائر عامّة.

العربي التبسي ... لا يحتاج للتكثيف في نظر الإبراهيمي:

والشيخ العربي التبسي من الرجال المخلصين لهذه الأمة المؤمنين بأهدافها، العاملين لرفقيها وحضارتها، فكانت كلّ أعماله وأوقاته تصبّ في خدمة الأهداف النبيلة للأمة؛ ودفعه لأبنائها للعمل في سبيل تحقيق نجاحها رغم ما تعيشه من حالة استبداد وسلب للحرية، فما فتى الشيخ في كلّ مجالسه يدعو لذلك، ويخاطب كلّ ذي لبّ بما يعقل حتى في أحلك المناسبات والظروف، فكما ينقل لنا الشيخ الإبراهيمي في عزاء جريدة البصائر للشيخ العربي التبسي إثر وفاة شقيقه "البشير فرحات" صورة عن كفاح العربي التبسي بلسانه وعمله؛ لوعي شباب الأمة برسالتها فيقول في ملخص العزاء "عزاء للأستاذ التبسي":

ترفع "البصائر" إلى الأستاذ الشيخ العربي التبسي، نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أحرّ العازي على مصيبتهم بفقد أخيه الشاب البشير فرحات، وتتمنى أن تكون هذه المصيبة حافزة الخن التي شغلت بال الأستاذ مدة تقرب من السنة، وعاقته عن القيام بأعمال جليلة، كان يقدمها لجمعيتها وأمتهم.

وقد عزاه بالحضور إلى تبسة في اليوم الثالث لموت الفقيد وقد عظيم يمثل

الجمعيات والهيئات، فعن جمعية العلماء رئيسها، وعن معهد عبد الحميد بن باديس وقد

من مدرّسيه ورجاله، وعن جمعية التربية والتعليم رئيسها وبعض أعضائها، وعن هيئة التعليم العامّة بعض كبار المعلمين، وعن قسطنطينة بعض أعيانها، وتولت وفود التعزية من جميع نواحي العمالة القسطنطينية.

ويقول الملازمون للأستاذ التَّبَسُّمِيّ من تلامذته والحاضرون لجميع الاقتبالات والأحاديث من خصاصته المقرّين: إنَّ أحاديث الأستاذ مع الوفود كانت أحاديث المؤمن القويّ، الواثق بالله، السّراضي بقضاء الله وكانت أحاديث معزّ لا معزّى.

وإنَّ أحاديثه في الدّين والاجتماع كانت كدأبه إذا تكلم في الدّين، بحليّة حقائق، في نصوص بيان، وإنَّ حديثه في السياسة - إذا انجرّ الحديث إليها - كان كلّه حملات على الاستعمار ومكائده، وإنّه لا يرجى منه خير، وإنَّ حديثه عن السّياسين والتّراب، كان حديث المحايّد الحرّ الذي لا يتحيز لفريق دون فريق، ولا يرضى لنفسه ولقائه أن يكون بوق دعاية لمبلدٍ دون مبلدٍ، لأنَّ مبدأه أسمی منها جميعاً، وكان حديث العالم الذي يزن الرّجال بأعمالهم، وحيث لا أعمال فلا رجال، ويزن الأحزاب بوضوح مبادئها، وحيث لا وضوح في المبادئ فلا أحزاب¹.

ويختتم الإبراهيمي عزاءه بكلمة جميلة تنبئ عن معرفة كبيرة بالرجل، فلا تنفع شهادة التّافلين فيه إذ أنّه رجل لا يحتاج لتزكية؛ لكفاءته وحرصه على أمور أمته وعمله الدّعوى على إحياء مواثها، قال الإبراهيمي: "هذه خلاصة الأحاديث، وهؤلاء روائعها - وهي بعد وقيل - أحاديث مجالس تناوها الألسنة، ويقطعها الانتقال، وتقتضيها المباديات، ويتدثها متكلم فيكملها سامع، ووحدة المتكلم شرط في الكلام، وليست تصريحات يتهيأ لها الفكر، ويوزن لها الكلام، ويشترط فيها التسلسل .

وبعد، فإنَّ أضلّ النّاس كيداً من مدح الأستاذ التَّبَسُّمِيّ فلا يزيد في مدحه على أنّه إمعة في الرّأي، وأضلّ منه سعيّاً من يكون له في المشهد حامداً، وفي الغيب كاذباً...."

١- آثار الإبراهيمي: 178/2.

العربم النسبم .. رائد التعلمم كما برم الإبراهمم:

ولما عزمم الجمعمم على إنشاء دور التعلمم عمر ربوع البلاد فم العاصمم وتلمسان و قسنطنمة وأعدّت لذلك علقمما؛ عمنت أفاضل العلماء فم هذه الأخمرة - أرم قسنطنمة- لقموموا بمذا الواجب؛ فاختارت أنفعهم للطلبة عنما وخلقما وسلوكما، فانتدبت هذه المسؤولمة الجللمة الشبم العربم النسبم، وبشهد الإبراهمم على ذلك بقوله: "... أما بعض الواجب اللذم عقدت العزم على تنفممه فم هذه السنة، فهو البدء بقسنطنمة أولم، وقد اشترت دارم كبممة من دور "آل الشبم بن الفقون" لتلخذها مركزم لإدارة التعلمم وتلخذ من بعض حجراما مساكن للطلبة المعوزم، وأسندت الإشراف على التعلمم والدروس العالمة للأستاذ النفاع الشبم العربم النسبم وعمّنت للتدرسم مشابم أكفأم ممتازم بماضمهم وعملمهم وتحصمهم".

ولقد عدّ الشبم البشر الإبراهمم الشبم العربم النسبم خلمة للإمام عبد الحممد بن بادس فم قضمة التعلمم ألمسجدم، فبعد وفاة الشبم الرئسم أسندت المهممة للعربم النسبم لأنه كان الأنسب لهذه المهممة الجللمة التم تنوء الجبال بمحملما، ونقل مركزها من قسنطنمة إلى تبسة نقلا مؤقتم أمكته الظروف فم تلك الفترة، وبصف الإبراهمم هذه الحالة والعربم النسبم بآمه أكفأم الناس وأقدرهم على القمام بمذه الوظلمة الجللمة بقوله فم مقال له بعنوان "إحفاء التعلمم ألمسجدم بقسنطنمة": " ولما مات الأستاذ- رحمه الله- اضطلعت جمعمة العلماء بذلك التعلمم وأسندته إلى الكفاء المجمع على كفاءته فم هذا الباب وهو الشبم العربم النسبم ونقل مركزه من قسنطنمة إلى تبسة نقلا مؤقتم نزولم على حكم الضرورة، فقام الأستاذ النسبم وأعوانه بمم قمام بما أسند إلمهم".¹

وقد تقرّر ذلك كما جاء فم البمان الإدارم للجمعمم نقل نصّه هنا: " بمان من المجلس الإدارم لجمعمة العلماء المسلمم الجزائرين إلى الأمة الجزائرم الكرممة.

إنّ المجلس الإدارم لجمعمة العلماء المسلمم الجزائرين المنعقد بمكتب الرئاسة بقسنطنمة يوم 17 أكتوبر الحاضر، قد قرّر استمرار التعلمم ألمسجدم اللذم

لتلامذة الجامع الأخصر بنسبة كالعادة الجارية فى السنتين الماضيتين لدواعى ضرورية قاهرة، وأسند- كالمعاد- القيام بذلك التعلیم إلى كفاءة الأستاذ النفاع الشئخ العربى التبسى الكاتب العام لجمعية العلماء مع التنويه بذكره، والإفصاح عن شكره على ما قام به فى السنتين الماضيتين من المواظبة على تلك الدروس التافعة لأبناء الأمة فى دينهم ولغتهم، وما بذله من جهد وأظهره من حزم وعزم فى استمرارها على أكمل وجه،

فالمجلس الإدارى يعلن لشباب الأمة المتعطش إلى تلك الدروس الحية فى علوم الدين ووسائله، المتشوق إلى أوان افتتاحها وموسم أفراحها أن الشروع فيها سيكون- إن شاء الله- يوم 15 نوفمبر الآتى ضمن برنامج محكم مضبوط يقوم بتنفيذه الأستاذ العربى التبسى وجماعة من الأساتذة تحت إشرافه.

كما يعلن المجلس للأمة أنه كان حريصاً أشد الحرص على إرجاع تلك الدروس إلى قسطنطينة - مهدها الأول ومركزها الأصلى - رفقاً بالطلبة وجمعاً لهم بين الغرض القريب¹. انتهى

قبل الختام ... حالت الإرشاد قبل اليوم :

هى كلمة موجزة مختصرة من الشئخ العربى التبسى يشخص فيها حال الأمة وما تعانيه، نقلها على سبيل الفائدة، يقول -رحمة الله عليه-:

"... إن الإرشاد هو الذى يحى القلوب الميتة و يزرع الفضائل فى الأمة و يكثر العاملين بالدين الحق، فإذا ترك أو أهمل أو استعمل بغير لغته أو استمد من غير أصوله و عناصره أو تولاه من لا يعرفه فإن الدين الإسلامى الذى نزل به جبريل و تلقاه محمد ﷺ من ربه تنطوي محاسنه؛ وتتبدل أخلاق أهله و يترك الناس العمل بالدين، و هذا ما جرى لهذه الأمة إلا من رحم ربي من زمن لست أعرف ابتداءه

1- آثار الإبراهمى: 131/2.

تاريخياً؛ ولكنني أستطيع أن أحدده بظهور آثار التغيير في هذه الأمة وأزعم أنه يتدنى من يوم أضع الناس السنة المحمدية والأخلاق الإسلامية..."¹

خاتمة القول:

تلك إذن هي بعض الشهادات من رفيق درب الشيخ العربي التسيبي وصديق النضال " الشيخ البشير الإبراهيمي "، وهي كلمات تعسّر بصدق عن مكانة الرجل في صفوف جمعية العلماء المسلمين وفي قلوب أعضائها وعلى رأسهم الشيخ البشير، وتبقى - بحق - شهادة سطرت عبر صفحات التاريخ وأيام النضال الجمعوي للرجلين قبل أن تسطر وتُحطّ على صفحات من ورق، لأنها نقشت في ذاكرة الأمة الجزائرية وتاريخها، لثني بصدق مفعم بالإخلاص للرجل وتضحيته؛ خدمة للأهداف الكبرى في رسالة الجمعية، ومهوذا بمستوى الوعي الفكري لأبناء الجزائر في أحلك ظروفها، ولأن الجمعية أيقنت عظمة المسؤولية الملقاة على عاتقها، فاختارت لذلك رجالاً يذودون في سبيل تحقيق الرسالة، ومن أعظم هؤلاء الشيخ العربي التسيبي.

ويبقى على أبناء جيل اليوم أن يحفظ للرجل مكانته، في تاريخ الجمعية بوجه خاص وفي تاريخ الجزائر بشكل عام، لأن أمثال هؤلاء المخلصين للوطن قد لا تتكرر!



¹ - من كتاب مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر للشيخ العربي التسيبي، 34/2. وهي مجموعة مقالاته التي نشرت في بعض الجلات كالشهاب وغيرها، قام بجمعها له الدكتور أحمد الرقاصي الشريفي نشرت في جزأين أحدهما طبع سنة 1402هـ - والآخر سنة 1404هـ.

الشيخ العربي التبسي أفكار ومواقف

١. مسعود بودريال

جامعة الأمير عبد القادر

يمثل الشيخ العربي التبسي رفقة جيل العلماء الرواد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المشروع الذي تبنته هذه الجمعية من أجل تمكين المجتمع الجزائري من استئناف وظيفته في التاريخ في إطار محاولات الإصلاح والنهوض التي عرفها العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بصيحة جمال الدين الأفغاني التي فجّرت الضمير الإسلامي "النائم" منذ ما يقرب من ستة قرون من الزمان وإن كان سقوط الخلافة ليس إلا الإعلان الرسمي لاكتمال دورة الحضارة الإسلامية على الرغم من أن اكتمالها الفعلي إنما تم بسقوط دولة الموحدين حسب منظور مالك بن نبي رحمه الله تعالى لتطور حضارة العالم الإسلامي. وعلى الرغم أيضاً من أن الظاهر من سبب تأسيس الجمعية لتضطلع بالمشروع هو وجود الاستعمار الفرنسي في بلادنا الحبيبة وطبيعة السياسة الفرنسية الاستيطانية التي كانت قائمة على أساس مثلث الموت الحضاري (التجهيل، التفقير، الفرنسة)، فإن مشروع منظور الجمعية كان أبعد من ذلك وأعمق؛ إذ كانت تستهدف إعادة بعث الأمة من جديد من أجل إحياء وظيفة الشهود الحضاري فيها باعتبارها أمة الشهادة والقوامة. وهكذا، فإن الجمعية التي رفعت لواء مواجهة الاستعمار من أجل التخلص منه وطرده من البلاد كمرحلة أولى في مشروعها الكبير، كانت في الحقيقة في مواجهة مزدوجة مع نوعين من التحديات، تحدّي الاستعمار من جهة باعتباره تحدياً مباشراً، وتحديّ التخلف والانحطاط من جهة أخرى باعتباره تحدياً غير مباشر؛ غير أنه هو التحديّ الحقيقي لأنه هو الذي مهدّ للحمولات الاستعمارية على الجزائر إذ لولاه لما تمكّنت فرنسا من الاستيلاء على هذه الأرض الطيبة سنة 1830م للميلاد.

وإذا كان التأمل في هذين التحذيرين من منظور سني يمكننا من إدراك حقيقة العلاقة بينهما، فإن الأهم من ذلك هو أن فرنسا بسياستها الاستيطانية الخبيثة عملت على تكريس وضعية التخلف والانحطاط في أوساط الشعب الجزائري المسلم باعتبار أن التخلف أسهل الطرق للتحكم في الشعوب والسيطرة عليها. أطول مدة زمنية ممكنة . من هنا، سؤال يطرح نفسه أمامنا في هذا المقام هو: كيف ينبغي أن نفهم شخصية الإمام الشيخ العربي التبسي؟

على الرغم من أن "العطاء" الإصلاحية للإمام العربي التبسي امتد على مدى مرحلتين هما مرحلة العطاء الفردي قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومرحلة العطاء الجماعي بعد ذلك، فإن المرحلة الثانية هي التي أبرزت معالم منهجه في التفكير الإصلاحية والتربوي بشكل خاص. كما أنه من الأنسب أن نفهمه في سياق فهم طبيعة المشروع الإصلاحية للجمعية. فالجمعية غلب عليها مبدأ العمل الجماعي في الإصلاح، على الرغم من الأثر الواضح لشخصية الإمام ابن باديس في هذا المشروع.¹ من خلال هذه المداخل المتواضعة سأحاول أن أستعرض أهم الأفكار والمواقف السياسية البارزة في حياة العلامة والتي تبرز لإمامه بصفات رجل الإصلاح المؤهل لقيادة أمة.

دعوتك إلى إنشاء الجمعية:

لقد كان تأسيس جمعية للعلماء والدعاة العاملين على ساحة الدعوة تجمع الجهود لتصب في اتجاه واحد، وتوقظ الأمة وتنشر فيها الوعي والعلم وتجند لها أمر دينها أمنية من أماني الشيخ العربي التبسي، وقد كان ممن هيا الأحياء لتأسيسها بمجموعة من المقالات نشرت له في الشهاب ومن أصرحها في ذلك المقال الذي نشره سنة (1926) بعنوان: "أزفت ساعة الجماعة ونحرم عصر الفرد" والذي قال فيه: «فإن هذا العصر عطل الفرد ونبذ حكمه، وأمات مفعوله، وتجاهل وجوده، فأينما أملت سمعك أو أرسلت نظرك في الشرق أو الغرب، لم تجد إلا أمة فحزبا فحيأة منها وإيها كل شيء، فهي التي تذب عن الحياة الاجتماعية، وتحرس الأمة في نواب الدهر وعادية

1- معجم اعلام الجزائر - عادل تويضي . مؤسسة النديف الثقافية ببيروت . لبنان . ط2 . 1980م . ص 61

الأيام، وتغار على كرامتها وحسن الحديث عنها، وتأخذ بيدها قبل أن تغرق عند هبوب السماسم ولفح الأعاصير، وتكون لسانها الناطق بطلباتها، وحسها المتألم لألمها¹. وقد تألم الشيخ أكثر لعدم شعور الأمة بحالها المزري ولطول نومها وسباتها، تألم ألماً لم يقدر على كعبته فسطر مقالات عناوينها صحبات، أراها لا تزال صالحة أن يخاطب بها أهل زماننا فقال: «هذه جزائركم تختصر أيها الجزائريون فأنقذوها». وقال: «ألا أيها النوم هيو!». وقال: «الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت». وسمع إلى هذه الكلمات المعبرة التي أبيت إلا نقلها: «بكاتي على الإسلام ومبادئه ونحبي على وحدة الدين الذي أضاعه بنوه، الذي أمر بالجماعة وحث عليها، بل وجعل المنشق عنها في فرقة من الدين وعزلة عن الإسلام وعداء لأهله. والذي فلق الحب ويرأ النسمة لو أن امرأ مسلما مات أسفا وحرنا على حالة هذه الأمة لكان له عند الله العذر . أيطيب لنا عيش مع هذه الحالة ؟ ...»². وتحقق ذلك الأمل في 5 ماي 1931 م بتأسيس جمعية العلماء المسلمين.

العقيدة وبدعت الكلام:

أما عقيدته فهي إن شاء الله عقيدة السلف الصالح، وإن إنكاره لمظاهر الشرك أمر مشهور وقد قال وهو يقرظ رسالة الشرك ومظاهره ويثني على صاحبها الشيخ الملي: «خدم بما الإسلام ونصر بما السنة وقاوم بما العوائد الضالة، والخرافات المفسدة للعقول»، وكذلك دعوته إلى أخذ العقيدة من الكتاب والسنة واعتماد مفهوم السلف الصالح دعوة ظاهرة، قال رحمه الله: «هذا الأصل صار الدين لا يمكن أن يؤخذ بحكم العوائد والمحاكاة، ولا تَعَلَّمُ من الجاهلين، وإنما يؤخذ حقا تعلمنا عن أهل العلم الحقيقيين، الذين يستمدون فهمهم من عناصر الدين الأولية التي هي الكتاب والسنة على مقتضى فهم الأولين من علماء الإسلام الذين إذا تكلموا على العقائد بينوها

1 - مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر - للشيخ التبسي جمع أحمد الرفاعي. جمع أحمد الرفاعي. دار

البراق العربي. بيروت. لبنان. 1982. ج 1. ص 55

2 المرجع نفسه. ج 1. ص 60-61.

وبينوا ما أخذها وأدلتها، وشرحوا ما أذن لهم في شرحه، وتوقفوا فيما لا مجال للعمل فيه، أو ردوه إلى ما وضع معناه وظهر مغزاه»¹.

الفقه وبدعة التعصب المذهبي:

للشيخ التبسي كلمات قوية في رد بدعة التعصب للمذاهب التي أماتت الأفكار فتلت المهم ومنعت من تفسير كلام الله تعالى ومن الاحتجاج بسنة نبيه ﷺ، فكان مما قاله: «وقد رأينا هذا الزاعم يقول إن الأخذ بظواهر أقوال النبي ﷺ وأعماله اجتهاد، والاجتهاد قد تقضت أيامه وماتت رجاله وبذلك يجب على المسلمين أن يتركوا كل آية من الكتاب وكل قول وعمل من رسول الله، ولا يهتمون بشيء من كتاب ربه ولا من سنة نبيه وعليهم أن يقتصروا على ما كتب في الفروع، يحلون ما أحلت، ويحرمون ما حرمت ويوالون من والت ماداموا غير مجتهدين .

هذه هي مقالة هذا المفتي المزهدة في كتاب الله، الصادة عن سنة رسول الله ﷺ، وهي باطلة بإجماع المسلمين من يوم أن بعث نبيهم إلى اليوم، ذلك أن العوام والعلماء يعملون بأقوال النبي وأعماله من غير توقف على منهم على وصولهم إلى رتبة الاجتهاد»².

وقد أنكر على من رد السنن بدعوى مخالفتها للمذهب وعد ذلك محادة للرسول ﷺ، وعصيانا أيضا لوصايا أئمة المذاهب وعلى رأسهم الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى الذي كان يقول: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه». ثم قال رحمه الله تعالى: «لو قدر لمالك رضي الله أن يبعث حيا من قبره لقال في نسبة هذا الرهط إليه المخالفين لوصايا المعطلين لروح مذهبه ما قال عيسى صلوات الله عليه في أولئك الذين كذبهم بقوله: «ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم إنك

1 - المرجع نفسه . ج 2 ص 27

2 - مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر . ج 2 ص 132

على كل شيء شهيد¹ والله يشهد، وأولوا العلم يشهدون أن مالكا بريء من كل نابد لسنة عملية وقولية بدعوى التمهدين بمذهب مالك... وحاشا مالكا أن يقول صدقوا ما يقوله ابن شاس في الجواهر، واكفروا بصحيح الحديث². ولم يكن تبني هذا المبدأ منه مجرد دعوى نظرية بل كان الشيخ عالما مقتدرا على الاجتهاد عاملا بما سطره، وإن أي قارئ لفتاويه يلمس تمكنه من علم الأصول ويتبين غلبة العلم عليه سواء عند توظيفه لاصطلاحات العلم، أو عند استدلاله على المسائل، وكان رحمه الله مفتيا مجتهدا مرجحا بين المذاهب، ومخرجا ومنظرا في مسائل النوازل، ومعتمدا في كل ذلك على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، ومعظما لأهل الحديث ناقلا لأرائهم ومستندا إلى استدلالهم، والاعتماد في الفتوى على الحديث وتبويبات المحدثين أمر خارق للعادة في مثل ذلك العصر.

السلوك وبردعت الطريقة:

لقد كان موقف الشيخ من الطريقة صارما حازما ففضح حالهم كشف ادعائهم وقال: «ألا إن أعدى المسلمين للإسلام أولئك النفر الذين يظنون من قبل أنفسهم أنهم أولياء الرحمن وأحبواؤه، و ملؤوا أنفسهم ومن يتبعهم بأمانى هي ضلال وما أرادوا بما صوابا. فاستباحوا من الله المحارم، وتعدوا له الحدود واعرضوا عما فيه من الهدى فاغتر بهم الجهال وانقاد لهم الأغرار ودخلوا على الناس في عقائدهم ولبسوا عليهم أمر دينهم، وزهدوا الأمة الإسلامية في علمائها الذين أمر الله أن يرد إليهم الأمر»³.

ويقول أيضا: «هاأنتم استطعتم أن تفتنوا الأمة في دينها وتحيدوا بها عن أولياء الدين الذي جعلتم أهله شيعا وأضرابا كل يصف غيره بأنه السالك بنبات الطريق، والله يواخي بينهم ويأمرهم بولاية بعضهم بعضا، ورسول الله يحثنا على رص الصفوف وجمع الكلمة حثا، فهل تستطيعون يوم يذاد من بدل وغير عن الخوض أن تغنوا عنهم

1 - سورة المائدة الآية: 117

2 - المرجع نفع . ج 2 ص 123-124

3 - مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر . ج 1 . ص 65

من عذاب الله شيئاً؟... فهل هؤلاء الطريقون أهدى من أولئك القوم الذين أنعم الله عليهم ؟؟؟ أم أرادوا أن يعيدوا تاريخ الكنيسة في الإسلام، ويرعموا الرعامة الدينية، وينولوا وظيفة التشريع والهدى»¹.

وقد كتب في إبطال بدعهم مقالات كثيرة منها بدعة الطرائق في الإسلام في ثلاثة أعداد، ومنها مقال «من غشنا فليس منا أيها الطريقون» كشف لنا فيه عن تآمر الطريقة مع الاستعمار فقال: «وإن مؤامرات تحاك في الخفاء ضد هذه الأمة، والمتآمران هما الحليفان على الكيد للجزائر؛ الاستعمار والطريقة، وعلام يتآمرون على الإسلام الخصم الألد للاستعمار والطريقة في هذه الديار...»².

الإصلاح والعمل السياسي:

قال رحمه الله: «لست أعرف ابتداءه تاريخياً (يعني الاخطاطط) ولكني أستطيع أن أحدهه بظهور آثار التغيير في هذه الأمة، وأزعم أنه يتدئ من يوم أضع الناس السنة المحمدية وركنوا إلى بدع الرجال التي صرفتهم عن التربية المحمدية والأخلاق الإسلامية، وظهر في الشعب رؤساء ينسبون إلى الدين، فكان وجودهم سبباً في انقسام في الوحدة، واختلاف في الكلمة، وذيوع الأهواء، وتجزئ جماعات الأمة إلى نزاعات تفت عضد الوحدة المقصودة للدين، حتى أصبح الحب والبغض ليسا في الله كما هي القاعدة الدينية، واتخذ الناس رؤساء جهالاً بدعيين يعدوهم من أولياء الله وخواص عباده المقربين عنده، ففتنت بهم جهلة الأمة وأشبه الجهلة، فنصروهم على عماية واتباعهم على غواية وصار الدين ألعوبة في يد هؤلاء الرؤساء وأتباعهم»³.

وصرح الشيخ التبسي أن سبيل السياسة سبيل فاشل، وأن دواء الأمة هو الرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح وأنه لا دواء نافع سواه، فقال: «و ها هي السياسة قد خابت وخاب السياسيون، وخابت الآمال على تلك السياسة، وخبنا فيما نرجوه لإصلاح حالتنا... و ها نحن قد التمسنا مجموعة من الأدوية

1 - المرجع نفسه . ج 1/ص 68

2 - المرجع نفسه . ج 1/ص 210

3 مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر . ج 2 . ص 34

وجامعات من الأطباء فلم تشف من أمراضنا، ولم نبرأ من أسقامنا، ولم تعد إلينا صحتنا، فهل من دواء لأمراضنا...؟ نعم الدواء لأمراضنا والثرىاق المحرب لأمراضنا واحد لا ثاني له، وما ذلك الدواء إلا عودتنا تائبين إلى العمل بشريعتنا الإسلامية المعصومة الكفيلة بإسعاد هذا الفرد الشقي وإصلاحه من جميع نواحيه ومداواته من كل أمراضه، كما داوته يوم فسد قبل الآن بأربعة عشر قرناً. واسألوا التاريخ أيها المرتابون عن ذلك إن كنتم في ريب من هذه الحقيقة، الشريعة الإسلامية المحصورة في كتاب الله وستة رسوله ومفهوم السلف الصالح لهما دواء للإنسانية في فردها وجماعتها»¹.

موقفنا من تدخل الحكومت في الشؤون الإسلامية:

ومن مواقفه الجريئة ما نشر من مقالات يطالب فيها بمنع تدخل الحكومة الفرنسية في شؤون المساجد، وذلك لتبقي المساجد لله لإقامة شعائر الدين وللتعليم العربي والإسلامي، ولكي لا تصير المساجد وأوقافها خادمة للحكومة وسياستها، ومما قاله في هذا المعنى: «وبالباقيّة [أي المساجد] على ملك الحكومة التي تعمرها بموظفين منفذين لسياستها وما ترمي إليه، المختارين منها بسلوكتهم وتفانيهم وطاعتها لا في طاعة الله، فإن الإسلام الحقيقي لا تقام شعائره الدينية فيها، ولا تقرأ علومه الإسلامية النافعة، ولا يرحص لعامة المسلمين وخاصتهم أن يكونوا أحرارا في تلك المساجد، التي بصفتها بيوتاً لله أذن لعباده أن يكونوا فيها متساوين، ومن قبل فيها ما تشاؤه الحكومة لا يشاؤه الله، فإنه اتبع غير سبيل المؤمنين وتسقط عدالته، وهو ممن قال الله فيهم: (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا)²».

موقفنا من فكرة الإسلام الجزائري:

1 المرجع نفسه . ج 2 . ص 69

2 مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر . ج 2 ص 108

ومن الأفكار التي روحها الاستعمار ولا زالت رائحة إلى اليوم فكرة الإسلام الجزائري، التي أرادت من خلالها تشويه دعوات الإصلاح باعتبارها دعوات وافدة وليست أصيلة، وقد أنكر الشيخ هذه الفكرة إنكارا شديدا ونسبها إلى مصدرها وكشف عن الشر المحتفي وراءها، وكان مما كتبه في نقدها قوله رحمه الله: «الإسلام الجزائري في حقيقته ترتيب سياسي من تراتيب أنظمة الاستعمار في الجزائر، ومعابده نوع من الإدارة الفرنسية، وموظفوه فوج من أفواج الجندية الاستعمارية، وأمواله قسم من أموال الدولة. ذلك هو الدين الجزائري الذي تبغيه فرنسا ولا تبغي الإسلام الحقيقي دين الله ولا تأذن له بالاستقرار في الجزائر.»¹

تضحيته في مجال الدعوة إلى الله:

أما تضحية هذا الإمام فلا تحتاج إلى وصف، فأعماله التي نقلت إلينا عناوينها دالة على ذلك وشاهدة، قال الشيخ يوما مخاطبا إدارة الجمعية: «فلنكن الأخوة رائدنا وليكن الإخلاص رابطنا، ولنكن النزاهة شعارنا، وليكن نكران الذات القاسم المشترك الأعظم بيننا. إنه لا يمكن إرضاء الإسلام والوطن، وإرضاء الزوج والأبناء في وقت واحد، إنه لا يمكن لإنسان أن يؤدي واجبه التام إلا بالتضحية، فلننس من ماضي الآباء والأجداد كل ما يدعو إلى الفتور وإلى الموت، ولنأخذ من ماضيهم كل ما هو مدعاة قوة واتحاد»². وكان الشيخ قد اعتقل عدة مرات وسجن إثر حوادث 8 ماي 1945، وبقي مدة تحت الإقامة الجبرية في "مشرية" وغيرها حتى أفرج عنه في ربيع 1946م، ولم يشن ذلك من عزيمته ولا أنقص من عمله، وقد كان مثالا يقتدي به إخوانه ويتصبرون به، وكان مما قاله في يوم افتتاح معهد ابن باديس في كلمة ألقاها على مسامع المشايخ والمعلمين: «أيها الإخوان إن التعليم بوطنكم هذا في أمتكم هذه ميدان تضحية وجهاد ولا مسرح راحة ونعيم، فلنكن جنود العلم في هذه السنة الأولى ولنسكن في المعهد كأبنائنا الطلبة، ولنعش عيشتهم، عيش الاغتراب عن الأهل، فانسوا

1 المرجع نفسه، ج 2/ص 104

2 المرجع نفسه، ج 1، ص 202

الأهل والعشيرة ولا تزورهم إلا لماماً، أنا أضيقتكم ذرعا بالعيال وعدم وجود الكافي، ومع ذلك فيها أنا فاعل فافعلوا وها أنا ذا بادئ فاتبعوا»¹.

وقد حكى الشيخ الإبراهيمي أن التبسي لم يكن يرضى أن يأخذ مقابلاً على أعماله فقال: «أما هو فلم يزل مصراً على التبرع بأعماله خالصة لله وللعلم»².

موقفك من الجهاد ضد فرنسا:

يقول أحمد الرفاعي: «سمعت من الشيخ الطاهر حراث رحمه الله وغيره أن الكثيرين من أصدقاء الإمام رحمه الله حاولوا إقناعه بالخروج من الجزائر بعد أن أصبح هدفاً ضخماً وواضحاً لغلاة المعمرين، فكان جوابه دائماً: إذا كنا سنخرج كلنا خوفاً من الموت فمن يبقى مع الشعب؟». بل نقل آخرون عنه أنه قال: «لو كنت في صحتي وشبابي ما زدت يوماً واحداً في المدينة، ولأسرعت إلى الجبل فأحمل السلاح وأقاتل مع المجاهدين». وظل في دروسه بحث على الجهاد بأسلوب حكيم، وقد نقل الشيخ عبد اللطيف سنطاي أنه تلقى في أول أبريل 1957م رسالة كتب فيها: «إني الشيخ العربي التبسي نطلب منك أن تخرج من الجزائر حيناً قديماً أن يفوت الوقت»³. فحاول إقناعه بأن يعمل بما فأتى واختار البقاء، كما ذكرنا لتخطفه الأيدي الغادرة الأثيمة.

وكان المستعمر يعلم أن الشيخ العربي التبسي يتمتع بشعبية كبيرة وأنه مؤيد للجهاد وأحد محركي القواعد الخلفية له، فأرسلوا إليه عن طريق إدارتهم في الجزائر عدة مبعوثين للتفاوض معه بشأن الجهاد ومصيره ولدراسة إمكانية وقف إطلاق النار، فاستعملوا معه أساليب مختلفة من ضمنها أسلوب الترغيب والترهيب، وكان جواب الشيخ دائماً إن كنتم تريدون التفاوض فالتفاوض الوحيد هو جبهة التحرير، ذلك أنه شعر بأن مقصودهم هو تفكيك الصفوف، وريح الوقت والحد من حدة المواجهة

1 مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر - ج 2، ص 217

2 أثار الشيخ البشر الإبراهيمي - جمع وتقدم بجله: الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي - دار الغرب الإسلامي - بيروت، لبنان، ط 1، 1997/ ج 2، ص 132

3 مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ج 2، ص 221

العسكرية ليس إلا، وبعد رفضه المستمر للتفاوض باسم الأمة، رأى المستعمرون أنه من الضروري التخلص منه، ولم يستحسنوا اعتقاله أو قتله علناً لأن ذلك سوف يزيد من حماس الأمة للجهاد ومن حقدتها على المستعمر، فوجهوا إليه تهديدات عن طريق رسائل من مجاهيل تأمره بأن يخرج من البلاد، وبعد أن أصر الشيخ على البقاء، وبس الكفار منه قاموا باختطافه و قتلته بطريقة جبانة، فرحم الله شهيد العلم و الوطن.



المصادر و المراجع:

- آثار الشيخ البشير الإبراهيمي
- جمع وتقديم نجله: الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان. ط1. 1997م.
- معجم أعلام الجزائر.
- عادل نويهض . مؤسسة النويهض الثقافية. بيروت. لبنان. ط2 1980م.
- مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر.
- للشيخ التبسي. جمع أحمد الرفاعي. دار التراث العربي. بيروت . لبنان. 1982م.

اعظم ما قاله الشيخ العربي التبسي وما قيل عنه

بقلم الدكتور / امير طيبك

جامعت الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من أعظم رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين كان لهم الفضل في قيادة الجمعية وخدمتها ومن خلالها خدم الجزائر وشعبها، الشيخ الخليل ومناضلها الأقدار، المجاهد الشهيد الشيخ العربي التبسي رحمه الله الذي شهد له التاريخ أنه كان فحلا من فحول الجزائر وعظيما من عظمائها. و لإبراز معالم جهاده وفحولته وتضحياته تجاه شعبه ووطنه اخترت جملة مما قاله الشيخ، وما قال عنه المقربون إليه من إخوانه لتكون شهادة حق على مكانة الرجل وعظمته.

ما قاله الشيخ:

كان الشيخ العربي التبسي شديد اللهجة تجاه الاستعمار الفرنسي لا يخاف بطشه وكان يجهر بكل ما يراه حقا ولو كان ذلك يمس الاستعمار الفرنسي ، وقد كان مرة مع الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس حينما استدعي هذا الأخير إلى مكتب مدير الشؤون الأهلية في الولاية العامة لطرح المطالب الإسلامية لجمعية العلماء، وما أن شرع مدير الشؤون الأهلية في شرح وجهة النظر الفرنسية فيما ينبغي أن يقوم عليه الحل لبعض القضايا التي تطالب بها جمعية العلماء، ونظرا لما سمعه وقد جمية العلماء من المسؤول الفرنسي والتي لم تكن معبرة عن آمال الوفد، بادر الشيخ العربي التبسي موجها كلامه إلى المتحدث الفرنسي: "أنت رجل مسيحي لا يجوز لك الحديث عن ديننا ولا عن ما ينبغي أن يكون عليه وضعه الإداري". فوجم الرجل واصفر وجهه و

أما الاجتماع مع أعضاء جمعية العلماء قائلا لهم: "لم يبق بيننا وبينكم مجال للحديث" و اثر خروج وفد جمعية العلماء من الإدارة الفرنسية قال الشيخ ابن باديس مخاطبا الوفد الذي كان يرأسه "ما صدقت أننا خرجنا سالمين من إدارة الولاية العامة"¹. ومثل هذه المواقف للشيخ العربي التبسي كثيرة الأمر الذي جعله هدفا للاستعمار يراقب تحركاته ويرصد كل كبيرة وصغيرة من كلامه . وقد شعر أعضاء جمعية العلماء بالخطر المحقق بالشيخ العربي التبسي وما يكر له الاستعمار من سوء ، فحاول أصدقاء الإمام مرة إقناعه بالخروج من الجزائر بعد أن أصبح هدفا لغلاة المعمرين ، فكان جوابه : "إذا كنا سنخرج من الجزائر كلنا خوفا من الموت فمن يبقى مع الشعب؟"². فكانت الجرأة و الشجاعة في الحق من حصول الشيخ و كان يراهما حدين بين أنصار الحق و جنوده وحماته وبين ستماسة القضايا والشعارات.

وحدثه زملائه عن الثورة بعد اندلاعها في الجزائر فقال: "إن الجزائر بعد اندلاع الثورة لا تتحمل اثنين: الجزائريون و المعمرين و الثورة لابد أن تضع حدا نهائيا و أبدأ لأحد الطرفين"³.

نظرا لوجود بعض الطرائق الصوفية التي حادت عن الشرع الإسلامي القويم فأحدثت بدعا في الدين و جعلتها كالشرع الواجب إتباعه، كان من واجب أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و منهم الشيخ العربي التبسي أن ينكر عليهم هذه البدع في الدين، لكن أصحاب تلك الطرق بدل أن يسمعوا لإخوانهم في الدين من أعضاء الجمعية غدوا يكيدون لهم كيداء، إذ انبروا يسفهون أحلامهم و ينقمون منهم فكان لهم الشيخ العربي التبسي بالمرصاد، و مقالاته -بدعة الطرائق- المنشورة في مجلة الشهاب اكبر شاهد على ذلك.

¹ - أحمد الرفاعي الشرفي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، ص21. دار اليمن للنشر والتوزيع و الإعلام، طبعة مزودة و منقحة .

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر السابق، ص21.

قال رحمه الله في معرض الرد على بعض الطرفين: "أما السلفيون الذين نجحهم الله مما كدتم لهم فهم قوم ما أتوا بمجديد وأحدثوا تحريفا ولا زعموا لأنفسهم شيئا مما زعمه شيخكم وإنما هم قوم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر في حدود الكتاب والسنة وما نعمتم منهم إلا أن آمنوا بالله وكفروا بكم".¹

وللشيخ العربي النيسبي رأي في أسباب التخلف الحضاري الذي لحق ببلادنا وكيفية النهوض به، فيرى أن سبب التخلف الحضاري وما أدى إليه من احتلال يرجع إلى سبب أساس وهو ترك العمل بالتعاليم الإسلامية وإن سيطرة المستعمرين على وطننا إنما تعود إلى تفوقهم الحضاري وليس إلى عدد الجيوش وعدتها أو إلى فقر الجزائريين، إذ قال "إن الأمة الجزائرية كغيرها من الأمم الإسلامية؛ أسباب التأخر فيها لا ترجع إلى عهد قريب وإلى سبب مباشر غير مخالفة الدين الذي بناه رب العزة في أحكم نظام وأمن أساس"².

وقال رحمه الله: "لست أعرف ابتداءه تاريخيا (يعني الانحطاط) ولكنني أستطيع أن أحده بظهور آثار التغيير في هذه الأمة، وأزعم أنه يتدنى من يوم أضع الناس السنة المحمدية وركنوا إلى بدع الرجال التي صرفتهم عن التربية المحمدية والأخلاق الإسلامية، وظهر في الشعب رؤساء ينسبون إلى الدين، فكان وجودهم سببا في انقسام الوحدة واختلاف الكلمة وذبوع الأهواء، وتحيز جماعات الأمة إلى نزاعات تقت عضد الوحدة المقصودة للدين، حتى أصبح الحب والبغض ليسا في الله كما هي القاعدة، واتخذ الناس رؤساء جهالاً بدعيين يعدونهم من أولياء الله وخواص عباده المقربين عنده، ففتنت بهم جهلة الأمة وأشباب الجهلة؛ فنصروهم على عمارة واتبعوهم على غواية، وصار الدين ألعوبة في يد هؤلاء الرؤساء وأتباعهم"³. هذه النظرة الحضارية القيمة والمشخصة للأوضاع الاجتماعية والحضارية في الجزائر، جعلت إحدى المنطلقات

¹ - من مقال هذه الجزائركم تحضر أيها الجزائريون فأنتقوها. نشر في جريدة النجاح العربية الأسبوعية تحت إدارة عبد الحفيظ بن الهاشمي لسنة السابعة عدد 240 بتاريخ الجمعة 1925/10/20 م.

² - آثار محمد الشير الإبراهيمي: مجلد 2، ص 217، موقع من إبرودسوف www.souforom.com يوم 05-10-2012 الساعة 10.24.

³ - انظر غص.

اعظم ما قالت الشيخ العربي النيسبي وما قبله عنه د. بلطاج طويبات

الفكرية الأساسية للحركة الإصلاحية في الجزائر بزعامة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يتبين ذلك من خلال عنايتها الخاصة بالبعث الإسلامي و التقافي الهادف و إلى تجاوز مفاهيم وقيم عصر الانحطاط، وإعادة الصلة بين الفرد و بين المصادر الصحيحة والسليمة لمفاهيم وقيم الحياة في سني الأصدعة ممثلة خصوصا في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

فكما قاله في خصوص فهم السلف الصالح: "هذا الأصل صار الدين لا يمكن أن يؤخذ بحكم العوائد والمحاكاة ولا تعلمه من الجاهلين، وإنما يؤخذ حقا تعلمنا عن أهل العلم الحقيقيين الذين يستمدون فهمهم من عناصر الدين الأولية التي هي الكتاب والسنة على مقتضى فهم الأولين من علماء الإسلام الذين إذا تكلموا على العقائد بينوها وبينوا مأخذها وأدلتها، وشرحوا ما أذن لهم شرحه وتوقفوا فيما لا مجال للعمل فيه أو رده إلى ما وضع معناه وظهر مغزاه"¹.

وكان الشيخ شديد الغيرة على الإسلام وأهله فالإسلام في نظره ليس ميدانا تنافيا شاغرا وإنما هو علم يتميز بأسمى خصائص العلم دقة ومنهجية و وضوحا ويرفض ما ينسب إلى الإسلام من اتهامات وجهالات يبرأ منها الإسلام قرآنا وسنة، فمما قاله وهو يتألم لحال الأمة المزري: "بكائي على الإسلام ومبادئه ونحبي على وحدة الدين الذي أضاعه بنوه، الذي أمر بالجماعة وحث عليها بل وجعل المنشق عنها في فرقة من الدين وعزلة عن الإسلام وعداء لأهله. والذي فلق الحب وبرا النسمة لو أن امرأة مسلمة ماتت أسفا وحزنا على حالة هذه الأمة؛ لكان له عند الله العذر. أيطيب لنا عيش مع هذه الحالة؟...."².

وبالنسبة لطريقة العمل في سبيل النهضة بالأمة يرى أنه من الضروري نبذ الفردية والتشديد بها و نبذ الخلاف الذي يشنت الجهد وأكد على الاتحاد و العمل الجماعي، ويرى أنه لا يمكن التوفيق بين الواجب وبين إرضاء النفس والزوجة والأبناء فدعا إلى ضرورة التضحية في أكثر من مناسبة دفاعا عن الحق، وقد جسد الشيخ هذا

¹ - أحمد الرفاعي الشرفي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، الجزائر، باتنة، دار الشهاب

الشعار في حياته إذ عاش للواجب قبل نفسه، وضحى بنفسه من أجل الفكرة التي عاش لها.

فقال يوماً مخاطباً أعضاء جمعية العلماء المسلمين: "فلتكن الأخوة رائدنا، وليكن الإخلاص رابطنا، ولتكن النزاهة شعارنا، وليكن نكران الذات القاسم المشترك الأعظم بيننا. إنه لا يمكن إرضاء الإسلام والوطن، وإرضاء الزوج والأبناء في وقت واحد؛ إنه لا يمكن لإنسان أن يؤدي واجبه التام إلا بالتضحية فلتنس من ماضي الآباء والأجداد كل ما يدعو إلى الفتور وإلى الموت، ولتأخذ من ماضيهم كل ما هو مدعاة قوة واتحاد!"¹

وقد حرّ في نفس الشيخ العربي التبسي ما وصل إليه حال اللغة العربية في موطنها الأصلي وبين ظهرائي أهلها نتيجة لعاملين أساسيين: عامل طارئ عارض تمثل في سياسة المستدمر الفرنسي الذي حارب اللغة العربية بشقّ الطرق ، وعامل كامن هو زهد كثير من الجزائريين في لغتهم وتفريطهم في تعلمها و اتقانها ، فقطعوا حبال التواصل بينهم وبين الميراث العربي الإسلامي المكتوب بهذه اللغة ، فأنى لهم أن يتميزوا كقوم عربي عن باقي الأقوام ، وكأمة عربية إسلامية عن باقي الأمم إذا اسلموا لغتهم أو تركوها و فضلوا لغة غيرهم ، فدعا إلى الرجوع إلى اللغة العربية وإحيائها من جديد.

ما قول عن الشيخ العربي التبسي:

أثرت أخلاق وسيرة الشيخ في هيئة التدريس فصار قدوة لهم في أداء الواجب بكل تضحية وتفان، وقد أثنى الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله على الشيخ العربي التبسي بما قدمه من أعمال نافعة سواء في مدينته تبسة قبل الالتحاق إلى المعهد الباديبي أو بعد التحاقه بالمعهد ، و أشادا بما أنتجه من علم غزير و إخلاص في الدعوة إلى الإصلاح والتغيير بكل تفان و إخلاص قائلاً: "الأستاذ العربي بن بلقاسم التبسي، هذا رجل عالم نفاع قصر أوقاته ببلدة تبسة على نشر العلم الصحيح وهدى العباد إلى الدين

¹ - المصدر نفسه.

التوىم . فقد عرف قراء الشهاب مكاته بما نشرنا له ، وخصوصا مقالاته الأخيرة " بدعة الصرائق فى الإسلام " ولأول مرة زار هذا الأستاذ قسطنطىة فرأىنا من فصاحتة اللسانىة ومحاجتة القوىة مثل ما عرفناه من قلمه، إلى أدب ولطف وحسن مجلس طابت له المنازل ورافقتة السلامة حالا ومرتحلا".

وىصف الشبخ الإبراهىمى شىئا من ذلك فىقول: "لقد حدثنى المشايخ فى الأشهر الأخيرة -أى منذ تولى الشبخ التسى إدارة المعهد البادىسى فرادى ومجتمعىن بأهمم انجذبوا إلى العلم انجذبأا جدىدا، وحببت سره الأستاذ التسى التعلیم إلىهم على ما فىه من مكاره ومتاعب وأهمم أصبحوا لا یجدون بعد جهد سبع ساعات متواصلة یومیا، نصبا ولا لغویا"¹.

وكان من صفات الشبخ العربى العربى أيضا فى إدارته للمعهد ما ذكره الشبخ الإبراهىمى من أن "الأستاذ التسى فى إدارته يتساهل فى حقوق نفسه الأدبىة إلى درجة التنازل والتضییع، ولا يتنازل فى قتل من النظام أو الوقت أو الأخلاق أو الحدود المرسومة"².

لقد برع الشبخ العربى التسى بأعماله وصفاته التى كانت محل تقدیر واحترام الكثیر من أهل العلم والسیاسة فى الجزائر. فقال عنه الشبخ محمد البشیر الإبراهىمى فى شهادته التى جاء فیها: "إن التسى - كما شهد الاختبار وصدقت التجربة - مdır بارع، ومربب كامل حرجتة الكللتان: الزيتونة والأزهر فى العلم، وخرجه القرآن والسیرة النبویة فى التددین الصحیح والأخلاق التینة، وأعانه ذكاؤه وألمعتة على فهم النفوس، وأعانه عفنه ونزاهتة على التزام الصدق والتصلب فى الحق وإن أغضب جمیع الناس، وألزمته وطنیته الصادقة بالنوبان فى الأمة والانتقطاع لخدمتها بأنتفع الأعمال، وأعانه بیأته وبقیته على نصر الحق بالحجة الناهضة ومقارعة الاستعمار فى جمیع

¹ - أحمد الرفاعى الشرقى، الأعمال الكاملة للشبخ العربى التسى، ص 21.

² - المجلات "202/1"

مظاهره. فجاهتنا هذه العوامن مجسعة منه برجل بدأ جوامع لندن ومجامع العلم وشافان
الأدب ومجالس الجمعيات ونوادي السياسة ومكاتب الإدارات ومعاهد التربية

وبعد افتتاح معهد الإمام عبد الحميد بن باديس عام 1947م انتقل إلى مدينة
قسنطينة بعد أن أسندت إليه مهمة إدارته وقد بقي على رأسه إلى يوم غنقه من طرف
المستعمر الفرنسي سنة 1956م. ولم يكن انتقاله إلى مدينة قسنطينة أمرا سهلا بالنسبة
لسكان مدينة تبسة، قال الإمام الجليل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "سكان تبسة
الكرام الذين كانوا يعدون انتقال الأستاذ التبسي عنهم كبيرة يرتكبها من يتسبب فيها،
وأقنعناهم بأن الشيخ العربي رجل أمة كاملة لا بلدة واحدة ورجل الأعمال العظيمة لا
الأعمال الصغيرة فاقتنعوا، وأما فهم مشاريعهم العلمية والدينية بإيجاد من يخلف الأستاذ

فيها فرضوا مخلصين قال فيه الشيخ الجليل مفتي الجزائر الإمام أحمد حماني: "وقد كان
عالما محققا ومدرسا ناجحا ومربيا مقتدرا وكاتبًا كبيرًا يمتاز بأسلوبه العلمي بالعمق
والمنانة ودقة المعلومات، لكنه لم يترك آثارا كثيرة لاشتغاله - طول حياته - بالتدريس؛
وما تركه من آثار يبرهن على مكانته العالية في الكتابة، وكما كان كاتبًا كان خطيبًا
مصقعًا، ومحدثًا لبقًا ومحاورًا ماهرًا، يمتاز بحضور البديهة والمقدرة على الإقناع القلبي

3

والفكري وحسن البديهة ، وله فيها أمثلة رائعة".

وقد علم المستعمرون أن الشيخ الجليل الإمام العربي التبسي يتمتع بشعبية كبيرة
وأنة مؤيد للجهاد وأحد محركي القواعد الخلفية له، فأرسلوا إليه عن طريق إدارتهم في
الجزائر عدة مبعوثين للتفاوض معه بشأن الجهاد ومصيره ولدراسة إمكانية وقف إطلاق
النار، فاستعملوا معه أساليب مختلفة من ضمنها أسلوب الترغيب والترهيب، وكان
جواب الشيخ الجليل العربي التبسي "إن كنتم تريدون التفاوض فالمفاوض الوحيد هو
جبهة التحرير الوطني" ذلك أنه شعر بأن مرماهم هو تفكيك الصفوف، وربح الوقت

1- أحمد الرفاعي الشرفي، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، ص 21.

2- المصدر السابق (28218)

3- أحمد حماني الصراع بين السنة والبدعة، كتاب الإلكتروني وزارة الشؤون الدينية. الجزائر.

والخذ من حدة المواجهة العسكرية ليس إلا، وبعد رفضه المستمر للتفاوض باسم الأمة، رأى المستعصرون أنه من الضروري التخصص منه، ولم يستحسنوا اعتقاله أو قتلته علنا لأن ذلك سوف يزيد من حماس الأمة للجهاد ومن حقدتها على المستعمر، فوجهوا إليه تهديدات عن طريق رسائل من مجاهيل تأمره بأن يخرج من البلاد، وبعد أن أصر الشيخ الجليل على البقاء، وبس الكفار منه قاموا باختطافه بطريقة جبانة، ونقل وصفها من بلاغ نشرته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في جريدة البصائر بمناسبة حادث الاختطاف: "وفي مساء يوم الخميس 4 رمضان 1376هـ - 4 أبريل 1957م، وعلى الساعة الحادية عشر ليلا اقتحم جماعة من الجند الفرنسي التابعين لفرق المظلات سكن فضيلة الأستاذ الشيخ الجليل العربي التبسي، الرئيس الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والمباشر لتسيير شؤونها، وأكبر الشخصيات الدينية الإسلامية بالجزائر، بعد أن حطموها نوافذ الأقسام المدرسية الموجودة تحت الشقة التي يسكن بها يحيى بلكور بالجزائر العاصمة حي طريق التوت ... وكانوا يرتدون اللباس العسكري الرسمي للحيش الفرنسي ... وقد وجدوا فضيلة الشيخ في فراش المرض الملازم له، وقد اشتد عليه منذ أوائل شهر مارس ... فلم يراعوا حرمة الدينية، ولا سنه العالية، ولا مرضه الشديد، وأزعجوه من فراش المرض بكل وحشية وفظاظة، ثم أخذوا في التفتيش الدقيق للسكن ... ثم أخرجوه حاسر الرأس حافي القدمين ... ولكن المفاجأة كانت تامة عندما سئل عنه في اليوم الموالي بعده في الإدارات الحكومية المدنية والعسكرية والشرطية والعدلية، فترأت كل إدارة من وجوده عندها أو مسؤوليتها عن اعتقاله أو من العلم بمكانه".¹

نخلص مما سبق من أقوال الشيخ العربي التبسي و ما قاله عنه إخوانه ورفاقه في الجهاد والإصلاح أنه كان رجلا متميزا ونموذجا فريدا من نوعه من أبناء الجزائر البررة يدينهم وعلمهم و إخلاصهم لأمتهم و وطنهم ونموذجا للجهاد والتضحية في سبيل الله ثم في سبيل الغايات النبيلة السامية. ونحسبه إن شاء الله أن يكون من الذين قال فيهم

¹ - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة البصائر، www.soufotom.com

اعظم ما قالت الشيخة العربية النيسرية وما قيل عنك د. دكتور طيبات

الله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه
ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾¹





ملحق الصور

1. The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions and activities. It emphasizes that proper record-keeping is essential for transparency and accountability, particularly in the context of public administration and financial management. The text notes that without reliable records, it is difficult to track the flow of funds and ensure that resources are being used effectively and efficiently.

2. The second part of the document outlines the various methods and tools used to collect and analyze data. It highlights the need for standardized procedures to ensure that data is consistent and comparable across different departments and time periods. The text also discusses the importance of data security and privacy, particularly when dealing with sensitive information. It suggests that organizations should implement robust security measures to protect their data from unauthorized access and loss.

3. The third part of the document focuses on the role of technology in improving data management and analysis. It discusses the benefits of using modern software solutions, such as data management systems and analytics tools, to streamline processes and gain valuable insights from the data. The text notes that technology can help organizations to identify trends, detect anomalies, and make data-driven decisions more quickly and accurately. However, it also emphasizes the importance of ensuring that the technology is used responsibly and that data is protected at all times.

4. The fourth part of the document discusses the challenges of data management and analysis. It notes that organizations often face difficulties in collecting, cleaning, and integrating data from different sources. It also highlights the need for skilled personnel to manage and analyze the data effectively. The text suggests that organizations should invest in training and development to ensure that their staff have the necessary skills and knowledge to handle the data. Additionally, it emphasizes the importance of clear communication and collaboration between different departments to ensure that data is being used to its full potential.

5. The fifth part of the document discusses the importance of data governance and compliance. It notes that organizations must ensure that their data management practices comply with relevant laws and regulations, such as the General Data Protection Regulation (GDPR). The text emphasizes that data governance is not just a legal requirement, but also a key factor in building trust and confidence among stakeholders. It suggests that organizations should establish a clear data governance framework, including policies, procedures, and roles, to ensure that data is managed in a responsible and ethical manner.

6. The sixth part of the document discusses the future of data management and analysis. It notes that as technology continues to advance, the volume and complexity of data will continue to grow. This will require organizations to adopt new and innovative approaches to data management and analysis. The text suggests that organizations should focus on developing a data-driven culture, where data is used to inform decision-making at all levels of the organization. It also emphasizes the importance of staying up-to-date with the latest trends and technologies in the field of data management and analysis.

العالم الشهيد الجزائري الشيخ العربي التبسي



□ 1934 م



الشيخ عبد الحميد بن باديس وكبار أعضاء جمعية العلماء
الجالسون من اليمين إلى اليسار : محمد المسجد الزاهري، العربي التبسي،
البشير الإبراهيمي، محمد إبراهيم الكناني (من المغرب ضيفاً)، عبد
لحميد بن باديس، الطيب العتيبي، عبد القادر بن زيان، مبارك الميلي
الوافقون : محمد العيد آل خليفة، فرحات النراجي، باعزيز بن عمر،
مصطفى حلوش، محمد خير الدين، علي الخياري، أبو اليقظان
أخذت هذه الصورة بنادي الترقى حوالي 1934 م



— في الصف الأول : جبريلا ، بن الحسين ابي اليسر ، محمد يوسف اوزاعي ، المصري التيسبي ، الشيخ اليراقبي ، محمد ابراهيم الكفاي من العرب مضطرب ، عبد الحميد بن فارس ، ابيات الضبي ، عبد الفتاح بن زيان ، سوارو المكي .
 — في الصف الثاني وثالث : محمد السيد ابن طلحة ، رحاب السرايبي ، عازر بن عير ، صفيان جويدي ، محمد بن الحسين علي الحساري ، ابو الصمغان . . . اخذت هذه الصورة بتاريخ الثوري جواني 1934 .

مجمع 08 في 1953م (Bar le Marney) وعضو مجمع 08 في 1953م



- 1: أحمد حمادى . 2: توفيق المدانى . 3: مؤيد الأجل . 4: تونسي . 5: العربي التيمسي تواقى سلف
- البر التونسي الديمقراطية) . 6: تونسي . 7: تونسي . 8: الشيخ خير الدين . 9: عبد العظيم سلفاني (م)
- سلفاني) . 10: علي السليبي . 11: محمد شبوكة . 12: سعيد صالحي . 13: الشيخ التيمسي . 14: جليل
- 15: محمد بكونية . 15: محمد التاسري . 16: علي المدانى . 17: علي بو الروح . 18: جهادي بن
- علي . 19: طاهر السلفاني . 20: عبد الرحمن شيبان . 21: محمد المولي

جمعية علماء المسلمين



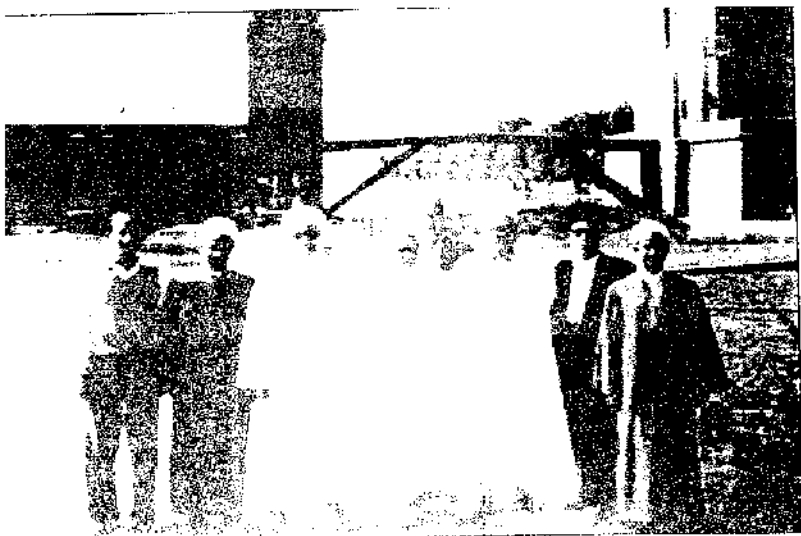
صورة تذكارية من نقاشة قتل لسادة : عن اليمين إلى اليسار الشيخ العربي النسبي، والرئيس امشرك
جهاز عبد الناصر، ومحمد البشير الإبراهيمي، والفضيل لورتلاني، وأحمد بو تامل.



من اليمين إلى اليسار أحمد طائب الإبراهيمي، وبجانبه العربي نسبي، والشيخ الإبراهيمي، وأحمد
لورتلاني، والرئيس المصري جمال عبد الناصر.



العمارة من الشيخ إلى اليسار: الشيخ الفضل الوفاقي، شيخنا العلامة الشافعي الأزهري، والشيخ العربي الشافعي، رئيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين، والشيخ إبراهيم الخوري، رئيس جمعية علماء المسلمين اللبنانيين، في مؤتمر في الجزائر، سنة 1955م.



الشيخ العربي الشافعي، رئيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين، والشيخ إبراهيم الخوري، رئيس جمعية علماء المسلمين اللبنانيين، والشيخ الفضل الوفاقي، شيخنا العلامة الشافعي الأزهري، والشيخ العربي الشافعي، رئيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين، والشيخ إبراهيم الخوري، رئيس جمعية علماء المسلمين اللبنانيين، في مؤتمر في الجزائر، سنة 1955م.

الشيخ العربي الشافعي، رئيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين، والشيخ إبراهيم الخوري، رئيس جمعية علماء المسلمين اللبنانيين، والشيخ الفضل الوفاقي، شيخنا العلامة الشافعي الأزهري، والشيخ العربي الشافعي، رئيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين، والشيخ إبراهيم الخوري، رئيس جمعية علماء المسلمين اللبنانيين، في مؤتمر في الجزائر، سنة 1955م.



□



جالسون من اليمين لشيوخ : عبد القادر بن زيان، العربي التبسي، الأمين

احمودي، عبد حميد بن باديس، الشيبور الإبراهيمي، مبارك الميللي،

طبيب العقبى

والقرون من اليمين الأثويخ : السعيد الزاهري، محمد خير الدين، يحيى

احمودي، أبو اليقظان



<http://beita-cont.israïlce.com>



فهرس الكتاب

- ❖ كلمة مدير الجامعة - أ.د/ عبد الله بونخلخال 07
- ❖ كلمة نائب مدير الجامعة - أ.د/عبد القادر بخوش 09

حياته وشخصيته

- ❖ العلامة الشهيد الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي الزيتوني الأزهري.
- أ. د/ أحمد عيساوي 13
- ❖ الشيخ العربي التبسي حياته العلمية وجهوده الإصلاحية.
- د/شريط وسيلة / أ/ فهيمة طوبال 69

جهوده التعليمية والإعلامية

- ❖ ركائز والتعليم في رؤية الشيخ العربي التبسي.
- أد/ سامعي اسماعيل 83
- ❖ صناعة الوعي وآفاق العقل الاستراتيجي.
- أ/ وليد عثمانى 91
- ❖ جماليات الكتابة الأدبية عند الشيخ العربي التبسي.
- د/ رابح طيجون 111

جهدوه الدعوية والإصلاحية

❖ أبعاد المشروع الإصلاحي في فكر الشيخ الشهيد.

125 أد/ سلطان بلغيث

❖ العمل الدعوي في تصوير الشيخ العربي التبسي.

143 د/ زكية منزل غرابية

❖ من معالم الإصلاح عند الشيخ العربي التبسي .

155 د/ كمال جحيش

❖ إصلاح البني وبناء الأسس في خطاب جمعية العلماء المسلمين.

167 أ/ نوال بومعزة

❖ فكر المرابي والمصلح العربي التبسي من خلال مقال "هذه جريدة السنة يا أهل

السنة".

185 د/ سعاد يطااط

جهدوه في الفتوى

❖ فتاوى الشيخ العلامة العربي التبسي .

197 أد/ لدرع كمال

❖ المنهج العام لخطاب الفتوى لدى الإمام الشهيد العربي التبسي.

221 د/ اللوادي قوميدي

جهوده في الثورة التحريية

❖ جدلية الإصلاح والثورة في فكر الشيخ .

235 أ/ بومالي حنان

❖ مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة .

245 أ/ نصر سلمان، أ/ سعاد سطحي.

❖ الشخصية الثورية للشيخ العربي التبسي.

255 أ/ لوصيف فوزية

شهادات عن الشيخ

❖ العربي التبسي في نظر الشيخ البشر الإبراهيمي.

285 أ/ أكرم بلعمري

❖ الشيخ العربي التبسي أفكار ومواقف.

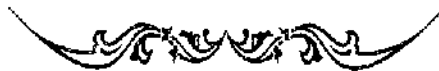
295 أ/ مسعود بودربالة

❖ أعظم ما قاله الشيخ العربي التبسي وما قبل عنه .

307 د/ مير طيبات

317..... ❖ ملحق الصور

327..... ❖ الفهرس





التصميم و الطباعة
بمؤسسة الرجاء للطباعة و النشر
الهاتف/الفاكس: 031.66.23.08
 **RAJAGRAPHIC**

